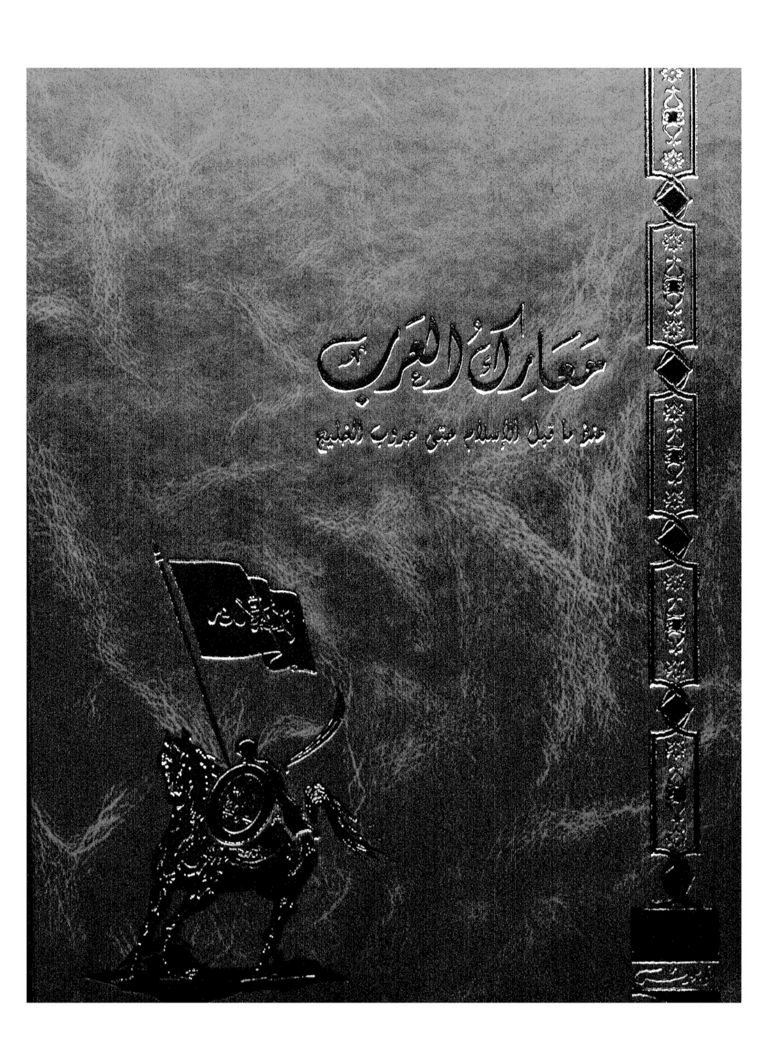


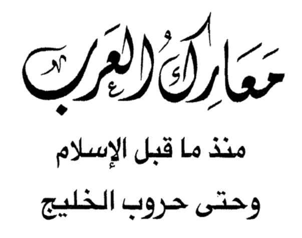
معارك العرب
منذ ما قبل الإسلام حتى حروب الخليج

معارك العرب 23

اسم الموسوعة	:	معارك العرب
		منذ ما قبل الإسلام وحتى حروب الخليج
اسم الكتاب	:	حروب الخليج العربي
المؤلف	:	العميد الركن علي ابراهيم حرب
قياس الكتاب	:	20x28 سم
عدد الصفحات	:	368
عدد صفحات الموسوعة	:	5920
مكان النشر	:	بيروت – لبنان
دار النشر والتوزيع	:	دار نوبليس
تلفاكس	:	961 1 58 34 75
هاتف	:	961 (1) 58 11 21 - 961 (3) 58 11 21
بريد إلكتروني	:	NOBILIS_INTERNATIONAL@hotmail.com
الطبعة الأولى	:	2007

العميد الركن علي ابراهيم حرب

إجازة في العلوم الإجتماعية



منذ ما قبل الإسلام
وحتى حروب الخليج

المجلّد (23)

حروب الخليج العربي

NOBILIS
2007

المقدّمة

منذ العام ١٩٨٠ ولغاية اليوم، شهدت منطقة الخليج حروباً ثلاثة تعتبر الأعنف في تاريخ المنطقة المعاصر:

- الحرب الأولى بين العراق وإيران وامتدّت ثماني سنوات من ٢٢ أيلول ١٩٨٠ ولغاية ٢٠ آب ١٩٨٨.
- الحرب الثانية بين العراق الذي احتلّ الكويت وبين المجتمع الدولي واستمرّت من ٢ آب ١٩٩٠ ولغاية ٢٨ شباط ١٩٩١.
- الحرب الثالثة بين العراق والولايات المتحدة وبعض حلفائها، وقد بدأت في ٢٠ آذار ٢٠٠٣ وما تزال مستمرّة حتى اليوم.

وقد يخيّل للبعض ان الحروب الثلاثة تلك، المتباعدة قليلاً في الزمان، منفصلة أيضاً بالأسباب والنتائج. أمّا الواقع، فقد كانت معارك ثلاثة لحرب واحدة على العراق، أغنى وأقوى بلد عربي، بهدف استنزافه أولاً، وإلحاق الهزيمة به ثانياً، ومن ثمة القضاء عليه وتدميره.

هذه الحروب سلّطت الأضواء على أزمات قديمة مستجدّة بين دول المنطقة حول معضلة الحدود والسيادة والتي بدأت مع تاريخ نشوء هذه الدول ولم تجد لها حلاً عادلاً ودائماً حتى الساعة. ثمّ دخلت عوامل جديدة أدّت إلى زيادة التوتّر وتأجيج الخلافات، منها على سبيل المثال، اكتشاف آبار النفط في مناطق وجزر حدوديّة مختلف على ملكيّتها.

تعود الخلافات القائمة بين العراق وإيران إلى رواسب قديمة، بدأت في القرن الخامس عشر، وتراكمت جيلاً

بعد جيل. فعلاقاتهما لم تكن في يوم من الأيام ودية وذلك لانعدام الثقة وحسن النوايا بين الشعبين.

يقول المؤرّخ البريطاني «لونغريق»[1] المتخصّص في تاريخ العراق الحديث «إن الجفاء والعداء سمتان بارزتان في تاريخ العلاقة بين إيران والعراق. وعندما تتوقّف الحروب والنزاعات الحدوديّة المسلّحة بينهما فإنّ الأحقاد وسوء الظن وانعدام الثقة والرواسب التاريخيّة تظلّ حيّة في النفوس».

وإذا كان النزاع العراقي - الايراني قد تسبّب بشكل أو بآخر بالنزاع العراقي - الكويتي، فإن أحداث ١١ أيلول عام ٢٠٠١ والتي أحدثت زلزالاً في البنية العسكريّة والأمنيّة والاقتصادية للولايات المتحدة الأميركيّة، أدّت إلى إجتياح أفغانستان واستتبعت بغزو العراق واحتلاله في آذار ٢٠٠٣ تحت شعار مكافحة الإرهاب، رغم التستّر بذرائع أخرى من بينها امتلاك العراق لسلاح الدمار الشامل.

لا شك ان المنطقة المسمّاة الشرق الأوسط تعيش اليوم مرحلة من أصعب المراحل وأخطرها على الإطلاق. فالأميركيون موجودون عسكرياً في افغانستان والعراق وعلى الحدود الإيرانية والسورية. والاسرائيليون موجودون في فلسطين وعلى الحدود اللبنانية والسورية والأردنية والمصرية. فما هو المصير الذي ينتظر المنطقة؟ وهل هي سائرة نحو التفكّك والتفتيت كما يتوقّع بعض العرب؟ أم هي تتجه بالقوّة نحو السلام والديموقراطية كما تدّعي الولايات المتحدة الأميركية وبعض حلفائها؟ أم تبرز مفاجآت وتحالفات جديدة تبقي المنطقة ساحة صراع دموي لمدّة طويلة من الزمن؟

(١) العراق من ١٩٠٠ ولغاية ١٩٥٠، طبعة ١٩٥٣، لونغريق.

توضيح

يتطرّق هذا الكتاب إلى حروب خليجيّة ثلاثة هي:

- الحرب العراقيّة الإيرانيّة: ١٩٨٠ - ١٩٨٨ (حرب الخليج الأولى).
- حرب الخليج الثانية: ١٩٩٠ - ١٩٩١.
- حرب الخليج الثالثة: ٢٠٠٣. والمستمرّة حتى تاريخ صدور هذا الكتاب.

ويظهر من التواريخ المذكورة أعلاه بأن هذه الحروب ما زالت حديثة العهد ولم يمضِ على أقدمها أكثر من سبعة عشر عاماً، في حين أن الثالثة أو الأخيرة ما زالت مستمرّة، وإن بأشكال مختلفة، حتى تاريخ صدور هذا الكتاب.

إنّ حداثة تلك الحروب فرضت علينا بعض الصعوبات في دراستها كما يقتضي الواجب المهني والأمانة وذلك بسبب قلّة المراجع من جهة، وأحاديتها من جهة أخرى. فالتاريخ يكتبه المنتصر، وهذه حقيقة. وإذا كانت الحرب العراقيّة - الإيرانيّة قد جرت بين طرفين اقليميين، فإن الحرب الخليجيّة الثانية والثالثة كانت بين العراق من جهة، وبين دول كبرى من جهة ثانية، وعلى رأسها الولايات المتحدة والمملكة المتحدة.

ونظراً لحداثة الحروب موضوع الكتاب، فإن أسراراً كثيرة ما زالت في عهدة أصحابها. هناك وثائق ناقصة، ومعلومات لم يفرج عنها بعد، كما ان المؤرّخين والكتاب يحجمون عادة عن خوض غمار أحداث جديدة وآنية، سيّما وان تداعياتها لم تنتهِ بعد.

المهم أننا حاولنا الكثير لسدّ هذا النقص آملين ان يكون هذا الكتاب قد قدّم محاولة هي الأولى من نوعها لجمع الحروب الثلاثة التي خاضها العراق في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحالي في مرجع واحد، وعلى الله التوفيق.

القسم الأول

حرب الخليج الأولى :

النزاع العراقي - الايراني

١٩٨٠ – ١٩٨٨

الفصل الأول

الصراع العراقي - الايراني في التاريخ

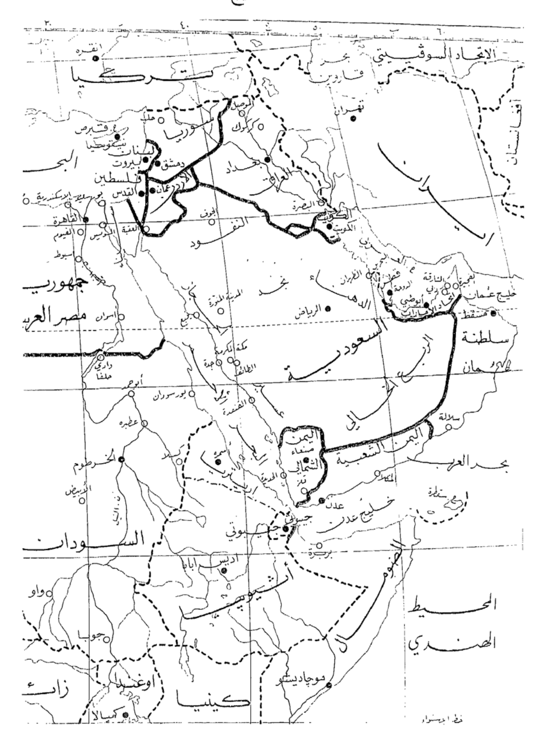
أولاً – الخليج في المنظار الجيوستراتيجي

يتجاوز مفهوم «الخليج» اليوم المعنى الجغرافي المباشر كممر مائى دولي تطلّ عليه مجموعة دول، إلى معنى جيوستراتيجي بالغ الأهمية، ليس لدولة أو دول المنطقة فحسب، بل لمعظم دول العالم، وخصوصاً الدول الكبرى. وبسبب أهمية المنطقة وأبعادها الدوليّة الشاملة، أصبحت تُذكَر بلفظة الخليج من دون الحاجة إلى تحديد ذلك بهويّة قوميّة أو غيرها.

لكن هذه المنطقة لم تكتسب أهميتها خلال العهود المتأخّرة، بل برزت منذ اكتشافها على يد الإسكندر المقدوني قبل أكثر من أربعة وعشرين قرناً. فمنذ ذلك الحين بدأت عناصر الاستقطاب فيها تشد أنظار الباحثين عنها، وأوّلها ان الخليج كان منذ القديم الممر الدولي المهم للتجارة بين بلدان حوض البحر الأبيض المتوسّط والهند.

وظلّت هذه المنطقة تحتلّ أهميّة كبيرة لموقعها الوسطي سواء للحضارات والدول التي نشأت في وادي الرافدين أو للامبراطوريات اليونانيّة والرومانيّة والفارسيّة المجاورة، فكان لها دور مهم في عمليّة التواصل والاتجار بين الحضارات القديمة في وادي الرافدين والهند والصين، وكان الخليج ملتقى التجارات الآتية من جنوب آسيا وجنوبها الشرقي، أو من شرق أفريقيا أو البحر الأبيض المتوسّط. ولذلك شهد خلال العصور المختلفة نشاطاً بحرياً عظيماً إذ كانت السفن

منطقة الخليج



الهنديّة والصينيّة تمخر عبابه[1] حاملة السلع بين هذه المناطق.

وبهذا كان الخليج صلة الوصل بين الهند وأراضي الحضارات التي نشأت في المشرق والتي وصفها الكاتب الفرنسي «بيربي» بأنها قلب المشرق جغرافياً وبابه السحري وصندوقه الذهبي الرائع الذي يسيل له اللعاب.

ومع ظهور الاسلام وانتشاره كقوّة مؤثّرة في العلاقات الدوليّة في العصور الوسيطة تبوّأت منطقة الخليج موقعاً وسيطاً مهمّاً في حركة النقل والتجارة والمبادلات التي كانت تتم عن طريق البحر بين ممالك اوروبا والعالم الإسلامي. وفي خلال تلك الحقبة ازداد نفوذ كلّ من البصرة والبحرين وعمان كموانىء رئيسيّة، وجاءت الفتوحات الإسلاميّة التي امتدّت نحو شواطىء المحيط الهادي لتترك أثرها في الخليج الذي أصبح بمثابة موقع وسط في قلب العالم الإسلامي بين مشرقه الأقصى ومغربه الأقصى. من هذه المنطقة إنطلقت الأساطيل البحريّة لأهل الخليج المسلمين إلى موانىء الهند وسيلان وبورما وشرقي افريقيا، فكان لذلك أكبر الأثر في نشر الاسلام في سواحل هذه البلدان وصولاً إلى الصين، عندما اندفع بحارة الخليج إلى هناك وأنشأوا مراكز تجاريّة في سواحلها واعتنق الكثير من الصينيين الاسلام.

وفي القرن الخامس عشر، عندما دشّنت اوروبا مرحلة الاكتشافات للعالم الجديد ورأس الرجاء الصالح، وبدأت مرحلة الاستعمار الاوروبي للهند، كان الخليج حلقة وسيطة للتجارة الدولية.

وقد عبّر الكثير من السياسيين والكتّاب الغربيين عن الأهميّة الاستراتيجيّة للمنطقة، خصوصاً مضيق هرمز، وكان البريطانيون يردّدون دائماً «إذا كان العالم خاتماً فهرمز ستكون جوهرته».[2]

أما ارنولد ولسن فكان يرى انه من بين كلّ الخلجان، لا يوجد خليج يفوق هذا

---

(١) محمد رشيد الفيل: الأهمية الاستراتيجية للخليج العربي، ص ١١.

(٢) خلدون حسن النقيب، المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربيّة (١٩٨٧).

الخليج في أهميّته بالنسبة إلى علماء طبقات الأرض وعلماء الآثار والمؤرّخين والجغرافيين والتجّار والاستراتيجين على حدّ سواء.[1]

وإذا كانت عناصر الجذب تلك قد أكسبت الخليج هذه الأهمية الكبيرة فإنّ عنصراً جديداً، أضيف إليها لاحقاً، ضاعف من أهميّة المنطقة، وزاد وتيرة التحرّك الخارجي في اتجاهها. فقد أدّى ظهور النفط إلى جعل هذه المنطقة من أهم المناطق في العالم استقطاباً للأنظار، إذ وصف ريموند أوسي في كتابه «ملوك الرمال في عمان» الأهميّة الاستراتيجيّة للخليج بعد ظهور النفط بقوله «إنه شريان الحياة الرئيسي بالنسبة إلينا، وإذا قامت في الخليج دولة معادية فإنها تستطيع أن تدق المسمار الأخير في نعش النفوذ البريطاني بجنوب البحر المتوسّط كلّه».

وفي العصر الحديث يتكرّر هذا القول على ألسنة السياسيين الأميركيين، فوكيل وزارة الخارجيّة الأميركيّة السابق دايفد تيوسوم يستعيد الرؤيا البريطانيّة، إذ يرى أنه إذا كان العالم دائرة مسطّحة فإن الخليج مركزها، ولا مكان في العالم فيه كلّ هذا القدر من التقاء المصالح العالميّة، وما من منطقة هي في مثل هذه الأهمية الأساسيّة لاستمرار استقرار العالم وسلامته الاقتصاديّة كمنطقة الخليج.

كانت أهميّة الخليج الجيوستراتيجية تزداد مع تزايد الاحتياطات النفطيّة المكتشفة في البلدان المطلّة عليه، فاحتياطي الخليج في اليابسة والبحر يسجّل زيادة ملحوظة (من ٤٨ مليار برميل العام ١٩٥٠ إلى ٥٩٢ مليار برميل في العام ١٩٩٠، أي ما يوازي ٦٧٪ من احتياطي العالم.[2]

ومع تزايد الاكتشافات كان هناك تزايد في استهلاك النفط في البلدان الصناعيّة بشكل كبير، ويشير الخبراء إلى ان الدراسات والأرقام المتوافرة ترجّح خروج الغرب الصناعي من سوق الانتاج مع نهاية العام ٢٠١٠، وخروج اوروبا الشرقيّة من هذه

(١) عبد الغني مردة في «الخليج العربي بعيداً عن السياسة»، ١٩٨٠.

(٢) عبد الرحمن النعيمي، الصراع على الخليج، ١٩٩٢.

السوق مع نهاية العام ٢٠٢٠، ودول الأوبك وباقي دول العالم الثالث مع نهاية العام ٢٠٣٠، وعندئذ لن يكون هناك منتجون للنفط سوى دول الخليج.[١]

وإذا أضفنا الغاز الطبيعي الذي اكتشفت في الخليج أكبر حقوله وثبت احتواء المنطقة على أكبر احتياطي عالمي منه، سندرك الأهميّة التي تحتلّها المنطقة، اليوم وغداً، والموقع الذي ستحتلّه في استراتيجيات القوى الكبرى في العالم. كما يتيح لنا ذلك إدراك ابعاد الظواهر السياسيّة والأحداث التي شهدتها هذه المنطقة حتى الآن، ومنها على سبيل المثال المشكلات الحدوديّة المستعصية بين دول الخليج وأزمات الخليج الأولى والثانية والثالثة.

ثانياً – الصراع الدولي على الخليج

نظراً إلى الأهمية الكبرى للخليج قديماً وحديثاً كان من الطبيعي أن تصبح هذه المنطقة محط أنظار كلّ القوى العالميّة التي تريد الهيمنة على الممرات المائيّة والمناطق الاستراتيجية لضمان طرق التجارة والامدادات النفطيّة.

كانت الدول الأوروبيّة قد بدأت اهتمامها بالخليج منذ أواخر القرن الخامس عشر، ثمّ القرن السادس عشر[٢] بسبب الجغرافية السياسيّة الخاصة للمنطقة، كونها تطلّ على إحدى الطرق الرئيسيّة بين الشرق والغرب منذ فجر المدنيّة.

أ - النفوذ البريطاني القديم:

مثّلت الكشوف الجغرافيّة البرتغاليّة أولى التحرّكات الأوروبيّة في اتجاه الخليج. وكانت تعود إلى عاملين: ديني واقتصادي، تمثّل الأوّل برغبة إسبانيا والبرتغال في تحويل المسلمين في غرب افريقيا إلى المسيحيّة الكاثوليكيّة، أما اسبانيا فكانت تهدف إلى نشر الديانة المسيحيّة بين السكان الأصليين في قلب القارة الافريقيّة.

في تلك الحقبة بدأت تدبّ في أوصال القوى الإسلاميّة بوادر الضعف عندما

(١) جاسم خالد السعدون «النفط والماليّة العامة»: محاضرة ١٩٨٩.

(٢) ارنولد ويلسون: الخليج العربي (١٩٤٠).

نجحت البرتغال في طرد كلّ العرب والمسلمين من افريقيا قبل خروجهم من اسبانيا. بعد ذلك تغيّرت الدوافع من دينيّة إلى اقتصاديّة، وظلّت الطموحات الاقتصاديّة متداخلة مع الحوافز الدينيّة التي دفع بعض الجنود المتعصّبين حياتهم من أجلها.

بدأ البرتغاليون تحرّكهم إلى المنطقة في العام ١٤٨٦ عندما طاف «دي دياز» حول رأس الرجاء الصالح قاصداً الوصول إلى بلاد التوابل والقرفة والفلفل. كما أعدّ «دي كونيلو» الذي احتلّ مضيق هرمز تقريراً عن الجزيرة وأهميتها الاستراتيجية. وفي العام ١٤٩٨ وصل فاسكو دي غاما إلى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح. وقد أحدثت رحلته ثورة في تجارة اوروبا ومنحت البرتغال مكانة بارزة على الساحة الدوليّة، وصار ملوك البرتغال منذ ذلك الحين يطلق كلّ منهم على نفسه لقب «ملك الفتح والملاحة والتجارة في الهند والحبشة وجزيرة العرب وفارس». وفي العام ١٥٠٦ أصبح التفوّق البرتغالي كاسحاً في المنطقة وبقيت جزيرة هرمز طوال القرن السادس عشر تتبوّأ مكان الصدارة في النشاط البرتغالي الاقتصادي، وكان ميناء البصرة ومسقط أهم منطلق للتجارة البرتغاليّة.

غير أن الغلبة البرتغاليّة لم تدم طويلاً بسبب سوء سلوك القادة المحليين، وأخذت الدولة العثمانيّة تهدّد الوجود البرتغالي في المنطقة.

ب - النفوذ العثماني:

رفع العثمانيون راية الدين الإسلامي في مواجهة البرتغاليين المسيحيين، بعدما كانت الدولة العثمانية قد أعلنت إقامة الخلافة الإسلاميّة. فقد كان في نيّة البرتغاليين اقتحام البحر الأحمر والنزول في ينبع والتوجّه نحو المدينة المنوّرة، فسارع العثمانيون إلى الاتصال بشريف مكّة لمواجهة البرتغاليين في المياه الهنديّة. فكلّف السلطان العثماني سليمان القانوني والي مصر سليمان باشا الخادم العام ١٥٣٧ منازلة البرتغاليين، فجهّز الأخير أسطولاً من ثمانين سفينة وفرض سيطرته على عدن، ثمّ اتجه إلى الخليج وسيطر على مسقط وحاصر هرمز وسلّمها إلى العثمانيين. وخلال الفترة ١٥٥٧ - ١٥٨١

تجدّدت المعارك بين الجانبين وشملت مناطق مسقط وهرمز، وكان النصر فيها للعثمانيين، فأدرك البرتغاليون صعوبة بقائهم في أي من مناطق الخليج فغادروا المنطقة في شكل نهائي.

ج - النفوذ الأوروبي من جديد:

مع مطلع القرن السابع عشر دخل الخليج مرحلة جديدة من تاريخه، إذ أصبح ساحة لصراع القوى الأوروبية المتنافسة سياسياً على إيجاد موطىء قدم في الخليج.

١ - النفوذ الهولندي:

كانت الامبراطوريّة الهولنديّة أولى الامبراطوريات الاستعماريّة ظهوراً وصاحبة أكبر أسطول يضم ٢٠ ألف مركب.

ويعود الفضل في وصول النفوذ الهولندي إلى الهند والخليج إلى «جان لنشوتن» الذي نشر نتائج بحوثه ودليل الملاحة العملي وضمنه وصفاً للطريق من لشبونة إلى الخليج وأهمية التجارة في هذه المنطقة والتيارات والرياح والمراكز التجاريّة والمرافىء والجزر القائمة.

ثمّ تمكّن الهولنديون من السيطرة على جزر الهند الشرقيّة العام ١٥٩٤، وتعاونوا مع البريطانيين، وألحقوا هزيمة كبيرة بالأسطول البرتغالي عند ميناء بندر عباس الايراني العام ١٦٢٥. وساهم في ترسيخ هولندة إقدامها في إيران انشغال الشاه عباس بالحرب مع العثمانيين، وبذلك بلغ الهولنديون مركز الصدارة في الخليج بين العامين ١٦٣٩ و١٦٤٠ وسيطر نشاط الشحن التجاري الهولندي على بندر عباس.

ثمّ بدأ النفوذ الهولندي بالتراجع خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر لمصلحة النفوذ البريطاني.

٢ - النفوذ البريطاني الجديد:

بعدما غدت أعظم دولة بروتستانتيّة حرّة في اوروبا، وبعدما حققت انتصاراً بحرياً على إسبانيا العام ١٥٨٨، أصبحت بريطانيا أولى دول اوروبا التجاريّة في الخليج.

ووفقاً للأسلوب الذي عرفت به، فإنها تبدأ توسّعها ذا الطابع التجاري لتكون إمبراطوريّة اقتصاديّة، ثمّ تبدأ من الباب

التجاري التدخّل في الشؤون الداخليّة للبلدان، وتؤدّي دوراً مؤثّراً في رسم السياسات الداخليّة والخارجيّة، وحتى في تعيين أعضاء الحكومات.

وبعدما حسمت انكلترا الصراع الاوروبي لمصلحتها مباشرة، هاجمت السواحل العربيّة للخليج وعدن وموانىء اليمن ورأس الخيمة والفجيرة، وعقدت معاهدات صلح معها أنهت كلّ أشكال المقاومة المحليّة للنفوذ البريطاني. ثمّ كانت اتفاقات مماثلة مع البحرين العام ١٨٦١ ومسقط العام ١٨٩١ والكويت العام ١٨٩٩.

وفي المقابل كانت بريطانيا تعمل على احكام سيطرتها على إيران، خاصة بعدما لمست رغبة روسيّة بالتوجّه إليها واستمرّ التصدّي البريطاني لمحاولات بسط النفوذ الروسي في الوصول إلى الخليج، وكانت لايران أهمية كبيرة بالنسبة لبريطانيا لأسباب عديدة[1] منها:

- إطلالة إيران على نصف الخليج.
- وجود إيران على طريق الهند.
- إبعاد الخطر الروسي عن الخليج.

وفي العام ١٩١٤ حصلت بريطانيا على امتياز التنقيب عن النفط في المناطق الجنوبيّة وهي أغنى المناطق في النفط. وتأسّست شركة النفط الانجلو فارسيّة وبدأت أعمال التنقيب فحفرت ٣٠ بئراً وبنت مصفاة عبادان التي أصبحت في ما بعد أكبر مصفاة في الشرق الأوسط.

٣ - التنافس البريطاني - العثماني:

بعد العام ١٨٦٩، وعلى أثر فتح قناة السويس للملاحة، بدأت الدولة العثمانيّة تولي اهتماماً أكبر في منطقة الخليج لوصل ميناء الاستانة بميناء البصرة عبر البحر الأحمر والخليج. وبدأ مدحت باشا والي بغداد (١٨٦٩ - ١٨٧٢) يرسم الخطط للاستيلاء على الكويت والبحرين وقطر. لم يواجه الوالي صعوبة في الكويت بسبب ميل عائلة الصباح إلى الاعتراف بسيادة السلطان. أما باقي المناطق، ومنها نجد والاحساء في السعوديّة، فكانت تتأرجح ما

(١) فؤاد العابد، سياسة بريطانيا في الخليج العربي (١٩٨٤).

بين النفوذين العثماني والبريطاني مع أرجحيّة متصاعدة للثاني.

وخلال الحرب العالميّة الأولى تصاعدت أهمية الخليج بالنسبة إلى بريطانيا التي جنّدت كلّ إمكاناتها لحماية مصالحها فيه، فأرسلت حملة عسكريّة إلى جنوب العراق انتهت باحتلاله. وقد أكّد اللورد كروزن وزير خارجيّة بريطانيا آنذاك ان الفضل في النصر الذي أحرزه الحلفاء إنما يعود لنفط الخليج. لذلك كانت حماية الخليج وحرية المرور فيه الشغل الشاغل للسلطات البريطانيّة في المنطقة، كما أصبح الخليج قاعدة انطلاق للقضاء على الدولة العثمانيّة وإخراجها من الحرب بأسرع ما يمكن.

وخلال الحرب العالميّة الثانية عمل الحلفاء على إحكام السيطرة على الخليج للإفادة من النفط وتأمين طرق التموين والامدادات، وخاصّة لدعم روسيا ضد حربها مع الالمان.

ولم تكد الحرب الثانية تضع أوزارها في العام ١٩٤٥ حتى تبيّن أن الخريطة السياسيّة العالميّة قد خضعت لتغييرات كبيرة أهمها ظهور قوّتين جديدتين على الساحة الدوليّة، هما أميركا والاتحاد السوفياتي، وبداية انحسار النفوذ البريطاني واضمحلال امبراطوريّته. صحيح أن بريطانيا ربحت ، ولكنها خرجت مدمّرة ومنهكة القوى، غير أنها ظلّت متمسّكة بنفوذها في المحيط الهندي والخليج والذي بدأ يتضاءل أمام زحف الولايات المتحدة الأميركيّة.

د - النفوذ الأميركي في الخليج:

تعود المحاولات الأميركيّة للوصول إلى منطقة الخليج إلى القرن التاسع عشر، لكنّ دورها في البداية إقتصر على النشاط الاقتصادي.

ففي الجانب العربي للخليج، اتصل الأميركيون العام ١٨٣٤ بالعمانيين وعقدوا معهم اتفاقاً لتسهيل الأمور التجاريّة، كما قاموا بعمليّات التنقيب عن الآثار، مع اعترافهم بالمظلّة العسكريّة البريطانيّة التي لم تكن تزعجهم، بل بالعكس كانوا يرون فيها حماية لتجارتهم في المنطقة.

غير أن تطوّر الأحداث السياسيّة في المنطقة لم يكن يسير في مصلحة بريطانيا، التي بدأت تواجه صعوبات كبيرة، بدءاً

بتأميم النفط الايراني، مروراً بثورة العام ١٩٥٨ التي أطاحت بالنظام الملكي في العراق. وفي العام ١٩٥٧ كانت بريطانيا تعقد اتفاقاً مع أميركا يتمّ بموجبه تخلّي بريطانيا عن مناطق نفوذها لمصلحة الولايات المتحدة الأميركيّة لقاء حماية الأخيرة للمصالح البريطانيّة فيها.

وفي كانون الثاني ١٩٦٨ أعلنت بريطانيا عن نيّتها الانسحاب من شرق السويس لصالح أميركا.

بعد ذلك اعتمدت الولايات المتحدة الأميركيّة «نظريّة الدعامتين»[1] في الخليج، أي إيران والسعوديّة، بهدف تحقيق أمن إقليمي لضمان الحصول المستمر على إمدادات النفط بأسعار مخفّضة لسدّ حاجاتها وحاجات أصدقائها في اوروبا وآسيا.

وظلّت سياسة الاعتماد على الأنظمة الصديقة في الخليج سارية حتى اندلاع حرب تشرين الأول (اكتوبر) بين العرب واسرائيل العام ١٩٧٣ واتخاذ منظّمة الدول العربيّة المصدّرة للنفط قرار حظر النفط على الدول الغربيّة التي ساندت العدوان الصهيوني. عندها بدأت أميركا تحرّكاً عسكرياً بحرياً نحو المنطقة، وتناقلت وكالات الأنباء ان وحدات من الجيش الأميركي بدأت تتدرّب على حروب الصحراء استعداداً لتدخّل محتمل في المنطقة.

مع هذا التحوّل في السياسة الأميركيّة نحو «التدخّل المباشر في الحالات الضروريّة» وضعت لجنة من الكونغرس العام ١٩٧٥ خطة لغزو أميركي محتمل لمنابع النفط في الخليج،[2] واستمرّ الاهتمام الأميركي بدعم نظام الشاه في إيران وتزويده بأحدث الأسلحة للتصدّي لمحاولات السوفيات الوصول إلى مياه الخليج.

لذلك يمكن القول ان السياسة الأميركيّة في الخليج ظلّت قائمة على أساس الدعامتين (إيران والسعوديّة) حتى العام ١٩٧٩، وعلى جهوزيّة قوات أميركيّة للتدخّل المباشر في اللحظات الصعبة. لكن إحدى الدعامتين

(١) زهير شكر، السياسة الأميركيّة في الخليج العربي (١٩٨٢).

(٢) الكونغرس الأميركي: الغزو الأميركي لمنابع النفط العربي (١٩٧٦).

سقطت بانتصار الثورة الايرانيّة الاسلاميّة في ١١ شباط ١٩٧٩ والتي سقط معها مبدأ نيكسون، وزاد من قلق الأميركيين احتمال إحراز السوفيات انتصارات جديدة تقرّبهم من الخليج، وخصوصاً عقب الاجتياح العسكري السوفياتي لأفغانستان وخروج إيران من دائرة النفوذ الأميركي.

وفي كانون الأول ١٩٧٩ صدر أول إعلان رسمي عن المباشرة بتأسيس قوّة الانتشار السريع على لسان وزير الدفاع الأميركي آنذاك هارولد براون وتمّ تعيين الجنرال جون كيلي قائداً للقوّة.

وبعد الغزو السوفياتي لأفغانستان، أمر الرئيس الأميركي كارتر في شباط ١٩٨٠ بإرسال قوّة برمائيّة من مشاة البحريّة عديدها ١٨٠٠ جندي برفقة ١٩ طائرة عاموديّة ومجموعة دبابات لتعزيز القوّة الأميركيّة في الخليج.

غير أن الوجود العسكري الأميركي في الخليج تزايد بعد اندلاع الحرب العراقيّة - الايرانيّة في أيلول ١٩٨٠، التي قدّمت ذرائع إلى أميركا لإرسال مزيد من القطع البحريّة إلى الخليج بحجّة الدفاع عن حريّة الملاحة وضمان سلامة مضيق هرمز وتأمين الإمدادات النفطيّة إلى الدول الصناعيّة.

كان نجاح الثورة الإسلاميّة في إيران العام ١٩٧٩ إيذاناً بانتهاء عهد سياسة الدعامتين والاستعاضة عن ذلك بالوجود العسكري المباشر في المنطقة، وهو ما عرف «بمبدأ كارتر».

بعد انتهاء الحرب العراقيّة - الايرانيّة في آب ١٩٨٨ تقلّص الوجود الأميركي العسكري في الخليج نسبياً، لكن الأحداث هناك سرعان ما تطوّرت خلال العامين ١٩٨٩ و١٩٩٠، وبلغت ذروتها في ٢ آب باحتلال العراق للكويت الذي استمرّ حتى شباط ١٩٩١، فكانت تلك الأشهر حافلة بمتغيّرات سياسيّة كبرى انتهت بانهيار الاتحاد السوفياتي مقابل تنامي القوّة الأميركيّة التي قامت بإخراج العراق من الكويت، ويتمثّل اليوم باحتلال للعراق مقدّمة لاحتلالات محتملة أخرى لدول المنطقة تمهّد لها تهديدات يوميّة لكلّ من سوريا وإيران.

ثالثاً – نشوء الدول الحديثة في الخليج: العراق – إيران – السعوديّة – الكويت – الامارات العربيّة المتحدة – قطر – البحرين – عمان

لم تكن منطقة الخليج (الجانب العربي على وجه التحديد) تعرف مفهوم «الدولة» و«السيادة» بأساليبه وأشكاله الغربيّة حتى عهود قريبة نسبياً، إذ ارتبط الولاء العام في مجتمعات المنطقة بالعقيدة تارة (دينيّة غالباً)، وبالأشخاص (أفراد، قبائل، أسر) تارة أخرى. وقد اتخذ مفهوم الشرعيّة أشكالاً عديدة، بدءاً بالشرعيّة الدينيّة، وصولاً إلى شرعيّة الحق التاريخي، مروراً بشرعيّة الغزو القبلي، وشرعيّة الأسر الحاكمة.

ويمثّل السعوديون أوضح نموذج للشرعيّة الدينيّة التي تحوّلت في ما بعد إلى شرعيّة الحق التاريخي مع انطلاق دعوة الامام محمّد بن عبد الوهاب. ومثل الوهابيون رأس حربة الجيوش السعودية التي فرضت هيمنتها على منطقة امتدّت من الكويت إلى عمان. ومع تصفية الوهابيين المعترضين على التحالف مع البريطانيين من قبل إبن سعود، وبعد إعلان الدولة الحديثة (المملكة العربيّة السعوديّة)، أصبح السلوك السعودي يتمسّك بشرعيّة الحق التاريخي في نزاعات هذه الدولة مع المناطق المجاورة.

أما الأسر الحاكمة في قطر والبحرين فقد أخذت منذ البداية بشرعيّة العرف القبلي وحق القبيلة بدلاً من الشرعيّة الدينيّة، وتحوّلت لاحقاً إلى الأخذ بشرعيّة الأسرة الحاكمة ضمن القبيلة.[1] وقد رعت بريطانيا اتفاقات رسم الحدود على الأرض وتقسيم المنطقة إلى كيانات يسهل التعامل معها من خلال الأسر الحاكمة فيها.

أ – نشوء دولة العراق:

لم تكن للعراق حدوده السياسيّة الحاليّة قبل الحرب العالميّة الأولى، فهو كان إما مقسّماً خاضعاً لسياسات متعدّدة، أو يشكّل جزءاً من كيان سياسي أكبر. ومن ناحية

(١) عبد الجليل مرهون: نزاعات الحدود في الجزيرة العربيّة (١٩٩٢).

الاسم فقد كان يطلق عليه سابقاً «بلاد النهرين» بينما عرف بـ«إيالة بغداد» أو «ولاية بغداد» في عهد الدولة العثمانيّة، ثمّ قسّم تدريجياً خلال القرن التاسع عشر إلى ثلاث ولايات هي الموصل وبغداد والبصرة.[1]

خضع العراق للعثمانيين منذ أواسط القرن السادس عشر بعد طرد المماليك في العام ١٥٣١. واستمرّ هذا النفوذ حتى بداية القرن العشرين.

التغلغل البريطاني:

استأثر العراق منذ أمد بعيد باهتمام كبير من جانب الدول الاستعماريّة كونه مهداً لأعرق الحضارات في التاريخ ونظراً لموقعه الجغرافي وخصوبة أرضه وتعاظم موارده المائيّة والنفطيّة في ما بعد. وكانت بريطانيا من أكثر الدول الاستعماريّة اهتماماً بالعراق.

يعود الدور البريطاني في العراق إلى العام ١٦٤٣، عندما أسّست شركة الهند الشرقيّة أوّل معمل لها في البصرة.

ومنذ العام ١٩١١ بدأت بريطانيا بإرسال البعثات العلنيّة والسريّة للقيام بدراسات متنوّعة ذات دلائل تجاريّة وسياسيّة، ومن أبرز البعثات تلك التي ترأسها لورنس، ضابط الاستخبارات الانكليزيّة. وقد أجمعت البعثات في تقاريرها على أهمية العراق وموارده، وخصوصاً بعد ظهور بوادر اكتشاف النفط. وخلال الحرب العالميّة الأولى أطلق البريطانيون على العراق مصطلح «مخزن الحبوب في العالم».

بعد إعلان الحرب العالميّة الأولى بيومين احتلّت بريطانيا العراق عسكرياً انطلاقاً من البصرة، حتى وصلت إلى مدينة الكويت، ومن ثمّ إلى بغداد (١٩١٧).

وقد قسّم العراق بين انكلترا وفرنسا على أثر معاهدة سايكس - بيكو التي أعطت ولايتي بغداد والبصرة للانكليز والموصل لفرنسا. غير ان الأمر تبدّل بعد عام واحد، واتفق الفرنسيون مع الانكليز على التنازل عن الموصل وتعديل اتفاق سايكس - بيكو.

---

(١) زكي صالح: بريطانية والعراق (١٩٦٨).

بعد ذلك، وحتى العام ١٩٢٠، شهد العراق انتفاضات شعبيّة بلغت ذروتها العام ١٩٢٠ بالثورة العراقيّة الكبرى، التي جعلت انكلترا تقرّ بعدم صوابيّة سياسة الحكم المباشر للعراق فأبدل بحكم غير مباشر عبر عناصر محليّة موالية لبريطانيا.

وكانت لثورة العشرين الكبرى أسباب عديدة، أهمها سوء إدارة البريطانيين وافتضاح نياتهم بتحرير العراق من العثمانيين. وكان على رأس الثورة الشيخ الشيرازي من النجف، الذي أصدر فتوى بوجوب محاربة الانكليز.

وقد استطاع الانكليز امتصاص النقمة الصارمة وتوصّلوا أخيراً إلى تعيين الأمير فيصل بن الحسين شريف مكّة ملكاً على العراق[1] في العام ١٩٢١. ويمكن اعتبار هذا الحدث بداية تأسيس الدولة العراقيّة الحديثة تحت الانتداب البريطاني.

وفي العام ١٩٣٠ ألّفت حكومة جديدة برئاسة نوري السعيد، وفي العام ١٩٣٢ قبل العراق عضواً في عصبة الأمم وأصبح دولة مستقلّة.

في ١٣ تموز العام ١٩٥٨ أصدرت حكومة نوري السعيد أوامرها إلى قيادة لواءين من الجيش للتوجّه إلى لبنان على اثر الثورة الشعبيّة التي اندلعت فيه، لكن أحدهما بإمرة عبد الكريم قاسم بقي في إحدى ضواحي بغداد للحماية، ودخل اللواء الآخر بإمرة عبد السلام عارف إلى بغداد،. وفجر اليوم التالي احتلّ المراكز الاستراتيجيّة والحيويّة في العاصمة، وأعلن عبد السلام عارف بنفسه عبر الإذاعة إطاحة العائلة المالكة وانهيار العهد الملكي[2] وبزوغ عهد الحكم الجمهوري.

استمرّ عبد الكريم قاسم رئيساً للوزراء حتى ١٩٦٣، حين انقلب عليه زميله عبد السلام عارف بالتعاون مع حزب البعث، ثمّ انقلب عارف على الحزب وأزاحه. لكن ما لبث عارف ان قتل العام ١٩٦٦ في تحطم طائرة عسكريّة لدى عودته من البصرة إلى

(١) حليم أحمد. موجز تاريخ العراق.

(٢) مجيد خدوري: العراق الجمهوري (١٩٧٤).

بغداد، فخلفه أخوه عبد الرحمن عارف. وفي صبيحة تموز ١٩٦٨ نفذ عدد من ضباط الجيش والسياسيين من كادرات حزب البعث انقلاباً جديداً أطاحوا بعبد الرحمن عارف وتسلّموا الحكم، فأصبح اللواء أحمد حسن إلبكر رئيساً للجمهوريّة، ثمّ نحّاه صدام حسين في تموز ١٩٧٩ وحلّ محلّه. وفي العام ٢٠٠٣ سقط العراق بأيدي الغرب وأسر صدام حسين وانتخبت قيادة جديدة للعراق.

ب - نشوء دولة إيران:

لم تكن ايران في السنين التي سبقت العام ١٩١٧ دولة موحّدة خاضعة لسلطة مركزيّة فعليّة، بل كانت مقسّمة إلى ثلاثة أقسام متساوية تقريباً. وكان القسم الشمالي خاضعاً لهيمنة القوات الروسيّة، والقسم الجنوبي للسيطرة البريطانيّة، أمّا الأوسط فكانت تحكمه سلالة «القاجار» الايرانيّة.

وقد أدّى انتصار ثورة اكتوبر البلشفية وانشغال الروس في مشكلاتهم الداخليّة إلى سحب قواتهم من ايران، الأمر الذي أتاح لبريطانيا أن تدفع بقواتها وتحلّ مكان القوات المنسحبة. كما حاولت انكلترا بعد ذلك بذل الجهود لإقامة حكومة ايرانيّة مركزيّة خاضعة للنفوذ البريطاني. ومن أجل ذلك كان لا بدّ من إنهاء حكم «القاجار» بسبب ما اشتهروا به من ضعف وفساد. وشهدت إيران اثر ذلك سلسلة من الحروب الداخليّة والثورات والانقلابات.

في هذه الأثناء كان البريطانيون يهيؤون رجلاً موثوقاً منهم لإدارة البلاد هو «اصفا خان»، الذي اضطرّ الملك أحمد شاه إلى تعيينه رئيساً للحكومة العام ١٩٢٣ وسرعان ما تمكّن هذا الأخير من إزاحة الملك وحلّ مكانه مَلكاً.

اعتبر هذا الحدث بداية عهد جديد من السياسة البريطانية في إيران، واتخذ الملك الجديد سلسلة إجراءات من شأنها تكريس النفوذ البريطاني في البلاد. ولكن، ومع بدء الحرب العالميّة الثانية، مال الملك رضا إلى الالمان مراهناً على انتصارهم في الحرب فخسر الرهان ومعه الملكية ونصّب الحلفاء ابنه محمّد رضا محلّه.

خلال السنين التي أعقبت الحرب بدأت إيران تشهد انحساراً تدريجياً للنفوذ

البريطاني لمصلحة النفوذ الأميركي الذي بدأ يتنامى، ولجأ الملك محمّد إلى الأميركيين لترسيخ حكمه، واستمرّ الأمر على هذا المنوال حتى شباط ١٩٧٩، عندما أطاحت الثورة الإسلاميّة بقيادة آية الله الخميني الحكم الملكي لتقيم نظاماً جمهورياً إسلامياً.

ج - نشوء السعوديّة:

قبل أيلول ١٩٣٢ لم يكن هناك ما يعرف اليوم بـ«المملكة العربيّة السعوديّة»، بل كانت عبارة عن مقاطعات وإمارات يحكمها شيوخ متنافسون، يسعى كلّ منهم إلى توسيع مساحة إمارته.

وكانت الإمارات الموجودة هي نجد والحجاز وعسير وجبل شمر، التي توحّدت لاحقاً بالقوّة وتأسّست منها المملكة العربيّة السعوديّة العام ١٩٣٢ على يد عبد العزيز بن سعود. ففي العام ١٩١٢ أسّس ابن سعود منظّمة إخوان التوحيد الدينيّة العسكريّة الوهابيّة،[1] وصارت الأداة العسكريّة لحكمه.

ثمّ ألّف «إخوان التوحيد» جيشاً كبيراً خاض سلسلة حروب ضد إمارة جبل شمر أولاً ونجح في ضمّها إلى نجد، وفي العام ١٩٢٠ احتل الوهابيون عسير.

في تموز ١٩٢١ أعلن مؤتمر لمشايخ القبائل ورجال الدين في الرياض تنصيب ابن سعود سلطاناً لنجد رداً على تنصيب فيصل ملكاً على العراق وعبدالله أميراً على شرق الأردن.

في أيلول من العام ١٩٢٤ شنّ ابن سعود الحرب على الحجاز وأجبر الشريف حسين على التنازل عن العرش لابنه علي، الذي سرعان ما سلّم مكة إلى ابن سعود. وفي العام ١٩٢٥ ضمّ الحجاز بأكمله إلى نجد الوهابيّة.

في ١٥ كانون الثاني العام ١٩٢٧ أعلن تنصيب ابن سعود ملكاً على الحجاز ونجد والمقاطعات التي ضمّت إليهما.

في تموز من العام نفسه عقد في مكة مؤتمر إسلامي حضره محتلو البلدان العربيّة والهند وتركيا وأفغانستان، واتخذ جملة

(١) الوهابيّة مذهب ظهر في الجزيرة العربيّة أواسط القرن الثامن عشر وادعى أنه يسعى للعودة إلى نقاء الإسلام وتوحيد الجزيرة ومحاربة الأجانب.

قرارات أهمها عدم منح الامتيازات في أراضي الحجاز لغير المسلمين.

في ١٨ أيلول ١٩٣٢ أصدر ابن سعود مرسوم توحيد أجزاء المملكة العربيّة، وصار اسم البلاد «المملكة العربيّة السعوديّة».

واجه ابن سعود بعد قيام الدولة الحديثة نوعين من المعارضة: الأولى تمثّلت بزعماء القبائل الذين تضرّروا من الإصلاحات التي ركّزت السلطة في أيدي ابن سعود، والثانية بالوهابيين أنفسهم الذين بدأوا يتهمون ابن سعود بالارتداد عن المذهب الوهابي. فما كان من ابن سعود إلاّ ان طرح «الوهابية المتحضّرة» التي تقول إن أي بدعة لم ينصّ عليها القرآن يمكن السماح بها إذا كانت لا تتعارض مع الإسلام (مثل السيارة، التلغراف ومظاهر التحديث الأخرى التي كان الوهابيون يحرّمون استعمالها).

خلال الحرب العالميّة الثانية، عانت السعودية صعوبات اقتصاديّة ومالية كبيرة، فتنافس البريطانيون والأميركيون على مساعدتها لقاء عقود تسمح بالتنقيب عن النفط. وفي العام ١٩٤٣ أعلنت الحكومة الأميركيّة ان العربيّة السعوديّة بلاد تتسم بأهميّة حيويّة بالنسبة إلى الدفاع الأميركي وقدّمت إلى السعوديّة قرضاً بـ٩٩ مليون دولار. وأمّنت نفوذها في المملكة.

د - نشوء دولة الكويت:

لم تكن الكويت معروفةكدولة، إنما كانت ميناءً صغيراً تقطنه مجموعة من قبائل نجدية تعرف بالعتوب والتي هاجرت إلى الكويت المعروفة سابقاً بـ«القرين» في العام ١٧١٦. وكان العام ١٧٥٦ بداية تأسيس نظام الحكم لآل الصباح في الكويت، بعدما نزح إليها الشيخ صباح من موقع القبيلة السابق في «أم قصر» واتخذها مقراً دائماً لحكومة أسرة آل الصباح الحاكمة حتى يومنا هذا.

وقد عقدت بريطانيا سلسلة معاهدات مع أسرة الصباح في الكويت، كان أهمها معاهدة ١٨٩٩ التي أتاحت لبريطانيا نفوذاً قوياً في الكويت في موضوع الحماية والنفط.

وظلّت الكويت خاضعة للتبعيّة البريطانيّة حتى العام ١٩٦١ يوم عقدت بريطانيا اتفاقاً معها اعترفت بموجبه باستقلال الكويت.

هـ - نشوء دولة الإمارات العربيّة المتحدة:

ظهرت دولة «الإمارات العربيّة المتحدة» ككيان سياسي واحد، في أواخر العام ١٩٧١، أي بعد الانسحاب البريطاني من الخليج مباشرة. أمّا نشوء الكيانات السياسيّة المكوّنة لهذه الدولة الاتحاديّة، فيعود إلى عهود ليست قريبة.

تتألّف «الدولة الاتحاديّة» من سبع إمارات هي: أبو ظبي، دبي، الشارقة، عجمان، أم القيوين، رأس الخيمة والفجيرة، وقد ارتبط تاريخها، إلى حدّ ما، بتاريخ عُمان، وكانت تسمّى سابقاً منطقة ساحل عُمان. ويشير بعض المؤرّخين إلى ان لهذه المنطقة تاريخاً ضارباً في القدم، وان قبائلها هاجرت إليها من مأرب في اليمن العام ١٣٠م.[1]

وبالنسبة إلى إمارة (مشيخة) أبو ظبي، يؤكّد المؤرّخون انه ابتداءً من العام ١٧٦٠ بدأ تاريخها السياسي عندما استوطنتها قبيلة آل بو فلاح، بقيادة رئيسها الشيخ دياب بن عيسى.

أما دبي فقد توطنتها في بداية القرن التاسع عشر، جماعات قبلية تدين بالولاء لشيخ أبو ظبي، وفي العام ١٨٣٨ انفصلت عن أبو ظبي وأصبحت إدارة مستقلّة واعترفت بها بريطانيا العام ١٨٣٩.

أما رأس الخيمة والشارقة فقد كانتا المركزين الرئيسين لشيوخ بني القواسم بقيادة الشيخ سلطان بن صقر. وبالنسبة إلى أم القيوين فقد كانت بداية استقلالها العام ١٨٣٢، بعد مبادرة الشيخ سلطان بن صقر حاكم الشارقة يومذاك بالتخلي عن المطالبة بسيادتها عليها.

استمرّ الوجود البريطاني في الإمارات التسع (الإمارات السبع الوارد ذكرها، بالإضافة إلى قطر والبحرين) حتى العام ١٩٦٨، ثم سحبت بريطانيا قواتها نهائياً في العام ١٩٧١.

اثر ذلك اجتمع في دبي حكام الإمارات التسع ووقّعوا اتفاق «الإمارات العربيّة المتحدة». من دون التوصّل نهائياً إلى صيغة دستور اتحادي ونهائي. وحاولت السعوديّة

(١) حسين البحارنة، دول الخليج العربي الحديثة، ١٩٧٣.

مساعدة الحكام للاتفاق وكان من دون جدوى. وأبلغت بريطانيا حكام ساحل عُمان بأنها تؤيّد قيام اتحاد سباعي، مع الاعتراف باستقلال كلّ من البحرين وقطر.

وبالفعل اجتمع حكام الإمارات السبع بدعوة من حاكم أبو ظبي، وقرّروا تبنّي مشروع الدستور المؤقّت بعد تعديلات طفيفة أدخلت عليه، وكان ذلك بداية الإعلان عن قيام «دولة الإمارات العربيّة المتحدة» الحالية.

و - نشوء عُمان:

سمّيت عُمان قديماً «إمامة عمان» بسبب حكمها خلال الحقبة من ١٧٥١ إلى ١٧٨٢ من قبل أئمّة منتخبين من المذهب الاباخي الاسلامي. وقد خضعت مسقط وسواحل عمان للسيطرة البرتغالية من القرن السادس عشر حتى منتصف القرن السابع عشر، وبعد ذلك خضعت المنطقة للنفوذ العثماني.

في العام ١٧٣٦ استنجد الإمام سيف بن سلطان بالقوات الفارسيّة لمواجهة بعض الاضطرابات الداخليّة. ثمّ جاء السيّد أحمد ابن سعيد الذي أسّس حكم سلالة آل بو سعيد، ومنذ ذلك الحين أصبح الحكم في عمان وراثياً محصوراً في السلالة الحاكمة لآل بو سعيد. ومع مطلع القرن التاسع عشر أصبح يطلق لقب «السلطان» على الحاكم وأصبح اسم الإمارة «سلطنة مسقط وعمان».

في العام ١٨٠٠ وقّعت بريطانيا معاهدة مع سلطان مسقط، أحكمت بموجبها قبضتها على عُمان، لكن انسحاب بريطانيا العسكري من الخليج لم يؤثّر في وضع سلطنة عمان، التي استمرّت علاقتها ببريطانيا بعد انسحابها في العام ١٩٧١ على أساس معاهدة الصداقة المبرمة في العام ١٩٥١.

ز - نشوء البحرين:

يتزامن التاريخ السياسي الحديث للبحرين مع خروج قبيلة آل خليفة من الكويت ونزوحها العام ١٧٦٦ إلى الجنوب من الساحل الشرقي للجزيرة العربيّة بقيادة رئيسها الشيخ خليفة بن محمّد.

في العام ١٧٨٣ توسّع آل خليفة من الساحل باتجاه جزر البحرين وأسسوا فيها حكومتهم التي استمرّت حتى يومنا هذا.

في العام ١٨٦١ وقّع حكام البحرين معاهدة حماية مع بريطانيا للاستقواء على قطر التي دخلت في نزاع مسلّح مع حكّام البحرين. غير أن بريطانيا التي كانت تعارض في البدء دمج قطر والبحرين[1] ما لبثت ان أوعزت إلى الشيخ عيسى آل خليفة بضمّ «الزبارة» في قطر إلى أملاك البحرين في سياق التنافس بين العثمانيين والبريطانيين.

في العام ١٩١٣ أبرم اتفاق «الخليج» بين العثمانيين والبريطانيين الذي كرّس الهيمنة البريطانيّة على المنطقة. وفي العام ١٩١٥ وقّعت بريطانيا معاهدة «القطيف» التي اعترفت فيها بعبد العزيز بن سعود سلطاناً على نجد، مقابل تعهّده بعدم الاعتداء على إمارات الكويت والبحرين وقطر وساحل عُمان.

ح - نشوء دولة قطر:

أسّس آل «ثاني» نظام الحكم الحديث في قطر. و«ثاني» هو الجد الأكبر للأسرة التي لا تزال في الحكم حتى الآن، وهي من بني تميم، نزحت من موطنها الأصلي في نجد واستوطنت في الجزء الجنوبي الشرقي من شبه جزيرة قطر؛ ثمّ استقرّت في «الزبارة» وهناك ولد «ثاني» ابنه محمد الذي استوطن الدوحة، وكان تابعاً لآل خليفة حكام البحرين وقطر آنذاك.

وخلال حكمه حاول الشيخ محمّد بن ثاني الانفصال عن حكم آل خليفة والاستقلال بحكم قطر، لكن حرباً نشبت بين الأسرتين توقّفت بعد عودة العثمانيين إلى قطر العام ١٨٧٢. ثمّ حاول ثانية ابنه قاسم ونجح في ذلك وأصبحت قطر مستقلّة عن البحرين. وكما أسلفنا، أخذت بريطانيا تعهّداً من السعوديّة بعدم الاعتداء على قطر التي ظلّت تحت الهيمنة البريطانية منذ العام ١٩٧١، حتى تاريخ استقلالها.

رابعاً - معضلة الحدود والسيادة

تعج منطقة الخليج بالصراعات المستمرّة بقدر ما هي غنيّة بالنفط والغاز، وتأتي معضلة الحدود على رأس عوامل هذه

(١) طربين: التجزئة العربيّة.

الصراعات، وخصوصاً في السنين الأخيرة. كما يعتبر النفط أهم عوامل تأزيم هذه المعضلة وتفجيرها بين الحين والآخر على شكل صراعات وحروب.

ويرتبط مفهوم الحدود بموضوع السيادة، لذلك يتعيّن متابعة تطوّر هذا المفهوم في الخليج والوقوف على الأسس التي يرتكز عليها.

إنّ مفهوم السيادة في هذه المنطقة لا يمكن إعطاؤه معنى ثابتاً، فهو مفهوم متغيّر تبعاً للتأثيرات والدوافع التي تحرّكه. ويمثّل السعوديون أوضح نموذج في الخليج في التحوّل من مفهوم الشرعيّة الدينيّة الذي انطلقوا منه إلى شرعيّة الحق التاريخي الذي انتهوا إليه. وهكذا حلّت شرعيّة الحق التاريخي محل الشرعيّة الدينيّة، وبدا ذلك واضحاً في السلوك السعودي لمرحلة ما بعد إعلان المملكة العربيّة السعوديّة، إذ لم تبن الادعاءات السعوديّة في المناطق المجاورة على مقولات نشر الدين ومحاربة البدع، بل على مبدأ حق الوراثة التاريخيّة.

أما الأسر الحاكمة في كلّ من البحرين والكويت وقطر فقد أخذت منذ انطلاقتها الأولى بشرعيّة العرف القبلي وحق القبيلة، بدلاً من الشرعيّة الدينيّة أو الحق التاريخي. وحق القبيلة يتكرّس في مبدأ سيادة الأسرة، وتالياً الأسرة الحاكمة.

ولم تكن المجتمعات على الجانب العربي من الخليج تعرف السيادة الإقليميّة بمفهومها الغربي. فقد ارتبط الولاء العام في هذه المجتمعات بالمبادىء تارة، وبالأشخاص (قبائل وأسر) تارة أخرى، ولم يكن مرتبطاً بالأرض؛ خلافاً لما هو عليه الوضع بالنسبة إلى العراق أو ايران.

كان الاتفاق العثماني البريطاني العام ١٩١٣ والخط الأزرق الذي نجم عنه أول خطوة نظريّة لدخول مفهوم السيادة على الجانب العربي من الخليج. وقد تفرّع عن الاتفاق مؤتمر لرسم الحدود على الأرض بين أقاليم لا تفصل بينها أي اعتبارات جغرافيّة أو دينيّة أو اثنية أو تاريخيّة.

أ - عوامل رسم الحدود:

ترتبط عمليّة رسم الحدود بين الدول المطلّة على الخليج بجملة عوامل، منها ما هو محلّي يتعلّق بالنظام القبلي الموروث، ومنها

ما هو خارجي يتعلّق بالتنافس الدولي (بين البريطانيين والعثمانيين بصورة خاصة) على الخليج. وغالباً ما كان العامل الأول يتحرّك بفعل العامل الثاني ليؤلّفا معاً منظومة متشابكة من الدوافع والعوامل التي أدت إلى رسم الحدود السياسيّة في منطقة الخليج.

وقد دخلت على الخط عوامل عدّة جعلت من ترسيم الحدود «مسألة» أو «مشكلة»، كعامل الطاقة والعامل الملاحي والعامل الأمني. ويأتي النفط على رأس تلك العوامل.

لقد اندلعت الحرب العراقيّة الايرانيّة تحت ذرائع حدوديّة، لكن أهدافها أمنيّة استراتيجيّة لدرء الأخطار التي يمكن أن يسبّبها اختلال التوازن في المنطقة بعد سقوط نظام الشاه.

أمّا غزو الكويت فقد تمّ تحت ذرائع حدوديّة أيضاً، لكن هذا الغزو وما تلاه من تطوّرات سياسيّة سهّلت دخول القوات الأميركيّة إلى العراق والكويت، أكّد أن الهدف الحقيقي هو الهيمنة على مصادر الطاقة، كمرحلة أخرى من عمليّة تظهير النظام العالمي الجديد الذي يرى كثيرون ان الاقتصاد والنفط تحديداً مفتاحه والأداة الأساسيّة لتنفيذه.

ويتوقّع العالمون بخفايا الأمور نشوب أزمات مماثلة في المستقبل بين السعوديّة والكويت حول جزيرتي قارون وأم المرادم، وبين قطر والسعوديّة والإمارات حول النفط المكتشف في المياه الاقليميّة المقابلة للشريط الفاصل بين قطر والإمارات والذي حصلت عليه السعوديّة ضمن اتفاق مع الإمارات.

وهناك حالات برز فيها العامل الاستراتيجي الملاحي عنصراً مهماً في تفاعل قضيّة الحدود وبلوغها مرحلة المواجهة العسكريّة، وأبرز نموذجين على ذلك هما مرفأ أم قصر العراقي ومداخله، ومطالبة العراق بإطلالات أكثر على الخليج، بحيث كان ذلك إحدى ذرائع العراق لغزو الكويت العام ١٩٩٠. أما النموذج الثاني فهو «خور العديد» السعودي ومداخله، ويأتي في هذا السياق التصعيد القطري السعودي العام ١٩٩٢ عندما استولت السعوديّة على قطعة أرض فيها مخفر «الخفوس» على بعد كلم واحد من خليج العديد.

ب - الدور البريطاني في معضلة الحدود:

لا بدّ لمن يخوض في معضلة الحدود في الخليج من أن يبحث في تفاصيل الدور البريطاني فيها، وهذا يستدعي العودة إلى بدايات عمليّة رسم الحدود والأسلوب الذي اتبعته بريطانيا، والطريقة التي اعتمدتها لمواجهة الأزمات التي تتفجّر بين الحين والآخر بسبب الحدود.

لعلّ أفضل بداية لملامسة الموضوع التوقّف عند أول عمليّة رسم للحدود على الجانب العربي من الخليج في مؤتمر «العقير»[1] الذي رسم الحدود بين العراق والكويت ومقاطعات آل سعود. فقد تضمّن هذا الاتفاق بذور خلاف بين الأقطار الثلاثة. ويقال إن الممثل البريطاني في المؤتمر رسم على الخريطة خطوطاً حمراً وقال إنها الحدود من دون الأخذ في الاعتبار مصالح تلك الدول، فكانت النتيجة أن أعطى مناطق كويتيّة للسعوديّة، كما جعل إطلالة العراق على الخليج ضيّقة جداً.

كما يبرز في هذا المجال المثال العراقي الايراني، ذلك لأن آخر اتفاق حدودي بين البلدين كان العام ١٩٧٥ في الجزائر، لكن العراق ألغاه العام ١٩٨٠ واعترف حكامه بأنهم وقّعوه بسبب ضعفهم آنذاك، وأنهم أصبحوا قادرين على استرداد ما تخلّوا عنه.

أما بذور الخلاف الأخرى التي زرعتها بريطانيا في اتفاقات الحدود فتتجلّى في صوغ الاتفاقات بشكل يفتح المجال أمام تفسيرات عدّة. والنموذج الواضح لذلك، الخلاف العراقي - الكويتي في آب ١٩٩٠. فبعد تحرير الكويت بدأ رسم الحدود وفقاً لمجلس الأمن الذي قرّر إنجاز الترسيم على أساس بروتوكول ١٩٦٣ المستند بدوره إلى اتفاق ١٩٣٢ الذي يختلف الجانبان على تفسيره بسبب غموض عباراته.

كذلك أدخلت بريطانيا ظاهرة المناطق المحايدة بين دول المنطقة وهي شكّلت سبب نزاع دائم في ما بينها. ويقدّم البريطانيون ذريعة لإيجاد المناطق المحايدة مفادها انه لا يمكن رسم الحدود بدقّة كون الظروف

(١) أمين الريحاني: ملوك العرب أو رحلة في البلاد العربيّة.

الاجتماعيّة لسكان المناطق لا تسمح بهذا الترسيم، لأن التبعيّة لا تبنى على أساس علاقات رؤساء القبائل بحاكم الإمارة أو المقاطعة.

ولما انسحبت بريطانيا من الخليج العام ١٩٧١ تركت مشكلات الحدود لكي تستثمرها أميركا لمصلحة دورها الجديد في المنطقة. وللمثال فقد سارعت لحلّ مشكلة الجرف القاري بين إيران والسعودية لحاجتها إلى علاقات طيّبة بين هذين البلدين اللذين كانا الركيزة الأساسيّة للسياسة الأميركيّة في الخليج، بينما تصرّفت في شكل آخر بعد سقوط الشاه إذ عمدت إلى تأجيج الخلافات الحدوديّة بين إيران وعدد من دول الخليج وفي مقدّمها العراق، وبلغ النزاع حد اشتعال حرب استمرّت ثماني سنين.

ج - الخلافات الحدوديّة بين العراق وايران:

تعود جذور الخلافات الحدوديّة العراقيّة الايرانيّة إلى القرن السادس عشر إذ كانت في حينه عبارة عن خلافات حدوديّة بين الامبراطوريّتين الصفوية (إيران) والعثمانيّة (العراق). ويؤكّد المؤرّخون أن طبيعة الصراع كانت مذهبيّة في ظاهرها ومصالح مالية وأطماعاً توسّعية في الجوهر.

ثمّ اندلعت الحرب في أوائل القرن الثامن عشر بين إيران والعثمانيين واحتلّت قضيّة الحدود جانباً كبيراً منها.[١] فقد أصدر الملك القاجاري «فتح علي شاه» أمراً بالهجوم على الأراضي العثمانيّة بسبب الخلاف على تابعيّة عدد من قبائل الحدود في منطقة أذربيجان. وقد انتهت الحرب العام ١٨٢٣ بعد إعلان العثمانيين الذين أنهكتهم الحرب ضد اليونان، استعدادهم لدفع تعويضات، فضلاً عن تفشّي الطاعون في إيران. وفي العام نفسه وقعت معاهدة «أرضروم» الأولى الخاصة بالعلاقات العثمانيّة - الإيرانيّة وترسيم الحدود بين الطرفين والتي أصبحت لاحقاً الحدود العراقيّة - الإيرانيّة.

لكن هذه المعاهدة لم تنه الخلافات بين الامبراطوريّتين لأنها لم تحسم المشكلات

(١) أزر ميدخت: مشاكل إيران والعراق (١٩٩٠) باللغة الفارسيّة.

العالقة، وخاصة المسائل الحدوديّة والمشكلة الكرديّة.[1] وقد ظلّ الغموض يكتنف الحدود المشتركة بين البلدين حتى أدى في ما بعد إلى خلافات معقّدة بينهما وانتهت العام ١٩٨٠ بحرب مدمّرة دامت ثماني سنين.

ففي ما يتعلّق بالحدود الإيرانيّة - العثمانيّة (العراقيّة) كان التفاوض يجري حول نوعين من الحدود: الحدود النهريّة (شط العرب) وتؤلّف الجزء الجنوبي من خط الحدود، ثمّ الحدود البريّة التي تشمل منطقة «زهاب» ومدينة السليمانيّة ومدينة المحمرة. وبعد مفاوضات شاقة وطويلة تمّ الاتفاق على عائدية السلمانية للعراق والمحمرة إلى إيران واقتسام منطقة زهاب. أما في ما خصّ شط العرب فقد اتفق على سيطرة إيران على الشاطىء الشرقي وحقها في الملاحة داخل الشط. وبقيت مشكلة القبائل المتنقّلة بين البلدين عبر الحدود ومسألة توافد الزوار الإيرانيين إلى المراقد المقدّسة في العراق من دون حل حتى إبرام معاهدة «أرضروم» الثانية.

في العام ١٩٠٨ برز النزاع مجدداً بعد اكتشاف النفط في منطقة مسجد سليمان، الأمر الذي دفع الطرفين إلى إعادة النظر في حدودهما المشتركة.[2]

وفي العام ١٩١١ قرّر الطرفان الاحتكام إلى محكمة لاهاي الدولية، لكن الوسيطين البريطاني والروسي تدخلا قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى. وبعد اتصالات مباشرة لتعيين خط الحدود بين إيران والعراق (العثمانيين) بعد التقاء مصالح بريطانيا وروسيا ضد المانيا - تركيا توصّل الجميع إلى توقيع «بروتوكول الاستانة» لترسيم الحدود العام ١٩١٣.

نصّ البروتوكول المذكور على سيطرة الدولة العثمانيّة على شط العرب، مع إبقاء الساحل الشرقي منه تحت السيطرة الإيرانيّة وضمان حق إيران في الملاحة. غير أن إيران لم تكن راضية عن هذا الاتفاق الذي اعتبرته مجحفاً في حقها لأنه انتزع منها أراضي غنيّة بالنفط.

(١) فتحيّة النبراوي: الخليج العربي: دراسة في العلاقات الاقليميّة (١٩٨٨).

(٢) عبد الرحمن النعيمي: الصراع على الخليج (١٩٩٢).

خلال الحرب العالميّة الأولى ظلّت قضيّة الحدود ساكنة، وبعد انتهاء الحرب وتغيير موازين القوى الناتج عن تلاشي الدولة العثمانيّة وتقاسم تركتها بين الدول المتحالفة أصبح العراق جزءاً من مناطق النفوذ البريطاني.

في العام ١٩٢٩ أعلنت إيران اعترافها بالدولة العراقيّة، بعد تلقّي وعود من الانكليز بإعادة النظر في موضوع الحدود، وخصوصاً في منطقة شط العرب.

بعد قيام النظام الجمهوري في العراق العام ١٩٥٨ اتخذ الخلاف الحدودي بين البلدين أبعاداً أخرى. ففي العام ١٩٥٩ عادت أزمة شط العرب إلى الواجهة مرّة أخرى. وبعد انقلاب ١٩٦٨ في العراق عرض شاه إيران على الحكومة العراقيّة الجديدة مشروع معاهدة تحلّ محلّ معاهدة ١٩٣٧ من جانب الحكومة الإيرانيّة وأبلغت الحكومة العراقيّة رسمياً بذلك.

استمرّ التوتّر بين البلدين في التصاعد وشهد اشتباكات حدوديّة وحشوداً عسكريّة من الجانبين. وفي العام ١٩٧١ قطعت العلاقات الإيرانيّة – العراقيّة بسبب الموقف من وضع ثلاث جزر في الخليج هي طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى؛ كان الشاه قد أنزل قوات فيها. في العام ١٩٧٤ تأزّم الوضع بين البلدين وانفجر على الحدود، فاتخذ مجلس الأمن توصية بتعيين ممثّل لحلّ المشكلة. ومع وساطة جزائريّة تصالح الشاه وصدام حسين، نائب الرئيس العراقي حينذاك، وجمّدت الخلافات وتمّ توقيع اتفاق أتى بمجمله لصالح إيران بسبب انشغال العراق بإخماد التمرّد الكردي في الشمال.

ومع اندلاع الثورة الإيرانيّة العام ١٩٧٨ عاد التوتّر بين البلدين وأعلن الرئيس العراقي صدام حسين إلغاء معاهدة ١٩٧٥ من جانب واحد وذلك في أيلول ١٩٨٠، وفي الثاني والعشرين من الشهر نفسه شنّت القوات العراقيّة هجوماً برياً وجوياً واسع النطاق على إيران، وكانت الحجّة العراقيّة ان معاهدة ١٩٧٥ كانت مجحفة بحق العراق وأنه وقع تحت الضغط.

دامت الحرب ثماني سنين، وفي العام ١٩٨٨ توقّفت على أساس قرار مجلس الأمن الرقم ٥٩٨ الذي كان البند الخاص

بالحدود فيه غامضاً، ولا تزال بقية بنود القرار غير مطبقة وأهمها توقيع اتفاق سلام بين البلدين.

خامساً - النزاعات العسكريّة بين العراق وإيران

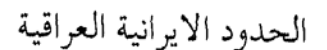
كان العراق مهد الحضارات، وبلد الخيرات، وكانت بغداد «دار السلام»، عروس الدنيا، ومهبط الإشعاع الفكري والروحي ومركز العمران ورمز الترف. وكان الخليفة العباسي أمير المؤمنين رمز السلطة الدينيّة والدنيويّة.

ومع إطلالة القرن الثالث للهجرة، بدأت علامات الانحلال في العراق، وأصبح الخليفة دمية يلهو بها الحرس والجواري، لا يفقه من أمور الدين والدنيا إلاّ القليل مما مهّد لهولاكو، حفيد جينكيزخان، العام ١٢٥٨م. باجتياح بغداد، فاستباح أهلها وذبح شعراءها وأحرق مكتبتها.[1] وفي العام ١٤٠١ زحف تيمورلنك، آخر ملوك المغول وأعظمهم شأناً، إلى بغداد، وحاصرها أربعين يوماً، فذبح سكانها وأحال مساجدها ومدارسها ودورها ركاماً.

في العام ١٤٩٩م ظهر في إيران ملك اسمه إسماعيل الصفوي. وشهدت تلك الحقبة نزاعات مسلّحة متبادلة بين العراق العثماني وإيران الصفوية. وكان الصفويون يحتلون أحياناً القسم الشرقي من العراق بما فيها بغداد، كما يقوم الوالي العثماني في العراق بشنّ حروب متتالية على إيران فيتمكّن معظم الأحيان من احتلال القسم الغربي من إيران. وكانت أهداف الصفويين ذات طابع مذهبي بالإضافة إلى الطموحات التوسّعيّة. فكانوا أصحاب رسالة هدفها نشر المذهب الشيعي الأمامي، والاستيلاء على المدن العراقيّة المقدّسة شيعياً مثل النجف وكربلاء والكاظميّة وسامراء، ويقال إن السلالة الصفوية يرجّح نسبها إلى الإمام الشيعي موسى بن جعفر الصادق. ومن المعارك المشهورة بين العراق العثماني وإيران الصفوية معركة جالديران.

(١) عباس العزاوي: تاريخ العراق بين إحتلالين - طبعة ١٩٥٦.

الحدود الايرانية العراقية



أ - معركة جالديران:

بعد تبادل المذكّرات الرسميّة الشديدة اللهجة بين البلاطين العثماني والصفوي أعدّ السلطان سليم جيشاً كبيراً واتجه به إلى الحدود الايرنيّة، وتلاقى الجيشان في موقعة وادي جالديران (١٥١٤م) وأحرز السلطان العثماني انتصاراً كبيراً وفرّ الشاه اسماعيل جريحاً من ميدان المعركة، ثمّ تابع الجيش العثماني تقدّمه واحتلّ مدينة تبريز واستولى على العرش الصفوي المشهور والمرصّع بالأحجار الكريمة ونقله إلى القسطنطينية. وكان هذا الانتصار فتحاً عظيماً في تاريخ السلطان. ونتيجة لهذه المعركة الحاسمة وانهزام الصفويين استقبل سكان الإمارات الكرديّة في أردلان والعماديّة وبقليس وجزيرة ابن عمر العثمانيين بالترحيب والحفاوة وأعلنوا ولاءهم إلى السلطان.

أمّا الوضع في العراق فقد ظلّ هادئاً حتى العام ١٥٣٠م. حين حصل أوّل إنقلاب على السلطة الصفويّة في بغداد. فقد انتزع ذو الفقار السلطة من الحاكم الإيراني في بغداد وأرداه قتيلاً وأعلن انفصاله عن الدولة الصفويّة. ولمّا سمع الشاه طهماسب أنباء الانقلاب سار إلى بغداد على رأس قوّة كبيرة واحتلها وحرّرها ونصب محمّد خان وهو تركي الأصل من بلاد الأناضول حاكماً عليها.

كان السلطان سليم قد أقسم على استعادة العراق والثأر لسكان بغداد من اضطهاد الصفويين.

ب - معركة كلنباد الفاصلة:

شنّت قبائل الغلزي بقيادة مير محمود هجوماً العام ١٧٢١ لاحتلال مناطق إيران الشرقيّة ونجحت باحتلال كرمان. وزحفت على العاصمة أصفهان وحاصرتها حصاراً شديداً دام ثلاثة شهور، ودارت معركة فاصلة بين قواته القليلة العدد وقوات الشاه المتفوّقة عدّة وعدداً في كلنباد الواقعة على مسافة بضعة كيلومترات من العاصمة.

أسفرت المعركة عن انتصار قوات الأمير الأفغاني واندحار قوات الشاه. ودخل العاصمة أصفهان وأعلن نفسه ملكاً على إيران بعد استسلام الشاه «طهماسب».

وبوقوع إيران الشيعيّة بين أيدي الأفغانيين السنّة، قرّرت الحكومة العثمانيّة

تجهيز جيش كبير وإرساله للمنطقة لاحتلال إيران إذ هي أولى بها من غيرها ولها حق الشفعة. وفقاً للمقولة: «جار الدار أحق بدار الجار».

واستناداً لفتوى صادرة من شيخ الإسلام بضبط الممالك الإيرانيّة وتسخيرها. عهد السلطان العثماني إلى والي بغداد فتح كرمان شاه، وأعدّ العدّة لغزوها ودخلها من دون مقاومة تذكر واستسلم حاكم المدينة عبد الباقي خان. ثمّ تولّى عبد الرحمن باشا إخضاع ولاية لورستان، واستطاع دكّ حصون الولاية وتحطيم القوات المدافعة بقيادة علي مردان خان، وسقط من المدافعين أربعة آلاف قتيل وتمّ أسر نسائهم وأطفالهم وفرّ علي خان إلى مضيق شيكمان الواقع قرب خرم أباد وتحصّن في المناطق الجبليّة، فلحق به عبد الرحمن باشا وأسره. ونظراً لحلول فصل الشتاء تأجّل احتلال همدان.

ج - فتح همدان:

أرسل السلطان أحمد باشا إلى بغداد، وبعد استراحة قصيرة توجّه إلى كرمان شاه واجتمع بقادة الجيش واستطلع الموقف في منطقة همدان وتأكّد له ان حاميتها وسكانها مصرّون على الدفاع عن مدينتهم.

وكان القرار باقتحام المدينة رغم الصعوبات، فدكّ قلعتها وأسوارها وأحدث ثغرات كبيرة فيها. والتحم المهاجمون مع الجيش المدافع بالسلاح الأبيض وأريقت الدماء الغزيرة، إذ استمرّ القتال ثلاثة أيام بلياليها وتصاعدت الأصوات طالبة الأمان، وكان النصر للعثمانيين، وألحقت ولاية همدان بالدولة العثمانية.

بعد انتهاء المعركة تليت الخطب من المنابر باسم الخليفة الأعظم، وحاول الإيرانيون استعادة المدينة بشنّ هجمات مضادة باءت بالفشل.

بعد ذلك استقرّ الوضع العسكري في ايران على الوجه التالي:

- قبائل الأفغان: ظلّت تحتفظ بالمناطق الشرقيّة.
- الروس: سيطروا على المناطق المحاذية لبحر قزوين ودربند وكيلان وقسم من شوران.
- العثمانيون: سيطروا على المناطق الممتدّة من ملتقى النهرين إلى أردبيل وتبريز وهمدان وكرفشاه.

- الدولة الصفويّة (الشاه طهماسب) يحتفظ بالبقيّة الباقية.

وبمباركة فرنسيّة وقّع الروس والعثمانيون معاهدة رشت العام ١٧٢٤ تثبّت تقسيم إيران وفقاً لما ورد أعلاه شريطة اعتراف الدولتين بالأمير طهماسب ملكاً على إيران مقابل اعترافه بنصوص المعاهدة.

غير أن هذا الوضع لم يدم طويلاً حيث استطاع نادر خان قائد القوات الايرانيّة أن يجيّش الايرانيين ضد الأجنبي، مشيراً إلى أن انتصاراته في الميدان تحمل بشائر خير لآل البيت وللأئمّة الاثني عشر مؤكّداً أن تدمير أعداء أهل البيت ليوم عظيم للمسلمين وللشيعة بشكل خاص.

بعد وفاة بطرس الأكبر تخلّت روسيا عن الأراضي الايرانيّة التي احتلّتها جراء تفشّي الأمراض في القوات الروسيّة المرابطة هناك وانتصارات نادر خان القائد العام لقوات الشاه طهماسب.

كما أجبر نادر خان القبائل الأفغانيّة على الانسحاب هي الأخرى من إيران.

ونتيجة لهذه الانتصارات الساحقة ارتفعت أسهم القائد نادر خان على حساب الشاه وتصرّفاته غير المسؤولة، فتوجّه إلى أصفهان السنة ١٧٣٢ وأقام مأدبة كبيرة للشاه حضرها كبار الشخصيات الصفوية ورجال القصر والزعماء، ثمّ عقد اجتماعاً معهم عرض خلاله أوضاع البلاد العامة والأخطار التي تشهدها مشيراً إلى أخطاء الشاه التي كلّفت البلاد ثمناً باهظاً. ثمّ أعلن إبعاده عن العرش وأرسله إلى مشهد وفرض عليه الإقامة الجبريّة ونصب ابن طهماسب الطفل عباس شاهاً، وبذلك أصبح نادرخان رجل الساعة وسيّد البلاد والزعيم الأوحد.

د - معاهدات الصلح بين الامبراطوريّتين العثمانيّة والايرانيّة:

ترك الصراع الطويل بين الامبراطوريّتين العثمانيّة والايرانيّة آثاراً واسعة وجروحاً عميقة في حياة السكان، ولا سيما في مناطق الحدود الممتدّة من جبال ارارات شمالاً حتى مصب شط العرب جنوباً. وقد ساعدت الأطماع الروسيّة والدسائس البريطانيّة على تصعيد حدّة الصراع وتأجيج نار الخلافات. وكانت الحروب هي الأسلوب الأمثل لفض الخلافات يومذاك.

يعد تاريخ الشرق الأوسط، حتى الحرب العالميّة الأولى، سجلاً حافلاً بالأحداث التي وقعت بين الامبراطوريّتين العثمانيّة والايرانيّة بوجه عام. ومن الصعب فهم الأوضاع السياسيّة لهذه المنطقة في الربع الأخير من القرن التاسع عشر من دون الالمام بالقصّة القلقة لهاتين الدولتين.[1] فقد جرت بين ايران الشيعيّة والامبراطوريّة العثمانيّة السنية حروب متقطّعة منذ أوائل القرن السادس عشر حتى أوائل القرن التاسع عشر.

وفي نهاية كلّ حرب كانت تعقد معاهدة تستمرّ ردحاً من الزمن سرعان ما ينقلب عليه القوي وتبدأ الحرب من جديد.

وكانت المعاهدات التي تبرم بين الدولتين، عقب كلّ قتال، معاهدات صلح عامة ذات أغراض متعدّدة. وقد بلغ عدد المعاهدات المبرمة خلال ثلاثة قرون أربع عشرة معاهدة ذات مساس بالحدود العراقيّة الايرانيّة، أوّلها معاهدة «أماسية» التي عقدت إبّان العهد الصفوي وآخرها معاهدة كردان. معظم هذه المعاهدات كانت معاهدات صلح وتخوم، وحيث ان هذه المعاهدات تطرّقت إلى مناطق في ايران والعراق ومشكلاتها والحروب التي شهدتها فسنأتي على ذكرها بإيجاز:

إنّ أقدم وثيقة لدينا تتعلّق بمشكلات الحدود هو الاتفاق الذي تمّ التوقيع عليه في زهاب العام ١٦٣٩م. بعد انتصار السلطان مراد الرابع على صفي الدين الأول.

المعاهدات الخاصة بالحدود

١ - معاهدة «أماسية» ١٥٥٤م.:

أبرمت معاهدة أماسيّة بين الشاه حسين الصفوي والسلطان سليمان القانوني في أعقاب فشل محاولة الشاه استعادة اذربيجان من السلطان. وقد انصبّ اهتمام الطرفين على تعيين حدود منطقة شهرزور التي دار حولها نزاع طويل، بالإضافة لتأمين سلامة الحجاج والزوار الايرانيّين.

(١) جورج لنشوفسكي: الشرق الأوسط في الشؤون العامة، ترجمة جعفر خياط - بغداد - ١٩٦٤.

٢ - معاهدة الأمير ١٥٦٢:

نصّت هذه المعاهدة على ضرورة تسليم الأمير بايزيد بن السلطان سليمان القانوني الذي لجأ إلى الأراضي الإيرانيّة، مقابل سلامة رعايا الدولة الصفويّة، في أراضي الامبراطوريّة العثمانيّة، وتقديم المساعدات للدولة الصفوية لقمع تمرّد التركمان والازبك في المقاطعات الشرقيّة.

أما مطلب الدولة الصفويّة باستعادة ولاية بغداد مقابل إطلاق سراح بايزيد فقد رفضه السلطان، كما رفض فكرة إقامة إمارتين مستقلّتين في مدينة كربلاء والنجف وتنصيب أحد أمراء الصفويين عليهما.

٣ - معاهدة فرهاد باشا - ١٥٩٠م.:

عقدت هذه المعاهدة على أثر الفتن والقلاقل التي سادت إيران بعد مقتل الشاه طهماسب وقيام السلطان مراد الثالث بالزحف على ايران واحتلاله شيروان وتبريز وداغستان. وقد وافقت الدولة العثمانيّة بموجب هذه المعاهدة على إعادة مدن شيروان وتبريز وداغستان إلى إيران شريطة إبقاء منطقة شهرزور ضمن السيادة العثمانيّة. كما وافقت إيران على وقف الشحن المذهبي.

٤ - معاهدة نعوم باشا ١٦١١م.:

نصّت هذه المعاهدة على ضرورة تجنّب الاستفزازات المذهبيّة إيفاءً بالعهد الذي قطعه الصفويون أيام الشاه طهماسب، ومنح الرعايا الإيرانيّة المقيمين في الأراضي العثمانيّة حرية التنقّل والسفر في الأقطار العثمانيّة، واحترام الحدود التي تمّ الاتفاق عليها في عهد السلطان سليم.

٥ - معاهدة سراو ١٦١٨:

أعادت التأكيد على بنود اتفاقيّة نصّوح باشا بالإضافة إلى إعادة مناطق درنه ودرتنك إلى السيادة الايرانيّة.

٦ - أهمّ معاهدات الصلح في القرن السابع عشر:

أواسط القرن السابع عشر والثامن عشر دارت معارك عنيفة بين الدولتين استمرّت أعواماً عدّة، شهد العراق خلالها، ولا سيما

سكّان بغداد، الأهوال والمذابح، وأسفرت عن عقد معاهدات صلح.

معاهدة زهاب ١٦٣٩:

ارتكب القائد العثماني بكر صوباشي العام ١٦٢٢م. مجزرة كبيرة في بغداد ذهب ضحيّتها أرواح بريئة ودمّرت ممتلكات كثيرة. فقد استطاع هذا القائد بسط سيطرته على بغداد بالبطش والإرهاب مما أثار مخاوف الباب العالي، فأرسل قوّة لتأديبه. فاستنجد صوباشي بالشاه عباس الصفوي الذي احتلّ بغداد والعتبات المقدّسة ورافقت هذا الاجتياح مذابح وأهوال تقشعرّ لها الأبدان. فتفاوض العثمانيون مع عباس الصفوي وأسفرت المفاوضات عن عقد معاهدة صلح في زهاب العام ١٦٣٩م.

وتقرّر بموجب هذه المعاهدة:

- وضع حدّ لأعمال العنف والمجازر.
- تكون مدن حصان وبدره ومندلي ودرتنك ودرنة خاضعة للسلطان.
- الجبل يبقى خاضعاً للشاه.
- هدم قلعة زنجير الواقعة على قمّة الجبل.
- احتفاظ الشاه بقلعة هورمان.
- تدمير قلعة قتور وماكو ومعازيد.

وقد أدى ابرام معاهدة زهاب إلى قيام حال سلم واستقرار في أرجاء إيران دامت قرابة ثمانين سنة تقريباً. وقد مكن ذلك الشاه من إصلاح موارد الدولة المالية والحد من النفقات العسكريّة وإعادة تنظيم القوات المسلّحة.

- الفارق ما بين طبيعتي تكوين الجيشين العثماني والصفوي:

- الجيش الصفوي يتشكّل من أبناء البلاد، بينما معظم الجيش العثماني قوامه من المرتزقة.
- قادة الجيش الصفوي يتألّفون من رؤساء القبائل وأمراء البيت الصفوي والقاجاري، بينما قادة الجيش العثماني من أصول غير تركية.
- هدف الجيش الصفوي ديني ويحمل رسالة دينية لنشر الإسلام الشيعي في المناطق المحتلّة، بينما يسعى الجيش العثماني لتحقيق توسّعات مناطقيّة بهدف السيطرة والربح والتجارة والسلطة.

- يستند الجيش الصفوي في فتوحاته إلى فتوى دائمة بضرورة تحرير الأعتاب المقدّسة في العراق بينما يحتاج السلطان إلى فتوى جديدة في كلّ مرة يريد مهاجمة هدف أو منطقة أو شعب.

وقد توالت المعاهدات في كلّ مرّة تتجدّد فيها الحرب بين الطرفين حتى أصبحت عادة إبرام المعاهدات شائعة تكتب بنودها قبل اندلاع الحرب. ومن هذه المعاهدات:

- معاهدة همدان: ١٧٢٧م.
- معاهدة القسطنطينيّة: ١٧٣٦م.
- معاهدة مغاف: ١٧٤٦م.
- معاهدة أرضروم الأولى: ١٨٢٣م.
- معاهدة أرضروم الثانية: ١٨٤٧م.

٧ - مثال على نصّ المعاهدات:

معاهدة أرضروم الأولى ١٨٢٣:

المقدّمة:

الحمد لله المحمود فعاله، المحدود على خلقه برّه وأفضاله، الذي خصّ كثيراً من السلاطين بتاج العز والتمكين، غير انه حميد العواقب، فيهم سعيد المواهب والمناقب، رغب على السلم كافة المؤمنين، سيما أساطين ملوك هذا الدين المبين، بيد أنه لا يوفق به إلاّ من استنار له الضمير، وصفى عنده السمير. سبحانه ما أعظم شأنه، وأتم برهانه، فنزع بلطفه ما في الصدور من غلّ ونفور، ثمّ ألّف بين القلوب، وأمست عيون الفتن عمياناً، نشكره على ما سهل لأدائه طريْ الجهاد في سبيله على أعدائه أهل الشرك لتحصين حوزة المسلمين. المؤمنون يد واحدة على من سواهم، المؤمنون كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه شداً.

الشروط:

إن الطرفين يتجنبان كلّ ما من شأنه إثارة روح الكراهية والبغضاء بين الدولتين وكلّ ما يتنافى مع أواصر المحبّة والصداقة:

- إعادة جميع القلاع والأراضي والقرى التي انتزعتها إيران إلى الدولة العثمانيّة خلال فترة ستين يوماً من تاريخ تصديق المعاهدة.
- إطلاق جميع الأسرى من الجانبين وتزويدهم بنفقات العودة إلى ديارهم.
- عدم جواز تدخّل أي طرف من الطرفين المتعاقدين في الشؤون الداخليّة للطرف الآخر.

- لا يجوز للدولة الإيرانيّة التدخّل في شؤون الأكراد في العراق.
- يعفى جميع الرعايا الايرانيين الذين يقصدون مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة والعتبات المقدّسة من دفع الرسوم والضرائب إلاّ في حال اصطحابهم سلع تجاريّة وتستوفى منهم في هذه الحالة ذات الرسوم الجمركيّة التي تستوفى من الرعايا العثمانيين.
- لا يجوز قبول اللاجئين والفارين من دولة لأخرى.
- توثيقاً لروابط الأخوّة يجري تبادل السفراء بين الدولتين كلّ ثلاث سنوات مرّة.

الخاتمة:

تخضع بنود الاتفاقيّة للتصديق من الطرفين المتعاقدين وليس لأي منهما المطالبة بتعويضات عن الخسائر التي لحقت به ويطبق على الطرفين مبدأ «نسيان الماضي».

سادساً – أعوام القلق والتوتّر في العهد الملكي ١٩٢٠ – ١٩٥٨:

في ٢٠ حزيران العام ١٩٢٠ نشر الحاكم العسكري في العراق (سير ارنولد ولسن) بياناً أعلن فيه ان عصبة الأمم قررت وضع العراق تحت الانتداب البريطاني.[١] وتحدّدت مهمّة الانتداب بأنها مدّة الاحتلال وتأسيس حكومة وطنيّة تحقيقاً لأماني الشعب العراقي في الحرية والاستقلال، وأكّد السير ولسن أنه بصفته حاكماً عسكرياً عاماً سيسعى إلى تحقيق هذه الأماني وسيؤسّس إدارة مؤقتة يتولاها أمير عربي. وستجري انتخابات عامة لانتخاب مجلس تأسيسي يضم ممثّلين عن مختلف مناطق العراق يتولّى وضع دستور للبلاد.

لم يقابل الشعب العراقي قرار عصبة الأمم بالارتياح واعتبره ضرباً من ضروب التسويف والمماطلة لإطالة عمر الاحتلال

(١) أصدر مجلس عصبة الأمم قراراً بإخضاع جميع الأقطار العربيّة التي كانت تحت السيادة العثمانيّة إلى نظام الانتداب وعهد لبريطانيا أن تكون منتدبة على كلّ من فلسطين والعراق وشرقي الأردن. وفرنسا على سوريا ولبنان.

وتكريسه، واشتدّ نشاط المعارضة. فاستقرّ رأي الحاكم العسكري على تقليص مدّة الانتداب وتأسيس حكومة وطنيّة ذات سيادة وإجراء استفتاء عام.

عيّن عبد الرحمن الكيلاني رئيساً للوزراء، ثمّ اتخذ مجلس الوزراء قراراً بترشيح الأمير فيصل بن الحسين ملكاً على العراق وإجراء استفتاء عام لهذا الغرض. وافق الشعب العراقي بموجب الاستفتاء بأكثريّة ساحقة على ترشيح الأمير فيصل الذي توّج ملكاً عمل على إنهاء الاحتلال أو الانتداب وتأسّست أول حكومة وطنيّة العام ١٩٢٤.

مارست كلّ من إيران وتركيا على الحكومة العراقيّة الفتيّة ضغوطات شديدة وتعرّضت حدود العراق للمساومة من جهتين: مطالبة تركيا بولاية الموصل ومطالبة ايران بتعديل خط الحدود في منطقة شط العرب. وأصبحت هاتان القضيّتان الشغل الشاغل للحكومتين العراقيّة والبريطانيّة.

ومطلب تركيا بولاية الموصل يتضمّن حكماً المنطقة الكرديّة. ورافق ذلك رفض تركيا الاعتراف ببروتوكول الاستانة لعام ١٩١٣ الذي يرسم الحدود بين العراق وإيران، بحجّة ان هذا البروتوكول لم يعرض على مجلس النواب العثماني آنذاك ولم يصادق عليه السلطان. وكان من جراء هذا الرفض أن أعلنت الحكومة الايرانيّة هي الأخرى عدم اعترافها بخط الحدود وطالبت بتعديله.

أ - الحدود التركية العراقيّة:

في العام ١٩٢٢ شنّت القوات التركية سلسلة من الاعتداءات على حدود العراق الشماليّة فتصدّت لها قوات عراقيّة وبريطانية مشتركة واسترجعت مدينة راوندوز، وزار الملك فيصل مدينة الموصل لطمأنة السكان.

بذلت بريطانيا جهوداً حثيثة لحماية حدود العراق من الاعتداءات التركية والايرانيّة، واستخدمت نفوذها لدى الجارتين للعراق لاحترام حدوده المتفق عليها قبل نشوب الحرب العالميّة الأولى.

وكانت تركيا تكنّ الضغينة لبريطانيا، لأنها ساهمت في تفكيك الامبراطوريّة العثمانيّة وللملك فيصل لأنه كان قائداً للثورة العربيّة ضد العثمانيين.

قضيّة الموصل ومضاعفاتها:

في أوائل العام ١٩٢١ أعلن مصطفى كمال أن حكومة الاستانة الواقعة تحت سيطرة الحلفاء لا تمثّل الشعب التركي وهي بالتالي غير شرعية، وأن حكومة أنقره بمجلسها الوطني الكبير هي حكومة البلاد الشرعية. وقد ساعد مصطفى كمال باتخاذ هذا الموقف نجاح الثورة البولشفية وتعاطفها مع الثورة التركية.

ظلّت الحكومة التركية في أنقره تواصل مطالبتها بولاية الموصل ووقفت موقفاً متصلّباً من جميع المفاوضات الجارية بهذا الشأن. فتقرّر رفع قضيّة الموصل إلى عصبة الأمم التي قررت تشكيل لجنة خاصة لمعالجة المشكلة، أوصت بالطلب من تركيا الكف عن المطالبة بالموصل مقابل عقد معاهدة صداقة بين العراق وتركيا برعاية بريطانيا تخلّت بموجبها العراق عن قسم من عائدات النفط في منطقة «نفطخانة».

ب - الحدود العراقيّة الإيرانيّة:

طالبت الحكومة الايرانيّة، منذ تأسيس الحكم الوطني في العراق بتعديل خط الحدود الذي تمّ الاتفاق عليه إبّان الحرب العالميّة الأولى ولا سيما في منطقة شط العرب. واشتدّت مطالبتها بعد الانقلاب الذي قاده رضا خان قائد الفيلق القوقاسي الخاص وتولّيه رئاسة الوزارة.

شرع رضاخان يخطط لإسقاط النظام الملكي وإقامة دولة علمانيّة ذات نظام جمهوري إسوة بما حدث في تركيا. وتأثّر بالمفاهيم الغربيّة ولا سيما بموضوع تحرير المرأة. فأثارت هذه الأمور المخاوف لدى الشعب الإيراني وعلماء الدين في العراق وإيران.

ففي العام ١٩٢٣ أصبح رضا خان رئيساً للوزارة ونصح أحمد شاه آخر ملوك القاجاريين بمغادرة البلاد لقضاء مدّة راحة واستجمام. في ٢١ تشرين الأول العام ١٩٢٥ أنهى المجلس النيابي الحكم القاجاري وسافر ولي العهد منفياً إلى باريس.

في ٢١ كانون الأول من العام ١٩٢٥ نودي برضاخان ملكاً على إيران في جلسة استثنائية عقدها مجلس النواب.

في العام ١٩٣٢ ألغى رضا شاه إمتياز شركة النفط الانكليزيّة الفارسيّة نظراً للغبن

اللاحق بإيران من جرّاء هذه المعاهدة. وقد أدى الإلغاء لنشوء أزمة سياسيّة حادة بين إيران وبريطانيا. وفي العام ١٩٣٣ توصّل الطرفان إلى اتفاق جديد تنازلت بموجبه الشركة الانكليزيّة الفارسيّة عن نصف مساحة الأراضي المشمولة بالامتياز القديم وزادت أرباح حصّة إيران.

كان إلغاء الامتياز لشركة النفط انتصاراً وطنياً كبيراً لرضا شاه وحقق دخلاً قومياً ثابتاً على مدى أعوام طويلة لتنفيذ إصلاحاته العمرانيّة والإنمائيّة والإنفاق على القوى المسلّحة. وتوطّدت علاقة الشاه مع مصطفى كمال أتاتورك مما ساعد على تسوية مشكلات الحدود بين الدولتين وإلغاء الامتيازات الأمنيّة.

ج - إعتراف الحكومة الإيرانيّة بحكومة بغداد:

أرسلت الحكومة العراقيّة مذكّرة إلى قنصل بريطانيا في بغداد تشير فيها إلى ان الوقت حان لمفاتحة الحكومة الإيرانيّة بضرورة إعلان اعترافها بحكومة العراق. ولكن كانت هناك عقبات كثيرة تحول دون ذلك، منها الحيف الذي تعتبره إيران أنه لحق بها جراء تثبيت خط الحدود في شط العرب، بالإضافة إلى ازدواجيّة الجنسيّة بالنسبة للرعايا الإيرانيّة في العراق.

وفي العام ١٩٢٩ أعربت الحكومة الإيرانيّة عن استعدادها للاعتراف بحكومة العراق، وهكذا حصل في ٢٠ نيسان من العام ذاته خلال مأدبة أقامها رئيس وزراء إيران تكريماً للوفد العراقي وتبادل البلدان التمثيل الدبلوماسي وفق اتفاق مؤقت تضمّن ما يلي:

١ - يتبادل البلدان التمثيل الدبلوماسي والقنصلي.
٢ - معاملة الرعايا الإيرانيين المقيمين في العراق وفقاً لمبادىء القانون الدولي.
٣ - تبادل المنتجات الزراعيّة والصناعيّة.

وبعد ذلك الاتفاق تحسّنت العلاقات بين إيران والعراق وزار الملك فيصل طهران العام ١٩٣٢ وخيّم هدوء نسبي على الحدود المشتركة.

غير أن الأمور بدأت تتغيّر، وخرجت إلى العلن مشكلتان هما: حركة الملاحة في شط العرب والمخافر والمياه المشتركة.

د - حركة الملاحة في شط العرب:

ظلّ تثبيت خط الحدود في شط العرب مصدر قلق كبير يعكّر صفو العلاقات الثنائيّة بين ايران والعراق.

فقد نصّ بروتوكول ١٩١٣، وهو الأداة القانونيّة الدوليّة التي مهّدت لعمليّة تخطيط الحدود العثمانيّة الإيرانيّة، على أن يسير خط الحدود في شط العرب بمحاذاة الضفّة الشرقيّة حتى مصبّه في البحر، تاركاً النهر والجزر الواقعة فيه إلى الدولة العثمانيّة (أي إلى العراق)، واستثنى من ذلك ميناء المحمرة ومرساة اللتين ظلّتا خاضعتين للسيادة الإيرانية.

ولّما كانت حكومة العراق تمارس سيادة كاملة على شط العرب، فقد استأثرت وحدها بعائدات الموانىء وبشؤون الشط الفنية والإداريّة، من حيث سلامة مرور البواخر التجاريّة وناقلات النفط رغم وجود ميناءين إيرانيين كبيرين على الساحل الشرقي للشط هما عبادان والمحمرة.

فميناء عبدان مثلاً له الأرض فقط وليس الماء. وكان على البواخر التي تنطلق من عبادان أن يقودها ربّان عراقي تعبيراً عن السيادة العراقيّة على مياه الشط. وقد برزت المشكلة الأهم بالنسبة للبواخر الإيرانيّة الحربيّة التي كان عليها التقيّد بالأنظمة وتعليمات الملاحة ولاسيما مطالبتها بالتخلّي عن قيادتها وتسليمها إلى دليل عراقي ورفع العلم العراقي على ساريتها إعلاناً بدخولها المياه الاقليميّة العراقيّة.

وقد خلق هذا الوضع الشاذ والمعقّد مشكلات يوميّة ومخالفات إيرانيّة متعدّدة كانت موضع احتجاج عراقي على الدوام.

هـ - المخافر الإيرانيّة في الأراضي العراقيّة:

اعتادت إيران، وفي أوقات مختلفة، على إقامة مخافر للشرطة داخل الأراضي العراقيّة القريبة من الحدود المشتركة ومنها:

- مخفر جياه سرخ (العام ١٩٣١).
- مخفر البجيلية (العام ١٩٣١).
- مخفر شرش (العام ١٩٣٢).
- مخفر كاني سخت (العام ١٩٣٤).

وقد احتجّت العراق على هذه الخروق، واستجابت إيران إلى دعوة العراق بإزالة مخفر جياه سرخ كونه أقيم خطأً في

الأراضي العراقيّة، ورفضت طلباً مماثلاً لباقي المخافر مؤكّدة انها واقعة في أراض إيرانيّة.

و - معاهدة العام ١٩٣٧:

أطاح انقلاب عسكري خاطف تزعمه الفريق بكر صدقي، قائد القوات العراقيّة في ٢٩ تشرين الأول العام ١٩٣٦، بحكومة الجنرال ياسين الهاشمي. وهو أول انقلاب عسكري يقع في تاريخ العراق الحديث ليمهّد الطريق لسلسلة انقلابات لم يجن العراق منها سوى التصدّع والفرقة واضعاف الحياة الدستوريّة وتلاشي المؤسّسات الديموقراطية. وتولّى الوزارة حكمت سليمان الذي يعتبر من أشد المعجبين بمصطفى أتاتورك وخطواته الإصلاحيّة.

في هذه المرحلة جرت مفاوضات طويلة في كلّ من بغداد وطهران أفضت إلى توقيع معاهدة الحدود العام ١٩٣٧.

المعاهدة:

تعتبر هذه المعاهدة أهم معاهدة أبرمتها الحكومتان العراقيّة والإيرانيّة لتوثيق عرى الصداقة والأخوّة بين الدولتين.

وتضمّنت الأحكام التالية:

١ - اعترفت الدولتان ببروتوكول الاستانة العام ١٩١٣ وبمحاضر جلسات لجنة تحديد الحدود المشتركة العام ١٩١٤ وأضيفت إليه تعديلات في خط الحدود لصالح إيران حيث منحت رقعة من المياه لتوسيع مرسي عبادان.

٢ - تأليف لجنة مشتركة لإقامة دعائم الحدود.

٣ - بالنسبة إلى شط العرب اتفق على ما يلي:

- يبقى شط العرب مفتوحاً بالمساواة للسفن التجاريّة العائدة لجميع البلدان.
- يكون شط العرب مفتوحاً لمرور السفن الحربية العائدة للفريقين المتعاقدين.
- تحسين وصيانة الملاحة المشتركة في شط العرب.
- اتخاذ التدابير الأيلة لمنع التهريب.

وقد نتج عن هذه المعاهدة ثلاثة أمور مهمة هي:

١ - تنازل العراق لإيران عن سيادته على رقعة محدودة من مياه شط العرب لتسهيل حركة الملاحة من ميناء عبادان

النـفطي، تماماً كما فعلت قبلها الدولة العـثمانيّة عندما تنازلت يوم كانت في العراق عن رقعة محدودة لصالح ميناء المحمرة التجاري (خرمشهر حالياً).

٢ - اعترفت إيران لأول مرة بخط الحدود القديم الذي جرى تثبيته بموجب معاهدة أرضروم الثانية العام ١٨٤٧ وبروتوكول الاستانة (١٩١٣)، بينما كانت ترفض مثل هذا الاعتراف بحجة ان البرلمان الايراني لم يصادق على محاضر الجلسات.

٣ - استبعاد بريطانيا عن المشاركة في لجنة تحسين وصيانة الملاحة في شط العرب.

غير أن ظروف الحرب العالمية الثانية في كلّ من البلدين حالت دون استمرار تنفيذ بعض أحكام المعاهدة وملاحقها، وتجدّدت الخلافات والتجاوزات وتأزّمت العلاقة أكثر من مرّة. فقد انصبّ اهتمام إيران على تنفيذ البنود المتعلّقة بالملاحة في شط العرب بينما اهتمّت بغداد بتثبيت دعائم الحدود في المنطقة الجنوبيّة.

وقد لجأت إيران مرتين لإلغاء معاهدة طهران العام ١٩٣٧ من طرف واحد: مرة في أواخر العام ١٩٦٥ ومرة أخرى العام ١٩٦٩.

إن الخلافات القائمة بين العراق وإيران تعود إلى رواسب قديمة تراكمت جيلاً بعد جيل، أكثر مما تعود إلى مطالب إقليميّة أو حدوديّة. فعلاقات الدولتين لم تكن في يوم من الأيام ودّية، لا في العهد العثماني ولا في العهد الملكي ولا في العهد الجمهوري لانعدام الثقة وحسن النوايا بين البلدين.

استمرّ التوتّر بين البلدين في التصاعد، وسجلت اشتباكات حدوديّة وحشودات عسكريّة من قبل الطرفين، وفي العام ١٩٧١ قطعت العلاقات الإيرانيّة - العراقيّة بسبب الخلاف على الجزر الثلاثة في الخليج: طنب الكبرى، طنب الصغرى وأبو موسى.

في العام ١٩٧٤ تأزّم الوضع وانفجر على الحدود فاتخذ مجلس الأمن توصية بتعيين ممثل لحلّ المشكلة ومع وساطة جزائريّة تصالح الشاه وصدام حسين نائب الرئيس العراقي آنذاك وجمدت الخلافات وتمّ توقيع اتفاق جديد في العام ١٩٧٥ جاء في مجمله لصالح إيران بسبب انشغال العراق يومذاك ضد الأكراد في الشمال.

في العام ١٩٨٠ أعلن الرئيس العراقي صدام حسين إلغاء معاهدة (الجزائر) العام ١٩٧٥ من طرف واحد وكانت بداية لحرب شرسة وطويلة استمرّت ثمانية أعوام.

في العام ١٩٨٨ توقّفت الحرب على أساس قرار مجلس الأمن الرقم ٤٩٨ الذي كان البند الخاص بالحدود فيه غامضاً ولا تزال بقية بنود القرار غير مطبّقة وأهمّها توقيع اتفاق سلام بين البلدين الجارين.



الفصل الثاني

الحرب العراقيّة - الإيرانية ١٩٨٠ - ١٩٨٨

أولاً – إيران: الموقع والقدرات العسكريّة

أ - الموقع:

تتكوّن بلاد فارس (إيران) من هضبة واسعة اشتهرت باسم الهضبة الفارسيّة أو الإيرانيّة، تمتدّ بين هضبة ارمينيا شمالاً والهضبة الكبرى (الهضبة الأناضوليّة) الممتدة إلى الشمال الغربي منها.

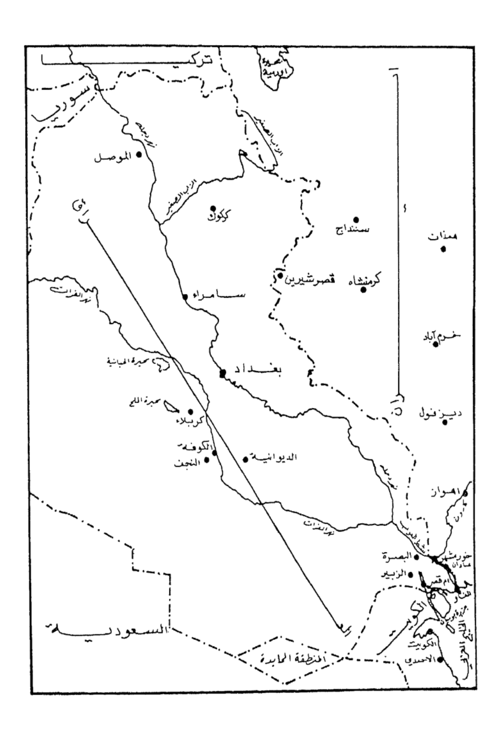
وتتحكّم الطبيعة كالعادة في أوضاع هذه البلاد من الناحيتين الجغرافية والديموغرافية، فهي تقع في منطقة الشرق الأوسط وتشترك مع هذه المنطقة في مختلف مواصفاتها الطبوغرافية والمناخية، كما تنطبق عليها الأوصاف الطبيعية ذاتها تقريباً. فهي تشكو الجفاف وقلّة الأمطار لأن الجبال المحاذية لها غرباً وجنوباً غرباً تحول دون تلقيها الرياح المشبعة بالرطوبة التي تهبّ عادة من الاطلنطي والبحر المتوسّط. وبما أن الصحارى تغطي ثلثي مساحتها فإنه لا يبقى من أراض صالحة للاستثمار إلاّ السهول المتاخمة للشواطىء وأودية الأنهار. ولكن بقاعاً واسعة أخرى تتلقى أمطاراً غزيرة تكفي الأعمال الزراعيّة وتخفف من حرارة الصيف.(١)

تقع إيران في قارة آسيا بين خطّي الطول ٤٠ – ٨٠ درجة وبين خطّي العرض ٢٠ – ٤٠– درجة، وهي جزء من منطقة الشرق الأوسط وفق الاصطلاحات الدولية المتعارف عليها.

---

(١) قراءات في حرب الخليج: المقدّم منذر الموصلي (١٩٨٨).

مسرَح عمليّات الحرب العراقيّة - الإيرانيّة



يحدّها شمالاً اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتيّة سابقاً، وغرباً الجمهوريّة العراقيّة وشرقاً باكستان وأفغانستان، بينما يحدّها جنوباً الخليج العربي وتشرف شمالاً على جزء من بحر قزوين.

هذا من ناحية الحدود الرسميّة، أمّا في الواقع التاريخي، أي إيران التاريخيّة، فإن حدودها الغربيّة والشماليّة الغربيّة تتوقف عند حدود كردستان أو بلاد الأكراد، المندمجة معها منذ بداية احتلالها الطويل لهذه البلاد والذي دشّنته رسمياً معاهدة ١٦٣٩ المعقودة بين شاه إيران والسلطان العثماني. أمّا حدودها الجنوبيّة الغربيّة فقد كانت تتوقّف دائماً عند حدود إقليم عربستان العربي والذي تمّ احتلاله منذ الثلاثينات من القرن المنصرم وأصبح يعرف باسم خوزستان.

ولعلّ هذا الموقع الجغرافي قد جعل لإيران تاريخاً شائكاً متشابكاً لا يهدأ لأنه كان دائماً يعرضها للاحتكاك مع الشعوب المجاورة مما نجمت عنه سلسلة من الحروب والمصادمات التي حفل بها تاريخ المنطقة. وكان موقعها يشكّل أيضاً حساسيّة لبعض الدول التاريخيّة، خصوصاً روسيا القيصريّة وتركيا العثمانيّة فنشبت حروب تضجّ بها كتب التاريخ. وكانت لإيران علاقات قوية مع الدول البحرية القديمة خاصة هولندا وبريطانيا والدانمرك بسبب موقعها على الخليج.

تبلغ مساحة إيران حالياً ١،٦٥٠،٠٠٠ كلم٢ (مليون وستماية وخمسون ألف كلم٢) بما في ذلك ١٢٥ ألف كلم٢ هي مساحة كردستان و١٨٥ ألف كلم٢ هي مساحة عربستان.

أمّا من ناحية المناخ، فإن إيران تقع في المنطقة المعتدلة الشمالية ويطغى عليها المناخ الصحراوي. ويتلقى بعضٌ من أراضيها أمطاراً جيّدة وخاصة في المرتفعات الجبليّة، وتعتبر الأشهر الثلاثة: كانون الأول، كانون الثاني، شباط الأكثر غزارة في الأمطار.

ولا تخلو إيران من الأنهار، لكن أنهارها متوسّطة في معظمها ولا تتمتع بأي شهرة ولعلّ أشهرها نهر الكارون الذي يصب في دجلة على الخليج وهو الذي احتلّ دوراً في الحرب العراقية - الإيرانية كمانع مائي هام. لكن هذه البلاد غنيّة بالمياة الجوفيّة وتوجد

فيها بحيرات أشهرها بحيرة «وان» وتقع في منطقة كردستان.

ومن ناحية التضاريس ترتفع بلاد فارس ما بين ٩٠٠ و١٨٠٠م عن سطح البحر أما الجبال فتقع خاصة في إقليم كردستان، ويمكن تعداد أربعة سلاسل من الجبال:

- سلسلة زاغروس وتتصل مع جبال طوروس ويبلغ ارتفاعها حوالي ٦٠٠٠م.
- سلسلة البرز التي ترتفع إلى ٥٦٧٠م وتقع في الجنوب الغربي من البلاد.
- سلسلة بختياري في الجنوب وترتفع حتى ٤٢٨٠م.
- سلسلة سيحان ومكران في الجنوب.

ومن ناحية الصحارى، تتميّز إيران بأنها صحراريّة، في ما يعادل ثلثي مساحتها تقريباً، وتقع في معظمها لناحية الشرق، وأشهرها الصحراء الملحية الكبرى وصحراء لوط وصحراء طحلب، وهذه الصحاري خالية من السكان.

ومن ناحية السكان، تتميّز إيران بتعدّد قومياتها وشعوبها فهناك العرب في عربستان (خوزستان) ويشكّلون ٢٪ من السكان. والأرمن ٠،٦١٪، والأكراد والتركمان حوالي ٢٠٪، بينما يشكّل الفرس غالبيّة السكان بنسبة حوالي ٧٥٪.

يبلغ عدد السكان الإجمالي حوالي خمسين مليون نسمة وتبلغ الزيادة السنوية نحو ٤٪ وهي نسبة عالية.

اللغة الرئيسيّة في البلاد هي الفارسيّة أو الأعجميّة، ويتكلّمها ثلاثة أرباع السكان تأتي بعدها اللغة التركية والعربيّة وغيرها.

ومن ناحية الأديان والمذاهب يعيش في إيران المسلمون والمسيحيون واليهود. والغالبية مسلمة على المذهب الشيعي (فيهم الفرس والعرب والأكراد). السنّة أقليّة في إيران، وربما يقتصر وجودهم على الأكراد، أما اليهود فلا يتجاوز عددهم المائة ألف وقد نزح أكثر من نصفهم إلى فلسطين المحتلّة.

ب - القدرات العسكرية لإيران:[1]

تتمتع إيران بقدرات عسكرية تقليديّة ضخمة، بالإضافة إلى سعيها الدائم لحيازة

(١) دراسات عالمية: القدرات العسكرية لإيران (انتوني كوردزمان) (١٩٩٤).

أسلحة الدمار الشامل. وهذا الأمر يشكّل هاجساً وعامل خوف لدى جيرانها، وخاصة دول الخليج، كما تأخذه في الحسبان الدول الكبرى وخاصة الولايات المتحدة الأميركيّة.

ويكتنف الغموض الترسانة العسكرية الإيرانية ونفقاتها الدفاعية، فبينما قدّرت وكالة الاستخبارات الأميركيّة (C.I.A) أن إيران أنفقت ١٣ مليار دولار في العام ١٩٩٢ على الدفاع أوردت الوكالة الأميركية لضبط التسلّح ونزع السلاح أن الرقم ٤ مليارات. وأما المعهد الدولي للدراسات الاستراتجية. فقدّر أن المشكلات الاقتصاديّة لإيران بعد الحرب مع العراق أدّت إلى خفض إنفاقها العسكري كما يلي:[١]

١٠ مليارات دولار في العام ١٩٨٩
٦ مليارات دولار في العام ١٩٩٠
٣ مليارات دولار في العام ١٩٩٢
٢ مليارا دولار في العام ١٩٩٣

وقد بلغ الناتج المحلي في العام ١٩٩٢، ٧١ مليار دولار.

وللمقارنة فإن مجمل نفقات مصر خلال الأعوام ١٩٩٠ - ١٩٩١ - ١٩٩٢ - ١٩٩٣ كانت أقل بكثير من ملياري دولار. وبلغ متوسّط نفقات العراق ١٠ مليارات دولار خلال المدة من ١٩٨٨ إلى ١٩٩١. أمّا الكويت فقد أنفقت ١٥ ملياراً خلال الأعوام ٩٠ - ٩١ و٩٢. وتراوح نفقات تركيا بين ٦ و٧ مليارات في السنة والإمارات العربية تنفق ملياري دولار والمملكة العربيّة السعودية حوالي ٢٠ ملياراً.

١ - الدول التي باعت أسلحة إلى إيران بين الأعوام ٨٣ - ٩٣:

- الاتحاد السوفياتي: ٧ مليارات دولار
- الصين: ١٠ مليارات دولار
- الولايات المتحدة الأميركية: صفر
- دول أوروبا الغربيّة: ملياران
- الدول الأوروبية الأخرى: ٧ مليارات
- الدول الأخرى: ٨ مليارات

أي ما مجموعه ٣٤ مليار دولار، ولا تدخل في هذا الرقم الصفقات السرية

(١) دراسات عالمية: القدرات العسكريّة لإيران (انتوني كوردزمان) (١٩٩٤).

وعملية الشراء من السوق السوداء (خاصة قطع الغيار).

٢ - الصناعة العسكريّة الإيرانيّة:

تعمل إيران على توسيع نظام صناعاتها العسكرية، وفي حين لا توجد وسيلة لتقدير حجم المجهود الحربي الإيراني بدقّة، يعتقد بعض الخبراء أن ما تنفقه ايران على تصنيع الأسلحة التقليديّة يصل إلى مئات الملايين من الدولارات في السنة الواحدة. ووفق ما أدلى به أكبرتركان الوزير السابق للدفاع، فقد دمجت إيـران مصـانـع الحرس الـثـوري والقوات النظامية في نظام واحد، كما انها ضاعفت إنتاجها من الأسلحة ثلاث مرات منذ العام ١٩٧٩.

وتشير المعلومات غير الدقيقة إلى أنه كان لدى إيران خلال الحرب مع العراق حوالي ٢٤٠ مصنعاً حكومياً، وحوالي ١٢ ألف مشغل خاص وان عدد العاملين في تلك المؤسسات بلغ حوالي ٤٥ ألفاً.

وتقول إيران بلسان وزراء دفاعها انها تصنع الدبابات وصواريخ سكود على نطاق واسع.

وتتلقى إيران دعماً في مجال التصنيع العسكري من كوريا الشماليّة والصين وبعض دول أميركا اللاتينيّة. كما أنشأت مؤسّسة لإدارة صناعاتها العسكريّة أطلقت عليها إسم «مؤسّسة الصناعات الدفاعية» (D.I.O) وتتولّى الإشراف على صناعة الطائرات العادية والمروحيّة وبعض جوانب الالكترونيات.

ولإيران طبعاً القدرة على تصنيع الذخيرة وقطع المدفعيّة والهاون والأسلحة المضادة للدبابات والأسلحة الفردية الاوتوماتية، وتمتلك إيران القدرة لإعادة بناء المحرّكات النفاثة للمقاتلات الأميركية وكذلك بإمكانها صنع راجمات الصواريخ والصواريخ البعيدة المدى... وتبذل جهوداً لتحسين مستوى المقاتلات من طراز F4 وF14.

٣ - الطاقة البشرية العسكريّة لايران:

تعتبر ايران أكثر دول الخليج كثافة بالسكان، الأمر الذي يوفّر لها ميزة عالية في بناء قواتها المسلّحة. ويصل إجمالي الذكور

الايرانيين الذين تراوح أعمارهم ما بين ١٥ و٤٩ سنة إلى حوالي ١٤ مليون نسمة. وتقدّر ألـ C.I.A ان حوالي ٨ ملايين نسمة قادرون على الخدمة العسكرية وان نحو ٦٠٠ ألف نسمة يصلون إلى التجنيد كلّ عام.

ويقدّر الخبراء عديد الجيش المهني بحوالي نصف مليون فرد بما فيه الحرس الثوري الذي يصل عديده إلى ١٢٠ ألفاً.

وفي المقابل يصل عدد القوات العراقية إلى ٣٨٠ ألفاً.

٤ - القوات الايرانيّة البرية:

تتألّف القوات البرية (العام ١٩٩٥) من ١٢ فرقة و٤٠ لواء متحرّكاً. والفرق هي: ٤ فرق مدرّعة و٧ فرق مشاة وفرقة للقوات الخاصة.

وينتشر الجيش الايراني حالياً على حدود العراق من شمالها إلى جنوبها في ثلاثة تشكيلات كلّ منها بحجم جيش.

وتنتشر هذه القوات في صورة خاصة في زاهدان (الجنوب الشرقي) ومشهد وجورجان في الشمال الشرقي، وطهران وقزوين في المنطقة الشماليّة الوسطى وفرام اباد وأصفهان وشيراز في وسط إيران. ويقع مقر القيادة العامة لسلاح الطيران في طهران ومشهد ويتم تدريب المشاة والمدرّعات في شيراز والإشارة في تبريز والصواريخ في أصفهان.

وتملك إيران (تقديرات العام ١٩٩٥) حوالي ١٢٤٥ دبابة منها ٣٠٠ من طراز إم ٤٧ وإم ٦٠، و١٣٥ دبابة تشيفتين و١٥٠ دبابة من طراز تي ٦٢ و١٧٥ دبابة من طراز تي ٧٢ و١٨٠ دبابة من طراز تي ٥٤ وتي ٥٥ و٢٥٠ دبابة من طراز تي ٥٩.

وتقول إيران إنها صنعت دبابة جديدة أطلقت عليها اسم «ذو الفقار» العام ١٩٩٤ ويقول الخبراء إنها قريبة من تي ٧٢.

وفي الترسانة الايرانية ما يقارب ١٢٥٠ ناقلة جند مدرّعة وعربة قتال مدرّعة، منها حوالي ٥٠ عربة قتال طراز سكوربيون من بريطانية.

وتملك ايران صواريخ مضادة للدبابات من طراز تاو ودراغون من الولايات المتحدة. بالإضافة إلى قاذفات آر.بي.جي.

وفي القوات البرية حوالي ٢٥٠٠ قطعة من مدفعيّة الميدان الثقيلة والمتوسّطة وراجمات الصواريخ. وتملك إيران حوالي ٥٠ مدفعاً

صينياً من عيار ١٢٢ ملم و٢٠ مدفعاً ذاتي الحركة عيار ١٤٦ ملم من كوريا الشمالية وأكثر من ٥٠ مدفع هاوتزر روسي الصنع عيار ١٢٢ ملم. بالإضافة إلى قطع أميركية من عيارات مختلفة.

وتملك إيران حوالي ٢٠٠ راجمة صواريخ عيار ٢٤٠ ملم صينية وسوفياتية ويصل مداها إلى حوالي ٢١ كلم.

٥ - سلاح الحرس الثوري الإيراني:

يحاط تنظيم جهاز الحرس الثوري الإيراني الإسلامي بالكثير من الغموض، وتتفق أغلب المصادر على انه تمّ تقسيم جهاز الحرس الثوري العام ١٩٩٤ إلى ١١ إقليماً على صعيد الأمن الداخلي. أمّا على الصعيد القتالي فإن الحرس يتكوّن من ١٢ فرقة متوسّطة العدد وحوالي ٢٠ لواءً مستقلاً. وتتكوّن من المدرّعات والمشاة والقوات الخاصة والمظلات والدفاع الجوي والمدفعيّة والصواريخ والمهندسين ووحدات حرس الحدود.

وقد أجرت إيران في حزيران ١٩٩٥ مناورة واسعة النطاق أطلقت عليها اسم «عاشوراء» اشتركت فيها عناصر تنتمي إلى مجموعات واسعة من الحرس الثوري والقوات النظاميّة ونفّذت عمليات مشتركة في منطقة تقدّر مساحتها بحوالي ٤٠ ألف كلم[٢] اشترك فيها أكثر من ٣٠٠ ألف مقاتل.

٦ - القوات الجوية الإيرانية:

كانت القوات الجوية الإيرانية عند الإطاحة بالشاه، تضم ٨٥ ألف رجل و٤٥٠ طائرة مقاتلة. ثمّ شهدت هذه القوات انتكاسات متلاحقة خلال الحرب وبفعل الحظر الذي فرض على إيران من الولايات المتحدة الأميركيّة. ثمّ ما لبثت أن بدأت باستعادة قدراتها تدريجياً اعتباراً من العام ١٩٨٨ حتى وصل عدد الطائرات المقاتلة إلى ٣٠٠ في العام ١٩٩٥ وأفراد القوات الجوية إلى ١٥ ألفاً.

تضمّ القوات الجويّة ١٨ سرباً من الطائرات الحربيّة موزّعة كالآتي:

مقاتلات هجوميّة:

- ٤ أسراب (٦٠ طائرة) من طراز إف ٤ دي/أي F4D/E

- ٤ أسراب (٦٠ طائرة) من طراز إف ٥ اي أف F5 E/F
- سـرب واحـد (٢٠ طـائـرة) مـن طـراز سوخوي ٢٤

مقاتلات دفاع جوي:
٧ أسراب (١٤ F) وميج ٢٩، و(٧ F).

- سرب طائرات استطلاعيّة (٢٣ طائرة)
- سرب طائرات تدريب.

وتملك قـوات الحرس الـثـوري بـعض الـعـناصر الجوية وتـتولّى تشغيل بعض طائرات إيران المصنّعة في الصين.

وتقع أهم القواعد الجوية الإيرانية في بندر عباس وبوشهر ودزفول ودشان وطهران وهمذان وأصفهان وشيراز وتبريز وزاهدان.

ويتبيّن أن معظم معدات القوات الجوية وأسلحتها أميركيّة الصنع. ولكنها أبرمت حديثاً بعض الصفقات لشراء مقاتلات صينية من طراز إف 6 أم (F6M) وإف 7 أم F7M. ولدى إيران طائرات روسيّة من طراز ميغ وسوخوي.

وتجدر الملاحظة إلى الطائرات العراقيّة التي فرّت إلى إيران خلال حرب الخليج الثانية ويبلغ عددها، وفقاً لمصادر إيرانية، حوالي ١٠٦ طائرة بينما يقول العراق ان عددها يزيد على ١٤٠ طائرة وهي من أنواع مختلفة: ميراج وسوخوي وميغ.

٧ - قوات الدفاع الجوي:

تلعب قوات الدفاع الجوي الإيرانية المتمركزة في القواعد الأرضية دوراً حاسماً في بلورة الاستعداد الإيراني لتحمّل الأخطار واستخدام القوات العسكرية التقليديّة. ويبلغ تعداد القوات العاملة في مجال الدفاع الجوي حوالي ١٢ ألف رجل، منهم ثمانية آلاف نظامي وأربعة آلاف من الحرس الثوري الإسلامي.

وتملك إيران ٣٠ وحدة لإطلاق صواريخ هوك (١٥٠ قاذفة) وحوالي ٦٠ قاذفة صواريخ من طراز إس إي 2 صينيّة الصنع وثلاث وحدات بعيدة المدى سوفياتيّة الصنع من طراز إي إس 5.

كما يضمّ مخزون إيران من أسلحة الدفاع الجوي الخفيفة ٣٠ وحدة لإطلاق

صواريخ رابير وحوالي ٢٠٠٠ مدفع مضاد للطائرات.

وتنتشر قوات الدفاع الجوي في أهم الموانىء والمنشآت النفطيّة والعاصمة طهران وبعض المدن الهامة.

٨ - القوات البحريّة الإيرانيّة:

تتعامل معظم دول الخليج مع القوّة البحريّة كمسألة ذات أهمية ثانويّة. غير أن إيران أعطت الأولويّة لتحديث قواتها البحريّة منذ نهاية حرب العراق. وقد حصلت على صواريخ من الصين وغواصات صغيرة من كوريا الشماليّة وروسيا، وتلقّت دعماً فنياً من باكستان، ونفّذت القوات البحريّة مناورات تدريبيّة مشتركة مع القوات البريّة والقوات الجويّة.

في أوائل العام ١٩٩٥ بلغ العدد الإجمالي للأفراد العاملين في البحريّة النظاميّة الإيرانيّة والتابعة للحرس الثوري وقوات المشاة البحريّة المارينز ما يقارب ٣٨ ألف رجل، بينهم ١٨ ألفاً من القوات النظاميّة و٢٠ ألفاً من الحرس الثوري.

ويتكوّن المخزون الحربي للقوات البحريّة من مدمّرتين وثلاث فرقاطات وعشر سفن صاروخيّة وثلاث وثلاثين سفينة بحريّة خفيفة لخفر السواحل وأعمال الدورية، وخمس سفن لحرب الألغام، وتسع طائرات مروحيّة مسلّحة، وثماني مركبات برمائيّة. وتتركّز معظم قطع البحريّة النظاميّة في بندر عباس وتملك إيران قاعدة بحريّة كبيرة في بوشهر.

وما يزيد من قدرة إيران البحريّة امتلاكها مخزوناً ضخماً من الألغام المضادة للسفن الأميركيّة الصنع من نوع مارك ٦٥ والسوفياتيّة الصنع من نوع إي، إم. دي 500 (A.M.D 500) وبعض نسخ عنها من الصين.

وباستطاعة إيران استخدام الألغام في كلّ أنحاء الخليج العربي وبعض الأجزاء من خليج عمان.

ولدى القوات البحريّة قطع برمائيّة مهمّة وفق المقاييس الخليجيّة وتشمل أربع سفن دعم برمائي للإنزال من طراز هنجام (لاراك) وثلاث سفن إنزال من صنع كوريا الجنوبيّة من طراز إيران هرمز وسفينة إنزال واحدة من طراز إيران - أجر بالإضافة إلى

سفن أخرى. وباستطاعة إيران نشر ما يقارب ٨٠٠ إلى ١٢٠٠ جندي و٣٠ إلى ٥٠ دبابة في هجوم برمائي.

واشترت إيـران الـعـام ١٩٨٨ ثـلاث غواصات صغيرة الحجم من صنع كوريا الشماليّة تغوص حتى عمق ٣٠٠ قدم. كما حصلت كذلك على غوّاصتين أسمتهما الطارق والنور وعلى غوّاصة روسية من طراز كيلو بتكلفة مقدارها ٦٠٠ مليون دولار.

٩ - صواريخ إيران طويلة المدى:

تملك إيران صواريخ سكود بي الروسية من صنع كوريا الشماليّة وصواريخ سي أس أس ٨ صيني الصنع.

وصواريخ السكود موجودة منذ أوائل الثمانينات ويبلغ مداها بين ٢٩٠ و٣١٠ كلم، وطول الواحد منها أحد عشر متراً ونصف المتر وقطره ٨٥ سنتم. ووزنه ٦٣٠٠ كلغ. ويزن رأسه الحربي حوالي ١٠٠٠ كلغ ويبدو ان عدد الصواريخ من نوع سكود الذي اشترته إيران يبلغ ٢٥٠ صاروخاً.

ويعتقد العديد من الخبراء الأميركيين ان الصين تقوم بصورة نشطة بتزويد إيران بالتكنولوجيا التي تحتاجها لإنتاج صاروخ السكود. كما زوّدت الصين إيران بحوالي ٢٠٠ صاروخ من طراز سي إس إس ٨ الذي يصل مداه حتى ١٥٠ كلم.

كما نجحت إيران في شراء صاروخ سكود سي من كوريا الشمالية (حوالي ٦٠ صاروخ) يبلغ مداه حوالي ٥٠٠ كلم ووزن شحنته المتفجّرة حوالي ٥٠٠ كلغ.

١٠ - الأسلحة الكيماوية لدى إيران:

وقّع كلّ من إيران والعراق بروتوكولات جنيف للعام ١٩٢٥ التي تحظّر استعمال الغازات السامة، كما وقّعتا ميثاق حظر الأسلحة البيولوجيّة للعام ١٩٧٢.

ويقدّر الخبراء ان إيران بدأت بإنتاج الأسلحة الكيماويّة أوائل الثمانينات رداً على استعمال العراق لهذه الأسلحة ضدها. وقد وصف الرئيس رفسنجاني في تلك الحقبة الأسلحة الكيماوية كما يأتي:

«إن الأسلحة الكيماويّة والبيولوجيّة هي بمثابة القنابل النووية للفقراء ويمكن إنتاجها بسهولة ويجب على الأقل التفكير فيها

للدفاع عن أنفسنا. وبرغم ان استعمال هذه الأسلحة يعدّ عملاً غير إنساني، غير ان الحرب علّمتنا ان القوانين الدولية في الحروب ليست سوى قصاصات ورق».

وقد أسندت مهمّة إنتاج مثل هذه الأسلحة إلى الحرس الثوري الإسلامي بدعم من وزارة الدفاع.

ورغم أن إيران لم تستعمل مثل هذه الأسلحة في حربها مع العراق إلاّ أنه كان لديها بحلول آذار ١٩٨٨ مصانع لإنتاجها في دامجان وبارشين.

ومن الأسلحة الكيماويّة التي أنتجتها إيران غاز الخردل الكبريتي والسيانيد وغاز الكلورين. وتأخّرت بإنتاج غاز الأعصاب مثل الزارين حتى أوائل التسعينات.

وقد تسنى لإيران تطوير مدفعيّة صالحة لاستعمال رؤوس حربيّة صاروخيّة وقنابل من عيار ١٥٥ملم و١٢٢ ملم.

١١ - الأسلحة النووية الإيرانيّة:

في العام ١٩٩٥ أعربت الولايات المتحدة عن قلقها العميق تجاه سعي إيران إلى امتلاك الأسلحة النوويّة. ونقل عن وزير خارجيّة أميركا في ذلك الوقت وارن كريستوفر أن إيران حاولت لسنين عديدة شراء مفاعلات الماء الثقيل لإنتاج البلوتونيوم. وهي تكرّس مواردها لتخصيب اليورانيوم إلى مستويات صنع الأسلحة بمساعدة الاتحاد السوفياتي سابقاً. وتشير التقديرات إلى أن إيران كان لديها أقل من ٥٠٠ عالم فيزياء نووية ومهندس وخبير فني في أواخر الثمانينات.

وقد أعلنت إيران العام ١٩٨٧ أن لديها خططاً لإنشاء مصنع لاكسيد اليورانيوم المشبع في إقليم «يزد» وباشرت بناء منشأة لمعالجة اليورانيوم وتخصيبه وإفتتحت في آذار ١٩٩٠ مصنعاً جديداً لمعالجة اليورانيوم الخام. وتعود فكرة حصول إيران على السلاح النووي إلى أيام الشاه عندما اشترى أكسيد اليورانيوم المشبع من جنوب افريقيا والأرجنتين في أواخل السبعينات.

إن موضوع حصول إيران أو سعيها للحصول على السلاح النووي يتفاعل بقوّة في المرحلة الحاليّة، وهو القضية التي تشكّل نقطة خلاف وتوتر بين الولايات المتحدة ومجلس الأمن من جهة وإيران من جهة أخرى. وقد أبدت طهران استعداداً لوقف عمليات

تخصيب الاورانيوم وسمحت للمفتشين الدوليين بزيارة ايران للكشف والاستطلاع، وهناك محاولات جدية غربية لمنع إيران من الانضمام إلى نادي الدول النووية.

ثانياً – العراق: الموقع والقدرات العسكرية

أ - العراق: الموقع الجغرافي:

تبلغ مساحة العراق ٤٤٥٤٨٠ كلم٢، منها ٥٠٪ أرض صحراوية و٢٠٪ أرض مزروعة و٥٪ أرض مروية و٢٥٪ أراضي غير مستثمرة.[١]

يبلغ طول الحدود العراقية على الخليج العربي حوالي ٢٥ كلم، أما المنطقة الحدوديّة بين العراق وإيران فهي أراض قبلية تقطنها اثنيات غير فارسيّة وغير عربيّة معظمها من الأكراد وقد خططت الحدود بين البلدين لصالح إيران عسكرياً ويبلغ طول الحدود بين البلدين ١٢٠٠ كلم معظمها جبلي، كما قلنا، وخاصة في الشمال (جبال زغروس عرين الأكراد).

١ - السكان في العراق:

بلغ عدد سكان العراق أثناء اندلاع الحرب حوالي ١٥ مليون نسمة منهم ٨٢٪ عرب و١٨٪ أكراد.

أما التوزّع المذهبي فهو على الشكل التالي:

- ٦٠٪ شيعة.
- ٣٣٪ سنة، نصفهم أكراد.
- ٧٪ نصارى، كلدان، أرمن وأشوريون.

يقطن الشيعة منطقة الجنوب في العراق، أي البصرة وشط العرب، بينما يقطن الأكراد المناطق الشمالية الشرقية الجبليّة (جبال زعدوس).

إن اللغة الرسميّة هي العربيّة، والكرديّة لغة ثانوية عامية خاصة بالأكراد. أمّا الدين الرسمي فهو الاسلام.

٢ - الاقتصاد العراقي:

يشكّل النفط مصدر الغنى الأساسي للدولة العراقيّة ويعتبر خامس احتياط نفطي في العالم. وقد كان يصدّر إبّان

(١) الصراع العراقي- الإيراني، بحث في كلية القيادة والأركان اللبنانية للعميد الركن وهبة قاطيشا.

الحرب ٣ ملايين برميل يومياً ويعتبر الرابع في OPEP وثاني احتياط في المنظّمة ذاتها.

يجري تصدير النفط عبر مضيق هرمز بالإضافة إلى أنابيب تصل إلى طرابلس في لبنان وبانياس في سوريا ودوريتول في تركيا (متوقّفة حالياً).

يمتلك العراق ثلاثة مرافىء فقط: البصرة، الفاو، وأم قصر.

بعد اندلاع الحرب انخفض تصدير العراق من النفط إلى حوالي ٧٠٠ ألف برميل يومياً، وقد بلغ دخله السنوي العام ١٩٨٠ من النفط ٣٢ مليار دولار.

كما قدّر الخبراء العسكريون تكاليف الحرب التي استمرّت ثماني سنين بحوالي مليار دولار شهرياً.

ومن نقاط الضعف الاستراتيجية للدولة العراقيّة ضيق الانفتاح البحري (٢٥ كلم فقط) مع وجود ثلاثة مرافىء بحرية ومتقاربة جداً. كما أن حقول النفط محصورة في منطقتين فقط هما البصرة وكركوك. وأما وجود الأنابيب النفطيّة خارج العراق فيعتبر من نقاط الضعف العراقي.

٣ - العراق والجوار:

بقي العراق شقيقاً خطراً بالنسبة إلى دول الخليج، نظراً للأفكار القومية التي كان يبشّر بها ويعتبرها مصدر السلطة فيه.

ومما زاد في الطين بلّة انشقاق حزب البعث العربي الاشتراكي إلى فرعين متصارعين في كلّ من سوريا والعراق. وتعود جذور الصراع التاريخي بين البلدين إلى فجر الإسلام حول زعامة الامبراطوريّة الإسلاميّة العربيّة. وبقي هذا الصراع قائماً حتى غزو العراق من قبل دول التحالف الغربي، كما كان العراق يشكّل عدواً قوياً لدولة إسرائيل.

أما علاقة العراق بالعالم الخارجي فقد تلخّصت في عقد معاهدة صداقة العام ١٩٧٢ مع الاتحاد السوفياتي.

ثمّ حاول العراق التقرّب من الولايات المتحدة الأميركيّة للإفادة من التكنولوجيا الغربيّة فلم ينجح بسبب السياسة الأميركيّة المؤيّدة لإسرائيل. أمّا علاقاته مع فرنسا فكانت مميّزة فأفاد من التكنولوجيا الفرنسيّة، وخاصة في مجال الأسلحة والمفاعل الذري.

ب - القدرات العسكريّة للعراق:

ساهمت الدول الغربية بدعم الجيش العراقي ومدّه بالسلاح والعتاد للوقوف في وجه الثورة الإيرانية. كما عمل الرئيس صدام حسين على تطوير الصناعة الحربيّة لتخفيف ارتباطه وارتهانه للقوى الخارجيّة. وتأتي فرنسا على رأس قائمة الدول التي سلّحت العراق.

- الدخل السنوي للعراق (العام ١٩٩٣): ١٨ مليار دولار.
- معدّل النمو (العام ١٩٩٤): ١٪.
- نسبة التضخّم (١٩٩٣): ١٧٠٪.
- الدين (١٩٩٣): ٨٦ مليار دولار.
- الانفاق الدفاعي (١٩٩٣): ٢،٦ مليار دولار.

أمّا بالنسبة إلى عديد القوات المسلّحة فهو يختلف باختلاف المراجع والمصادر، ويعود الأمر في ذلك إلى السرية التي تبقى سيّدة الموقف لكلّ دولة عند الحديث عن قواتها المسلّحة.

وفقاً للمعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية جاءت تقديرات العامين ١٩٩٥ و١٩٩٦ كما يلي:

- السكان: ٢١ مليون نسمة.
- القوات المسلّحة العاملة الدائمة: ٣٨٢ ألف.
- مدّة الخدمة الإلزاميّة: ١٨ - ٢٤ شهراً.
- القوات الاحتياطيّة: ٦٥٠ ألفاً.
- عديد الجيش: ٣٥٠ ألفاً.

مفصّلة كما يلي:

- ١٩ فرقة مدرّعة - ميكانيكيّة - مشاة.
- ٧ فرق في قوّة الحرس الجمهوري مدرّعة، ميكانيكيّة ومشاة.
- ١٠ ألوية خاصة.

١ - المعدّات:

٢٧٠٠ دبابة من نوع:

- ت ٥٥ و٥٤ و٥٩ و٦٩ وت ٧٢ وت ٦٢ (روسيّة وصينيّة).
- تشفتين وم ٤٧ وم ٦٠.

١٥٠٠ عربة مدرّعة - استطلاع.

٩٠٠ عربة قتال للمشاة.

٢٠٠٠ ناقلة جند.

١٥٠٠ مدفع مقطوع ويشمل:

١٠٥ملم - ١٢٢ملم - ١٣٠ملم - ١٥٥ملم

٢٣٠ مدفع ذاتي الحركة
٢٥٠ راجمة صواريخ: ١٠٧ ملم - ١٢٧ ملم
- هواوين من عيارات مختلفة.
- صواريخ مضاد للدبابات: ساغر - ميلان.
٥٠٠ طائرة هليكوبتر منها:
هجوميّة مسلّحة ١٢٠ طائرة.
نقل ٣٥٠ طائرة.
٣ قواعد بحريّة في البصرة - الزبير وأم قصر.
فرقاطة واحدة من نوع ابن مرجد.
٧ سفن معدّة للدوريات.
١٠ سفن حربيّة للنقل.

٢ - القوات الجوية: حوالي ٣٠ ألفاً.
طائرات هجوميّة مقاتلة: ٣٣٠ طائرة ميغ وميراج وسوخوي.

٣ - القوات شبه العسكريّة:
حرس الحدود: ٢٠ ألفاً.
الأمن الداخلي: ٤٨ ألفاً.

٤ - القوات العسكريّة المعارضة:
٢٥ ألف مقاتل كردي.

لواء من اللجنة العليا للثورة الإسلاميّة متمركزة في إيران.
أمّا بالنسبة لـMilitary Balance - 1980) (1981 فكانت الأرقام كالتالي:
- العديد الإجمالي: ٢٤٢ ألفاً.
- الجيش البرّي: ٢٠٠ ألف مفصّلة كما يلي:
١٣ فرقة مشاة، آلية ومدرّعة.
- الجيش الشعبي: ٧ ٥ ألفاً.
- الاحتياط: ٢٥٠ ألفا.

٥ - المعدّات الثقيلة:
٥٠٠٠ دبابة، مصفحة. ناقلة جند سوفياتية الصنع.
١٠٠٠ مدفع من مختلف العيارات.
٣٣٠ طائرة مقاتلة وقاذفة.
٣٠٠ طائرة مروحيّة.
عدد القوات الجويّة: ٣٨ ألفاً.
عدد القوات البحريّة: ١٢ ألفاً.
المعدّات البحريّة: زوارق، سفن، قانصات غواصات، سفن إنزال، كاسحات ألغام.

ثالثاً – الهجوم العراقي وحرب المواقع

كيف بدأت الحرب من وجهة النظر العراقية؟

خلال المرحلة الواقعة بين حزيران وأيلول ١٩٨٠ ارتكب الإيرانيون ١٨٧ خرقاً وعمليّة عسكريّة وراء الحدود الإيرانية ضد مدن وقرى ومخافر حدودية عراقية.

ووفقاً للمصادر العراقية نشبت صباح الخميس في الرابع من أيلول ١٩٨٠ معارك جويّة وبحريّة ضارية، إثر قيام القوات الإيرانية بقصف مدن عراقية عدّة فضلاً عن بعض المنشآت النفطية، وأسقطت طائرتا فانتوم إيرانيتان.

أمّا بالنسبة إلى الحكومة الإيرانية، فقد نشبت الحرب في ٢٢ أيلول، وهو اليوم الذي شنّ فيه العراقيون هجوماً شاملاً، جواً وبراً وبحراً، وبدأوا غزو إيران.

ووفقاً لمصادر عراقيّة تمّ بناء لقرار مجلس قيادة الثورة العراقيّة توجيه ضربات حاسمة حيث شنّت القوات الجويّة يوم ٢٢ أيلول غارات على عشر قواعد عسكريّة وجويّة داخل الأراضي الإيرانية. وفي ٢٣ أيلول توغّلت القوات العراقيّة في الأراضي الإيرانية إلى عمق ١٥ كلم واحتلّت مدن سومار وقصر شيرين وجارنيل وشدّدت ضغوطاتها على مدينة المحمرة ودمّرت قسماً من مصافي عبدان.

الواضح إذن، أن العراق يعتبر بداية الحرب في ٤ أيلول على أساس الاعتداءات الإيرانية، بينما إيران تعتبر الهجوم العراقي الجوي والأرضي في ٢٢ أيلول بداية للحرب.

في الواقع، فإن الاتفاقيّة التي عقدت بين العراق وإيران عام ١٩٧٥، هي التي استند عليها العراق لبدء هجومه على إيران متهماً إياها بان الاتفاقيّة تحمل غبناً للعراق وقد وقع عليها مرغماً لانشغاله في حرب مع الأكراد. وبالتالي يعتبر العراق ان عودة العلاقات الطبيعيّة مع إيران ترتكز على أساس احترام السيادة العراقيّة. ولذلك دعا الرئيس العراقي منذ ٦ كانون الثاني ١٩٨٠ السلطات الإيرانيّة إلى تعديل اتفاق الجزائر للعام ١٩٧٥ في شأن شط العرب بسبب اضطرار العراق لقبول هذا الاتفاق قسراً

وتحت الضغوط الدوليّة ولانشغال العراق آنذاك بحربه ضد الأكراد في شمال البلاد.

واستناداً إلى ذلك طالبت بغداد بانسحاب القوات الإيرانية من الجزر الثلاث التي احتلّتها العام ١٩٧١ عقب القرار البريطاني بالانسحاب من السويس.

ويرى العراق أن الفرصة الآن باتت مؤاتية لاستعادة خسارته في العام ١٩٧١ بعد تعزيز قدراته العسكريّة والاضطرابات التي أصابت الجيش الإيراني بعد الثورة الإسلاميّة.

كما يعتبر العراق أن صراعه مع إيران هو صراع بين الفرس والعرب، أي أنه صراع عرقي وليس دينياً ولا دخل للاسلام بالموضوع.

ولقد حدّد الرئيس العراقي في ١٩٨٠/٨/٢٣ ثلاث شروط لإقامة علاقات طبيعيّة مع إيران:

- وقف تدخّل إيران في شؤون العراق الداخليّة.
- وقف تدخّل إيران في الشؤون العربيّة وعدم العمل على تصدير الثورة الإسلاميّة إليها.
- إعادة الجزر الثلاث التي احتلتها إيران في العام ١٩٧١.

أ - الهجوم العراقي:

وضع الحكم العراقي مناورة هجوميّة على مستويين:

- سياسي حكومي.
- عسكري.

١ - فكرة المناورة العراقيّة:

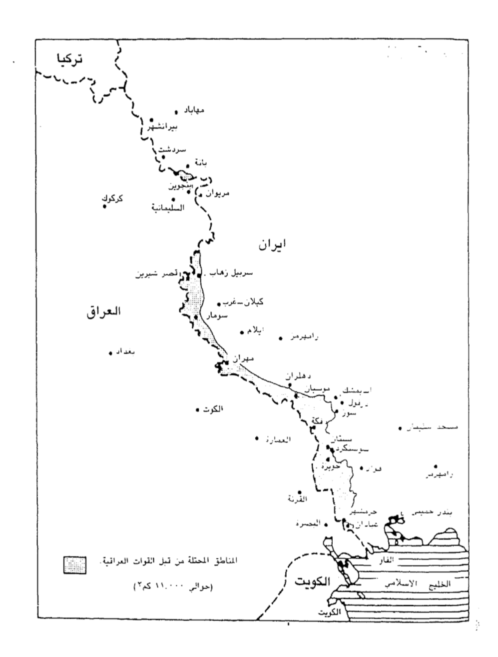
المناورة السياسيّة:

- مرحلة أولى: التصدّي للتهديد الإيراني بتدمير الآلة العسكريّة واحتلال قسم من أراضي إيران.
- مرحلة ثانية: إسقاط النظام الإسلامي وجرّ إيران إلى التفاوض على المشكلات العالقة وتحسين شروط اتفاق ١٩٧٥.

المناورة العسكريّة:

- مرحلة تحضيريّة: مفاجأة القوى الجويّة الإيرانيّة وتدميرها.

الجبهة في أيلول (سبتمبر) ١٩٨٠



- مرحلة أولى:

المنطقة الشماليّة:

وتهدف إلى تثبيت القوات الإيرانيّة في بقعة الشمال ومنعها من التوغّل داخل الأراضي العراقيّة في منطقة الأكراد بهدف الوصول إلى كركوك (مناطق النفط).

المنطقة الوسطى:

وتهدف إلى مهاجمة القوات الإيرانيّة على محور «قصر شيرين» واحتلال المنطقة الإيرانية التي تتحكّم بالطريق الاستراتيجية التي تصل إلى بغداد لتأمين حمايتها.

- مرحلة ثانية:

المنطقة الجنوبيّة:

وتهدف إلى احتلال منطقة دزفول وفتح الطريق باتجاه طهران، ثمّ مهاجمة منطقة عربستان حيث توجد أغلبيّة سكانية عربيّة واحتلالها.

- مرحلة ثالثة وأخيرة:

التشبث بالمكتسبات العسكريّة على الأرض لجرّ إيران إلى التفاوض لتحسين شروط اتفاق الجزائر العام ١٩٧٥.

٢ - محاور الهجوم العراقي:

- محور الشمال:

تمتدّ بقعة الشمال من أقصى الشمال حتى مدينة قصر شيرين بطول يقارب الـ٣٠٠ كلم، صعوداً من العراق باتجاه الشرق (جبال داغروس)، وتتضمّن محورين إستراتيجيين يصلان إلى كركوك والموصل.

ونظراً إلى طبيعة الأرض الجبليّة يصعب تقدّم الوحدات المدرّعة فيها بالنسبة لكلا الطرفين.

- محور الوسط:

تمتدّ بقعة الوسط من مدينة قصر شيرين في الشمال حتى مدينة مهران في الجنوب بطول ما يقارب الـ٢٠٠ كلم. وهذه البقعة عبارة عن هضبة في إيران تطلّ على بغداد، ويتخلّلها محوران استراتيجيان يمرّان عبر قصر شيرين ومهران للدخول إلى بغداد التي تبعد حوالى ١٠٠كلم فقط عن الحدود. لذلك تشكّل هذه البقعة نقطة ضعف في الجبهة العراقيّة.

- محور الجنوب:

تمتدّ بقعة الجنوب من مدينة طهران حتى الخليج بطول ما يقارب ٣٠٠ كلم، ويسمح القسم الشمالي منها فقط بالمناورة على مستوى الجيشين، بينما القسم الجنوبي يقسمه شط العرب إلى قسمين:

- منطقة البصرة في العراق.
- ومنطقة عربستان في إيران.

وعربستان عبارة عن منطقة سهليّة محاطة بالجبال تحتوي على ٩٠٪ من نفط إيران، ومقفلة بمحور واحد يربطها بمدينة طهران مروراً بمدينة دزفول. من هنا عمدت المناورة العسكريّة العراقيّة إلى تركيز الجهد الرئيسي العسكري على هذه البقعة بالذات.

٣ - توقيت بدء الهجوم العراقي:

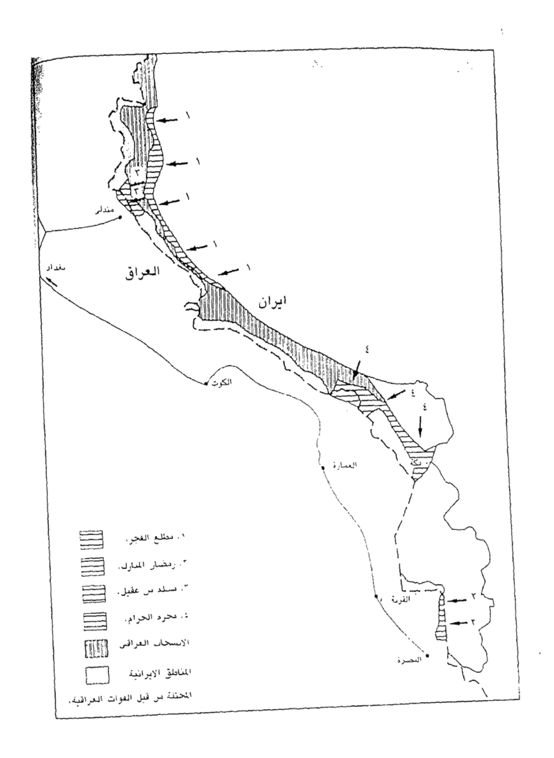
منذ بداية العام ١٩٨٠، ومع تصاعد التهديد الإيراني بعد انتصار الثورة الإسلاميّة، أخذ العراق يعدّ للقيام بعمل عسكري لدرء الأخطار الإيرانيّة والتصدّي لشعار تصدير الثورة الإسلاميّة إلى منطقة الخليج.

وتحت هذا العنوان العريض بدأت الأسلحة الغربيّة تتدفّق على العراق من مصادر فرنسيّة وإيطاليّة وإسبانيّة وبرازيليّة، بدأ الميزان العسكري يميل بقوّة لصالح العراق. مقابل ذلك شهد الجيش الإيراني تفكّكاً وتضعضعاً بعدما توقّفت الدول الغربيّة عن مدّه بالذخيرة وقطع الغيار. وقد قدّر المحلّلون العسكريون الغربيون أن العراق تلزمه حوالي سنتين لاستيعاب تدفّق الأسلحة الغربيّة عليه، وهذا يعني عدم تمكّنه من القيام بأي عمل عسكري ناجح ومضمون قبل العام ١٩٨١. وبما أن هذا العمل العسكري الرئيسي لا يمكن تنفيذه واستثماره إلاّ في بقعة الجنوب حيث المستنقعات ومجاري المياه، فقد حدّد الخبراء فصل الصيف من العام ١٩٨١ التاريخ الأنسب لهذا الهجوم بحيث تصبح الأرض صالحة لاستعمال المدرّعات في منطقة عربستان.

رغم كلّ هذه التوقّعات قام الجيش العراقي بالهجوم بتاريخ ٢٢ أيلول ١٩٨٠ للأسباب التالية:

- سرعة استيعاب الأسلحة الجديدة وقبل الوقت المقدّر لذلك من قبل الخبراء الفرنسيين.

العمليات من تموز (يوليو) إلى تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٢.



- اعتقاد العراق بأن المدّة المتبقّية له من طقس الصيف كافية لشنّ الهجوم واجراء تقدّم سريع.
- الإسراع في توجيه ضربة عسكريّة لإيران قبل أن تتمكّن الثورة الإسلاميّة من تثبيت جذورها ولملمة أوضاعها وتنظيم صفوفها.
- محاولة العراق إنهاء الحرب لصالحه قبل مؤتمر عدم الانحياز المقرّر عقده في بغداد ١٩٨٢، وبالتالي تكريس دوره الخليجي في المؤتمر.

من هنا كان الهجوم العراقي مفاجئاً للجميع.

ب - المعارك التي خاضتها القوات العراقيّة:

١ - العمليات الجويّة:

فجر ٢٢ أيلول، وفي غفلة من إيران، هاجم سلاح الجو العراقي معظم مطارات إيران العسكرية، مؤمناً بذلك المفاجأة الاستراتيجيّة المطلوبة. رغم ذلك فإن هذه المفاجأة لم تعط النتائج المرجوّة للأسباب التالية:

- ركّز سلاح الجو العراقي قصفة على مدارج المطارات بدل تدمير الطائرات المتمركزة على الأرض وذلك بسبب ضعف وسائل الاستطلاع والرصد العراقيّة لتحديد مراكز الطائرات بدقّة، بالإضافة إلى عدم تزويد العراق، وسلاح الجو في صورة خاصة، بالوسائل التقنيّة المتطوّرة لإصابة الأهداف بدقّة.
- قيام الطائرات الإيرانيّة في اليوم التالي للحرب بقصف بغداد والبصرة وبعض المدن الأخرى.
- عدم اعتماد دول العالم الثالث على سلاح الجو لإحراز النصر بسبب التعقيدات التقنيّة والاعتماد أكثر على القوات البريّة والمدرّعة أي الأسلوب الأسهل.

ويمكن القول إنّ كلا الطرفين تحاشى الإكثار من الطلعات الجويّة واقتصر نشاطهما على تفادي المعارك الجويّة والتصدّي لها باستعمال وسائل الدفاع الجوي.

ومن المفيد الإشارة هنا إلى الهدفين الكبيرين اللذين قصفتهما الطائرات الإيرانيّة في العراق بسبب عدم نجاح الضربة الجويّة العراقيّة:

الهدف الأوّل: قصف مركز البحوث النووي العراقي:

في ٣٠ أيلول ١٩٨٠، هاجمت إيران معمل كهرو-حراري في مدينة الدورة، وفي ذات الوقت هاجمت مبنى من الباطون المسلّح شرق بغداد كتب على مدخله «الصناعة الالكترونيّة» والحقيقة أن المبنيين المقصوفين هما مركزان للبحوث النوويّة.

وقد ذكرت يومذاك مجلّة الاكسبرس وجريدة لوموند الفرنسيّتان أن الإسرائيليين هم الذين نفّذوا الإغارة والقصف. كما أعلن الرئيس صدام حسين يومها أنه يمتلك الكثير من الأدلّة التي تؤكّد هذا الاحتمال.

الهدف الثاني: المجمع النفطي العراقي ومطار وليد العسكري:

صباح ٤ نيسان ١٩٨١ هاجمت أربع طائرات حربيّة إيرانيّة من طراز فانتوم ٤ (ف٤) مجمعاً نفطياً ضخماً. وفي نفس الوقت هاجمت تشكيلة أخرى مطار «وليد» العسكري القريب من المجمع المذكور. ويبعد هذا الهدف ٨١٠ كلم عن أقرب مركز انطلاق للطائرات الإيرانيّة ويستحيل الوصول إليه مباشرة من دون التزوّد بالوقود. لذا أكّد العراق في كثير من المناسبات أن سوريا متورّطة في هذا الهجوم. وقد وضعت إحدى مطاراتها القريبة من الحدود العراقيّة بتصرّف الطائرات الإيرانيّة. فمكثت فيه ٦٧ دقيقة قبل الهجوم للتزوّد بالوقود. غير ان سوريا نفت الخبر العراقي وكذبته.

بعد مرور ٤ سنين على الحرب، استطاع العراق أن يمتلك أسلحة جوية غربيّة متطوّرة فمال ميزان القوى الجويّة لمصلحته في شكل جذري، بحيث حقق سيطرة جوية شبه تامة، وأخذ سلاحه الجوي يضرب أهدافاً قرب مضيق هرمز إعتباراً من العام ١٩٨٦.

٢ - العمليات البريّة:

تنفيذاً لفكرة المناورة العراقيّة نفّذ الجيش العراقي المناورة التالية:

- في المنطقة الشماليّة:

تمركز الفيلق العراقي الأول على طول الجبهة لتثبيت القوات الإيرانيّة وعدم السماح لها بالتوغّل داخل الأراضي العراقيّة. ولم يلحظ في هذه المنطقة سوى نشاط محدود قام

به الجيش العراقي خلال شهر كانون الأول من العام ١٩٨٠، محدثاً بعض التعديلات الطفيفة على الحدود لصالحه.

- في المنطقة الوسطى:

هاجم الفيلق الثاني بفرقتين على محوري قصر شيرين ومهران وسدّ المنافذ الممكن استخدامها للتقدّم باتجاه بغداد القريبة من الحدود؛ محققاً بذلك الحيطة الأمنيّة للعاصمة. كذلك تمكّنت القوات العراقيّة من حماية الطرق المؤدّية من البصرة باتجاه بغداد وكركوك.

- في المنطقة الجنوبيّة:

تركّز الجهد الرئيسي للجيش العراقي في هذه المنطقة ونفّذ هجومه الأساسي على مرحلتين:

- المرحلة الأولى:

هاجم الفيلق الرابع انطلاقاً من منطقة مدينة العمارة لاحتلال مدينة دزفول وقطع الطرق الاستراتيجية عن منطقة عربستان لتأمين تغطية عمل الفيلق الثالث الذي كلّف باحتلالها.

وقد تمكّن الفيلق الأخير من احتلال مدن «سوزنفرد» و«البستان» و«الأهواز». كما حاول مراراً وعلى دفعات متلاحقة احتلال مدينة دزفول من دون جدوى. غير ان هذه المدينة وقعت لمدّة طويلة تحت مرمى المدفعيّة العراقيّة.

- المرحلة الثانية:

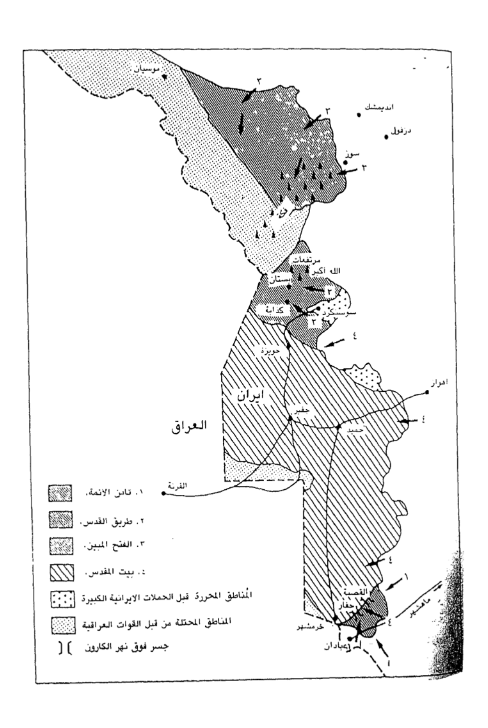
دخل الفيلق الثالث الأراضي الإيرانيّة وراء الفيلق الرابع وانحرف يميناً نحو عربستان في اتجاه مدينتي خورمشهر وعبدان الاستراتيجيتين. وقد نجح في احتلال خورمشهر بتاريخ ٢٥ تشرين الأول من العام ١٩٨٠، بعد ان دفع تكاليف باهظة في الأرواح والعتاد.

ولم تنجح القوات العراقيّة باحتلال مدينة عبدان أو إحكام الطوق حولها فبقيت المدينة متصلة بالداخل الإيراني عبر مدينة «دزفول».

٣ - الأخطاء العسكريّة - العراقية في الهجوم:

كانت لتعثّر الجيش العراقي في هذه البقعة أسباب عديدة منها:

العمليات من ١٩٨١ إلى أيار (مايو) ١٩٨٢



- بعد أسبوع من اندفاع الجيش العراقي داخل إيران أمر الرئيس صدام حسين جنوده بالتقدّم، وعرض على الامام الخميني الدخول في المفاوضات، فرفض الأخير هذا العرض. وبعد فشل العرض الذي امتدّ لبعض الوقت أمر الرئيس حسين جيشه بمتابعة التقدّم بعد أن فوّت على هذا الجيش فرصة الإفادة من الاندفاع الأساسي للهجوم.

- لم يكن العراقيون يتوقّعون المقاومة الشرسة الإيرانيّة في المدن، وخاصة في مدينتي دزفول وعبدان، ويعود الفضل في هذه المقاومة إلى حراس الثورة الإسلاميّة الذين لم يكن يحسب لهم حساب من الجانب العراقي.

- عدم تجاوب عرب عربستان مع تقدّم القوات العربيّة العراقيّة، وقد راهن العراقيون كثيراً على موضوع الأغلبيّة العربيّة الموجودة في عربستان لتحريرهم من أيدي الفرس.

- الفوضى وعدم التنظيم في المرفق اللوجستي. ومما زاد في تعثّر اللوجستيّة تنوّع المعدات العراقيّة. وكذلك شكا العراقيون من قدم الخرائط المستعملة والتي لم تعد متطابقة مع الواقع والمستجدات.

وقد أدّى هذا الأمر عملياً إلى توقف تقدّم القوات العراقيّة داخل الأراضي الإيرانيّة مع نهاية العام ١٩٨٠ لتبدأ حرب المواقع التي استمرّت حتى أيلول ١٩٨١، حيث استكملت إيران تعبئة طاقاتها وانتقلت إلى حرب التحرير.

رابعاً: العمليات الحربية الايرانية

١ - معركة ثامن الائمة:

وقعت هذه المعركة على مشارف مدينة عبدان النفطية يوم ٢٧ أيلول ١٩٨١، وكان الدافع الأساسي لها إعلان الرئيس الخميني أنه «يجب فكّ الحصار عن عبدان».

فمنذ الأيام الأولى للحرب كانت قوات بغداد قد نجحت في عبور نهر كارون بإقامة جسرين، واندفعت نحو حصار عبدان عابرة نهر بهمنشهر في منطقة ذو الفقار.

وقد بدأت معركة فك الحصار بسلسلة من العمليات الفدائيّة نفّذها عناصر من الحرس الثوري الإسلامي.

أما الهجوم الرئيسي فقد بدأ الساعة الواحدة صباحاً وعند الثانية بعد الظهر كان

كلّ شيء قد انتهى، وكانت السرعة التي نفّذت بها العمليّة سبباً لإنزال خسائر فادحة في صفوف القوات العراقيّة حدّدت كما يلي:

- ١٦٠ دبابة ومصفّحة.
- ٣٠ بلدوزر وشاحنة.
- ٥ مدافع عيار ١٥٥ملم.
- مزلقتان لإطلاق قذائف كاتيوشا.
- ١٥٠ سيارة وعربة متنوّعة.
- كمية كبيرة من الأسلحة والعتاد.

وتمّ كذلك أسر ١٨٠٠ جندي عراقي.

وانتهت المعركة التي استمرّت لساعات بفك الحصار عن عبدان.

وتبلغ مساحة المنطقة التي تمّ تحريرها ١٥٠كلم[٢] وتمتدّ على طول ثلاثة عشر كيلومتراً على ضفّة نهر كارون (أنظر الخريطة) وقد تمكّنت القوات الإيرانيّة المكوّنة من الفرقة ٧٧ وفيلق من الباسدران (الحرس الثوري) من تحطيم الطوق حول عبدان.

٢ - معركة طريق القدس:

جرت هذه المعركة في منطقة بستان يوم ٢٩ تشرين الثاني العام ١٩٨١.

وكان هدف العمليّة التي أطلق عليها اسم طريق القدس قطع الجبهة إلى قسمين في وادي جذابة بهدف حرمان القوات العراقيّة المتمركزة في الشمال من إمكان نجدة القوات المتركزة في الجنوب.

ووادي جذابة هذا هو شعبٌ عرضه ١ كلم وطوله ٤ كلم وكان يشكّل وسيلة الارتباط الوحيدة بين جناحي القوات العراقية المعسكرة في شمال الجبهة وجنوبها.

وكانت القوات الإيرانيّة قد أنشأت طريقاً يبلغ طولها ١٥ كلم في أرض جبليّة. وحين بدأ الهجوم بعد منتصف الليل بنصف ساعة تعرّضت المنطقة لأمطار غزيرة مما سهّل تنفيذ الهجوم ونجاحه، إذ جعل المطر الطريق الرملية صلدة ما أتاح عبور الدبابات والمشاة بسرعة. وفي اليوم التالي للهجوم كانت معظم الأهداف الهامة قد سقطت في أيدي الإيرانيين وأهمها تحرير الوادي وكذلك مدينة البستان وعدد كبير من القرى.

وقد بلغت مساحة الأراضي المحرّرة نحو ٦٥٠كلم[٢] وقد أصيب العراقيون بالدهشة والمفاجأة إذ لم يكونوا يتوقّعون هجوماً من الناحية الرمليّة، وقد استعمل الإيرانيون في

هجومهم الدبابات العراقيّة التي غنموها في فكّ حصار عبدان ممّا زاد من مفاجأة العراقيين.

وقد خسر العراقيون جراء هذه المعركة:

- ١٠٠ دبابة.
- ٧٠ مصفّحة.
- ١٥٠ عربة هندسة.
- ١٩ مدفعاً عيار ١٥٢ ملم.
- ٧٠ مدفعاً مضاداً للطائرات.
- مزلقتين لقذائف الكاتيوشا.
- ٢٥٠ عربة متنوّعة.
- كمية كبيرة من الأسلحة الخفيفة وأعتدة تحمل إسم المملكة العربيّة السعوديّة.

وقد بلغ عدد الأسرى العراقيين في هذه المعركة حوالي ٦٠٠ أسير.

وانتهت المعركة بتحرير بستان ووادي جذابة وقرى أخرى عدّة.

٣ - معركة «مطلع الفجر»:

بدأت المعركة التي أطلق الإيرانيون عليها اسم «مطلع الفجر» في ١١ كانون الأول ١٩٨١ غربي مدينة كيلان. وما ان بدأ الهجوم الإيراني حتى شنّ العراقيون هجمات مضادة عدّة ولكن بلا طائل.

وقد أسفرت هذه المعركة عن الخسائر التالية في صفوف العراقيين:

- ٣٠ دبابة ومصفّحة.
- ٢٥ عربة متنوّعة.
- كميّة كبيرة من السلاح والعتاد.

وقد تمّ تحرير شريط عرضه ١٠٠ كلم بعمق يراوح بين ٤ و١٠كلم وبلغت المساحة المحرّرة في المنطقة حوالي ١٦٠ كلم٢.

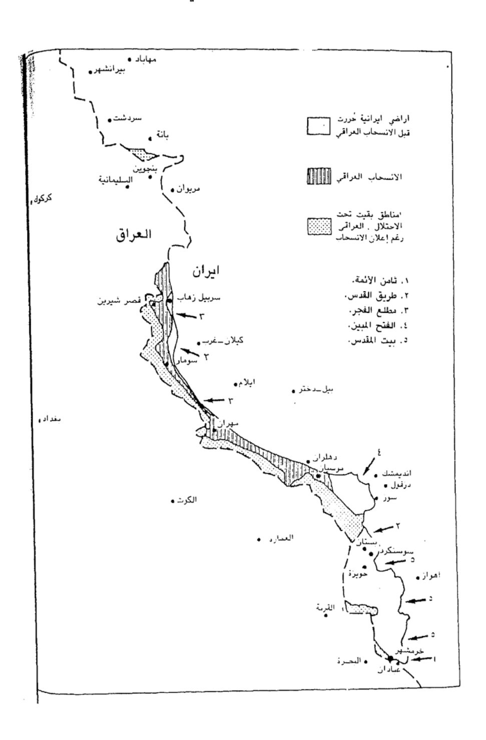
٤ - معركة «الفتح المبين»:

بدأت هذه المعركة في ٢٢ آذار من العام ١٩٨٢. وكانت ساحتها المنطقة الغربيّة لقاعدة دزفول الجوية. وهذه المنطقة هي ملتقى أربعة محاور رئيسيّة:

- محور خوزستان جنوباً.
- محور طهران شمالاً.
- محور الحدود غرباً.
- محور المنشآت النفطيّة شرقاً.

تقع أرض المنطقة في منطقة جبليّة مكوّنة من شعاب عدّة، كانت تشكّل مخابىء طبيعيّة فعّالة للمدرّعات العراقيّة. ورغم ذلك فقد باشر الإيرانيون هجومهم لسببين أساسيين:

الانسحاب العراقي



- الأول ذو طبيعة تكتيكيّة: إن هذه المنطقة لا تحتاج بحكم موقعها إلى الكثير من القوات للدفاع عنها بعد تحريرها، وبالتالي فإن هذا الأمر يمكن الإيرانيين من مواصلة هجومهم بأعداد وفيرة.

- الثاني ذو طبيعة سياسيّة. تسيطر هذه المنطقة بجبالها على مدن دزفول بحيث أن الطائرات الإيرانيّة لم تكن تستطيع الإتيان بأي حركة من دون اكتشافها.

وكانت أهمّ ميزة لهذا الهجوم طابعه الشعبي. لقد كان الخط الأول مكوّناً من رجال الحرس الثوري (الباسدران) وجنود الجيش النظامي ومقاتلي الميليشيا الشعبيّة. أمّا الخط الثاني فهو خط لم يسبق له مثيل، لا في إيران ولا في أي مكان آخر وذلك من حيث العدد والأهمية، وكذلك من حيث نوعيّة الخدمات التي يقدّمها. وكان هذا الخط الجديد والأول من نوعه مكوّناً من آلاف الرجال والنساء الذين كانوا يتسابقون لتقديم خدمات في جميع الميادين، فيما كانت الهدايا المرسلة إلى «الجندي المجهول» الحي مستمرّة في التدفّق من أنحاء إيران كلّها.

ويكتسب هذا الهجوم أهمية أكبر إذا علمنا بأن العراقيين كانوا قد فرغوا لتوّهم من تقوية كلّ مواقعهم في هذا القسم من الجبهة، وذلك بتدعيمها بعشرة ألوية جديدة وبتوسيع حقول الألغام؛ بالاضافة لقيامهم بهجومين كبيرين، ولكن من دون أي نتيجة، الأول في ٦ شباط ١٩٨٢ في محاولة منهم لاستعادة المواقع التي خسروها في منطقة بستان، والثاني بعد ٦ أسابيع في منطقة شوش. وفي ٢٢ آذار بدأ الإيرانيون بدورهم هجومهم الكبير على ثلاث مراحل متعاقبة انتهت في ٢٩ منه بتحقيق كلّ الأهداف.

وقد صرّح الجنرال العراقي دخيل علي الهلالي، وهو أحد الضباط العراقيين الأربعة الكبار الأسرى، للصحفيين بأنه «فوجىء تماماً بالهجوم الايراني». وعلى اثر النجاح الكبير لهذا الهجوم كتبت جريدة اللوموند في عددها الصادر بتاريخ ١٩٨٢/٤/١ «لقد قدّم نظام الامام الخميني لتوّه أدلّة على قوّته».

أمّا النتائج التي أسفرت عنها المعركة فكانت كالآتي:

تدمير:

١٥٠ دبابة.

٥٠٠ عربة متنوّعة.

١٧٠ عربة مصفّحة.

١٦٥ مدفعاً من عيار ١٨٢ ملم.

١٣٠ مدفعاً من عيار ١٥٢ ملم.

وبلغ عدد الأسرى العراقيين ١٥٤٥٠ أسيراً وتمّ تحرير ٢٤٠٠ كلم٢ من المساحة.

٥ - معركة بيت المقدس:

هدفت هذه المعركة الكبيرة إلى تحرير مدينة خرمشهر والمواقع المحصّنة في حميد وجفير التي يحتلّها العراقيون منذ عشرين شهراً محوّلين إياها قلاعاً حصينة.

كانت حميد، وهي أهم مفترق للطرق البريّة وللسكك الحديد في المنطقة، موقعاً حصيناً مزوّداً بأنفاق طويلة وكانت جفير المركز الرئيسي لتنسيق حركات القوات العراقيّة. وتشكّل الطرق الجديدة التي أنشأها العراقيون أهمية استراتيجية كونها تربط بين كلّ المناطق. أمّا خرمشهر أهم مدينة إيرانيّة احتلّها العراقيون في بداية الحرب فقد اكتسبت قيمة معنويّة ورمزيّة بالنسبة إلى الطرفين.

وكان الإيرانيون يريدون في الحقيقة باتخاذهم قرار تحرير مدينة خرمشهر تحطيم أسطورة المستحيل التي نسجها كلّ المراقبين حول هذه المدينة إلى درجة ان الرئيس العراقي صدام حسين وعد الايرانيين بتسليم مفتاح مدينة البصرة العراقيّة إذا ما نجحوا في تحرير خرمشهر.

جرت معركة «بيت القدس» على ثلاث مراحل:

- المرحلة الأولى: انطلقت في ٣٠ نيسان ١٩٨٢ بهدف بلوغ طريق أهواز - خرمشهر والتي كانت مزرعة بالألغام ومحاطة بجدران من الرمل لحماية آلاف الجنود العراقيين المتمركزين هناك.

عبر الجنود الايرانيون نهر كارون وسيطروا بسرعة على الخط الأول من المواقع العراقيّة. ثمّ نجحوا بعد أربعين ساعة من بدء العمليّة في شقّ الجيش العراقي إلى شطرين عند منتصف محور أهواز - خرمشهر وتمركزوا في شكل ثابت بفضل الخنادق الترابيّة التي يبلغ ارتفاعها خمسة أمتار.

وقد ساعد السهل الواقع غربي هذه الطريق على شق القوات العراقيّة إلى شطرين:

- شطر مكوّن من ٣٥٠٠٠ جندي تقريباً جنوب المنطقة داخل مدينة خرمشهر ونواحيها.

- شطر مكوّن من ٣٠٠٠٠ جندي في شمال المنطقة داخل أقاليم حميد حويزة وجفير.

وقد أقيمت خمسة جسور على نهر كارون سمحت بإرسال تعزيزات في شكل عاجل إلى القوات الإيرانيّة لمواصلة عملياتها.

- المرحلة الثانية: بدأت هذه المرحلة في ٦ أيار ١٩٨٢ وقد ساعدت عاصفة رمليّة هوجاء هبّت على المنطقة في مفاجأة القوات العراقيّة في قلعة جفير الحصينة، مما أدى إلى فرار العراقيين وتحرير القلعة.

وقد تراجعت القوات إلى مدينة خرمشهر للدفاع عنها في شكل أقوى.

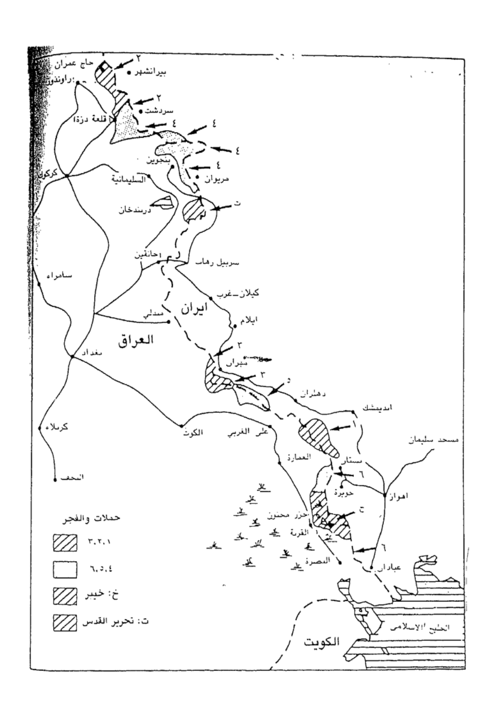
كما ساعد تحرير قلعة جفير بتحطيم خطوط الدفاع العراقيّة في القاطع الجنوبي من الجبهة على طول ٥٤ كلم وعمق ١٥ كلم. مما سمح بتحرير طريق أهواز - خرمشهر بكاملها وباحتلال مواقع عراقية محصّنة تقع على بعد ١٧ كلم من الحدود الدوليّة، في الوقت الذي كان الإيرانيون يحرّرون مدينة الحويزة والقرى المجاورة خلال أربعين ساعة من القتال فقط.

- المرحلة الثالثة: انطلقت هذه المرحلة في ٩ أيار ١٩٨٢ واستطاعت القوات العراقية استيعاب الهجوم وصد الإيرانيين عند شلمجة شمال غرب خرمشهر وخلال عشرة أيام تعاقبت الهجمات والهجمات المضادة في الجبهتين الشماليّة والجنوبيّة ولكن من دون نتيجة تذكر.

عند الساعة التاسعة والنصف من صباح ٢٢ أيار ١٩٨٢ قرّر الإيرانيون تحطيم أسطورة «المستحيل» وسيطروا أولاً على طريق أنشأته بغداد على امتداد شط العرب باتجاه العراق وقطعوا بذلك المدافعين عن قاعدتهم. وبعد يومين، وفي تمام الساعة الحادية عشرة صباحاً كان كلّ شيء قد انتهى وبلغ عدد العراقيين الذين وقعوا في الأسر حوالي ١٩٠٠٠ جندي، أي أكثر من مجموع العراقيين الأسرى منذ بداية الحرب.

لقد كان الهجوم صاعقاً إلى درجة ان مجموعة من الضباط والجنود العراقيين قرروا تسليم أنفسهم إلى الإيرانيين وحذت حذوهم مجموعات أخرى على الفور.

حملات والفجر



لقد أدّت هذه المعركة إلى تراجع كبير للقوات العراقيّة بشكل عام من الأراضي الإيرانيّة في اتجاه العراق واحتفظت خلال انسحابها بمواقع مهمّة تقع على مرتفعات استراتيجيّة.

ولقد كانت لهذه المعركة نتائج سياسيّة حملت نظام الحكم في بغداد على إعلان وقف النار من جانب واحد والاستعداد للقبول بقوات متعدّدة الجنسيات والقبول باتفاق الجزائر لتثبيت الحدود بين العراق وإيران.

وأمّا النتائج العسكريّة للمعركة فكانت كالآتي:

- تحرير ٥٣٨٠كلم² غرب نهر كارون، حويزة وخرمشهر.
- غنائم:
- طائرة هليكوبتر واحد.
- ١٥٠ دبابة.
- ٥٦ عربة مصفّحة.
- مدافع وهواوين.
- ٣٠٠ ألف لغم ضد الدبابات والأفراد.
- كمية كبيرة من الأسلحة الثقيلة والخفيفة.
- أسر ١٩٠٠٠ جندي عراقي.

٦ - معركة «رمضان المبارك»:

جرى الهجوم الذي يحمل هذا الاسم داخل الأراضي العراقيّة في الجبهة الجنوبيّة، شرق مدينة البصرة، بهدف إبعاد نيران المدفعيّة العراقيّة التي تسببت بإخلاء القرى والمدن الإيرانيّة الحدوديّة على امتداد ٢٠٠ كلم.

انطلقت العمليّة ليل ١٤ تموز ١٩٨٢ وكانت المعارك عنيفة في شكل لم يسبق له مثيل. وقد نجحت القوات المهاجمة أولاً في احتلال منطقة تبلغ مساحتها ١٥٠كلم²، وسرعان ما تقلّصت إلى ٨٠كلم² تحت تأثير الهجمات العراقيّة المضادة. وتوصّل الإيرانيون إلى منتصف الطريق إلى مدينة البصرة.

ويقدّر الخبراء العسكريون ان الهدف في هذه المعركة أو الهجوم، كان قطع الطريق بين بغداد والبصرة ولم يتمكّن الإيرانيون من تحقيقه.

وقد غنم الإيرانيون ٨٩ دبابة بينها ١٢ دبابة تي ٧٢ وتمكّنوا من أسر ١٠٠٠ جندي.

٧ - معركة الفجر الأولى:

انطلق هذا الهجوم في ١٠ نيسان ١٩٨٣ وأتاح للقوات الإيرانيّة تحرير مرتفعات استراتيجيّة عدّة على جبهة عرضها ٣٠ كلم تقع شمال «فكة» كان العراقيون يحتلونها منذ بدء الحرب.

في اليوم التالي عبر الايرانيون الحدود واحتلّوا مواقع داخل الأراضي العراقيّة.

٨ - معركة الفجر الثانية:

في ٢٠ تموز ١٩٨٣ انطلقت المرحلة الثانية من عمليات الفجر على جبهة عرضها ٣٥كلم بين سردشت وبيراشهر، حيث استطاعت القوات الإيرانيّة تحقيق كلّ أهدافها باحتلالها مرتفعات استراتيجيّة ومنها جبل كادو على ارتفاع ٣٠٠٠م وبتوغّلها داخل الأراضي العراقيّة إلى عمق ١٩ كلم حتى مشارف مدن راوندوز وقلعة دزة.

وفي ٣٠ تموز و٥ آب ١٩٨٣ بدأت المرحلة الثالثة من عمليات الفجر، وذلك في منطقة مدينة مهران.

كان العراقيون قد انسحبوا من مدينة مهران منذ أواخر حزيران ١٩٨٣، لكي يتمركزوا في شكل أفضل في الجبال المجاورة، وكان الهدف الايراني طرد القوات العراقيّة من المرتفعات المطلّة على المدينة، وقد نجحوا بذلك وتقدّموا داخل الأراضي العراقيّة إلى عمق قدره ٥٠كلم[٢].

وفي ٢٠ تشرين الأول ١٩٨٣ انطلقت المرحلة الرابعة من معارك «والفجر» شرق مدينة السليمانية العراقيّة على جبهة عرضها ١٥٠ كلم، وقد تمكّن الإيرانيون من احتلال مرتفعات استراتيجية عدّة وعشرات القرى الكرديّة داخل العراق.

٩ - معركة «تحرير القدس»:

شنّ الإيرانيون في ١٢ شباط ١٩٨٤ هجوم «تحرير القدس» وذلك في منطقة دربندخان إلى الجنوب من مدينة مريوان الايرانية جنوب غرب السليمانيّة في العراق. وقد أتاح هذا الهجوم للقوات الإيرانيّة التغلغل بعمق ٢٠كلم داخل العراق والسيطرة على عشرين قرية وعلى مرتفعات استراتيجيّة يبلغ ارتفاعها ١٥٠٠م وتشرف على بحيرة دربندخان وطريق السليمانيّة - بغداد.

وبعد خمسة أيام، أي ليل ١٦ شباط، انطلقت المرحلة الخامسة من عمليات والفجر على جبهة عرضها ٥٠ كلم بين مدينتي مهران ودهلران الايرانيتين، شرقي مدينة الكوت العراقية. وبعد أسبوع، أي ليل ٢٣ شباط، بدأت المرحلة السادسة من عمليات والفجر على جبهتين:

- الأولى: غربي مدينة بستان الآيرانية.
- الثانية: شرقي مدينة القرنة العراقية.

إن الهدف المشترك لهذه السلسلة من الهجمات لم يكن سوى إنهاء الاستعدادات للهجوم النهائي وذلك عن طريق إقامة نقاط الدعم والمساندة الأخيرة تمهيداً لشن هجوم على نطاق واسع.

فقد نجح الايرانيون في السيطرة على مرتفعات استراتيجية عدّة في الجبهتين الشماليّة والوسطى، وهي مرتفعات تشرف على طريقي السليمانيّة - بغداد والبصرة - بغداد.

وفي الجبهة الجنوبيّة نجح الإيرانيون في فتح ثغرة ذات أهمية كبيرة من الناحية الاستراتيجية، وذلك في قطاع محمي بكثافة من قبل حشود عسكريّة إيرانيّة كبيرة.

العمليات العسكريّة الايرانيّة من العام ١٩٨٦ وحتى نهاية الحرب:

بعد أن تمّ تحرير الأراضي الإيرانيّة، قرّر الإمام الخميني احتلال قسم من أرض العراق بهدف إسقاط نظام الرئيس صدام حسين. ابتداء من شهر تموز ١٩٨٢ تكثّفت الهجومات الإيرانية، على طول الحدود الدوليّة بهدف التوغّل داخل العراق وقد اتخذت هذه العمليات أسماء: رمضان، مسلم بن عقيل، محرم - فجر - ١ حتى فجرا - ٧ وعاشوراء وغيرها من دون تحقيق أي هدف استراتيجي، مما أثار نقمة عارمة لدى الشعب الإيراني.

ولكن بدءاً من العام ١٩٨٦ أخذت العمليات العسكريّة الايرانيّة ترتدي طابع النجاح، وأهم الهجومات التي حققت بعض أهداف إيران الاستراتيجيّة والتي تجدر دراستها هي «فجر٨ » و«كربلاء ٥».

١٠ - «فجر ٨» في العام ١٩٨٦:

ارتدت عملية «فجر ٨» في الحرب العراقيّة الإيرانيّة طابعاً خاصاً، ومميزاً للأسباب التالية:

- ضخامة الهجوم الايراني من حيث العديد.

- طبيعة المعركة حول شط العرب واستعمال إيران لوسائل نقل بحريّة جديدة في القتال.
- تحسّن المستوى الايراني في اختيار أهدافه الاستراتيجيّة.

ففي يوم ٩ شباط ١٩٨٦ تدفّق حوالي مئة ألف جندي إيراني (معظمهم من حراس الثورة الإسلامية) باتجاه جنوب العراق على محورين:

- **المحور الأول:** عبر شط العرب كجهد ثانوي لتفادي تحصينات الشط.
- **المحور الثاني:** عبر الخليج. وقد تركّز الجهد الرئيسي على هذا المحور، وكانت أهداف إيران الاستراتيجيّة واضحة للمحللين:
- مرحلة أولى: احتلال جنوب العراق وقاعدة «أم قصر» البحريّة وحرمان العراق من انفتاحه البحري الوحيد على الخليج والعالم، وتدمير طاقاته البحريّة التي حققت تفوّقاً شبه كامل على البحريّة الايرانيّة.
- مرحلة ثانية: التوغّل داخل العراق باتجاه البصرة والنجف وكربلاء، بلاد الشيعة في العراق، ومن بعدها تطويق بغداد.

استغلّ الإيرانيون العاصفة الرمليّة وفاجأوا العراقيين فاحتلوا مدينة «الفاو» على الخليج وتوغّلوا شمالاً، كما نجحوا في اجتياز بعض مناطق شط العرب مستفيدين من عاملين:

- مناخي: إذ اختاروا أسوأ الأوقات المناخية لتعطيل استخدام سلاح الجو العراقي.
- جغرافي: إذ إن مسرح العمليات في منطقة الفاو هو عبارة عن بقعة مغطاة بالنخيل والمستنقعات مما حدّ من استعمال العراق للقوى المدرّعة التي يتفوّق بها. كانت نسبة القوى المشتركة في البقعة بين الجيشين ثلاثة إلى واحد لصالح إيران. واندحر الفيلق السابع العراقي بقيادة اللواء سعدى طعمة الجبوري بعد أن دافع عن الجبهة أمام المعارك العنيفة التي تذكّر، وفق مراسلي الصحف الأجنبيّة بمعركة فردان الفرنسيّة، لكنه تمكّن لاحقاً من احتواء الهجوم الإيراني قبل إكمال الطوق على مدينة أم قصر البحرية. وقد ساعد تحسّن الطقس

الطيران العراقي ليستأنف مساندة الفيلق السابع بمعدّل ٥٠٠ طلعة في اليوم.

١١ - الهجوم العراقي المعاكس (١٨ شباط ١٩٨٦) ونهاية الحرب:

بعد تحسّن الأحوال الجوية واحتواء الهجومات الايرانية من قبل الفيلق المدافع، قام الفيلق العراقي الثالث بقيادة اللواء ماهر عبد الرشيد، أحد ألمع الوجوه العسكريّة العراقيّة، بهجوم معاكس في تاريخ ١٨ شباط ١٩٨٦ وأجبر الايرانيين على التراجع، فتشبّثوا بمدينة الفاو وبعض المناطق المحيطة بها خوفاً من غضب الإمام الذي أمر بإعدام كلّ إيراني ينسحب من الفاو، وبذلك انتهى عند هذا الحد الهجوم الإيراني فجر ٨ بعد ان حقق أهدافاً ضئيلة.

١٢ - عملية كربلاء «٥»:

حبس العالم أنفاسه يوم ١٩٨٧/١/٩ قبل أسبوعين من انعقاد القمة الإسلامية في الكويت وتساءل: هل ينجح الجيش الإيراني المهاجم باحتلال مدينة البصرة؟ وما هي المعادلة الاستراتيجية الجديدة التي ستترتّب على لك؟

كان المخطط الإيراني يقضي بما يلي:

- مرحلة أولى: مهاجمة واحتلال منطقة «بحيرة الأسماك» الاستراتيجيّة شرق شط العرب التي استحدث فيها العراق البحيرة نظراً لأهميتها الاستراتيجيّة.
- مرحلة ثانية: احتلال مدينة البصرة غرب شط العرب والضغط على القمّة الإسلاميّة التي ستعقد في الكويت بتاريخ ١٩٨٧/١/٢٦ لدرس الحرب العراقيّة - الإيرانيّة وفقاً لشروط إيران بعد فرض أمر واقع جديد.

يوم ١٩٨٧/١/٢ أعلنت إيران عن قيام قواتها بهجوم على يمين بحيرة الأسماك وحاولت خلال ثلاثة أيام من الهجومات المتكرّرة اختراق الخطوط الدفاعيّة العراقيّة فلم تفلح أمام المدافعة الشرسة من قبل القوات العراقية.

ويوم ١٩٨٧/١/٩، نقل الايرانيون جهدهم الرئيسي في الهجوم بحوالي ٦٠ ألف رجل إلى يسار بحيرة الأسماك باسم عمليّة «كربلاء ٥»، فاخترقوا الخطوط

الدفاعية العراقية بحوالي ١٠ كلم وانسحب الجيش العراقي بانتظام إلى خط الدفاع التالي ثمّ قام هذا الأخير بهجوم معاكس من النبسار اعتباراً من ١٩٨٧/١/٢٥. فدارت هناك أعنف المعارك في الحرب العراقية - الإيرانية وكانت خسائر إيران فادحة جداً إذ تكبّدت حوالي ٢٥ ألف قتيل وفق المصادر الغربيّة و٥٠ ألفاً وفق المصادر العراقية وانتهت العمليّة بتاريخ ١٩٨٧/٢/٢٨ بتعديل طفيف على خطوط الجبهة.

الفصل الثالث
نهاية الحرب والدروس المستقاة

أولاً – حرب النفط وتدويل الصراع

لم تنجح المعارك البرية الضارية على الحدود بين الدولتين في حسم مصير الحرب لصالح أي من الفريقين، كما عجزت المبادرات الإقليميّة والدوليّة عن وضع حدّ لها. فكان لا بدّ من إعطائها بعداً إقليمياً ودولياً لاستدراج الأمم المتحدة والدول الكبرى إلى التدخّل.

أ – البعد الإقليمي:

بعد أن أيقن العراقيون من عجزهم عن حسم مصير الحرب على الجبهة البرية وضعوا استراتيجيّة جديدة لتطوير النزاع مستغلّين تفوّقهم الجوي. فكانت حرب المدن، لكن إيران أفادت من هذا القصف الذي يوقع خسائر بشريّة فادحة لكسب عطف الرأي العام العالمي.

فاعتباراً من كانون الثاني ١٩٨٢ أخذ سلاح الجو العراقي يغير على حاملات النفط في مياه الخليج لمنعها من الوصول إلى جزيرة «خرج» (أهم مصب نفط لإيران).

وشهد شهر آب ١٩٨٢ تصعيداً جديداً لحرب النفط، إذ ضرب العراق حصاراً حول جزيرة «خرج» لمنع تصدير النفط الإيراني، فلجأت إيران إلى تعزيز الدفاع الجوي عن الجزيرة ومواكبة قوافلها بين الجزيرة ومضيق هرمز.

واعتباراً من العام ١٩٨٤ بدأ الإيرانيون يهاجمون كلّ السفن التي تصل إلى المرافىء الكويتية، وأخذت الحرب تأخذ

بعداً إقليمياً. ولم تتوان إيران من ضرب سفن أميركيّة، بريطانية، وفرنسيّة معدّة لنقل النفط. وفي العام ١٩٨٦ وسّع العراق منطقة عملياته لتصل إلى مدخلي مضيق هرمز الشمالي والجنوبي وكان سلاحه الجوي يضرب جزيرة «لاداك» وجزيرة «سيري» على مدخلي المضيق، لكن عملياته هذه لم تنجح في وضع حد لتصدير النفط الإيراني إلى الخارج.

ب - البعد الدولي:

العام ١٩٨٧ تحوّل الصراع العراقي الإيراني من حرب محدودة ليأخذ بعداً دولياً نتج عنه تدخّل معظم الدول الكبرى في شكل عسكري مباشر محافظة على مصالحها النفطية.

خلال الفصل الأول من ذلك العام نجح الإيرانيون بالمحافظة على تصدير مليوني برميل يومياً كافية لسداد تكلفة الحرب، لان الطيارين العراقيين يفتقرون إلى وسائل تحديد هوية الأهداف. وكانت صواريخهم تضيع غالباً على سفن معطّلة عائمة أو سفن مهجورة أو أخرى وضعت خصيصاً كمشبهات للتضليل والخداع.

في الوقت عينه كانت إيران مستمرّة في قصف السفن المنتقلة إلى الخليج من دون تمييز في هويتها، وكانت الكويت الضحية الأولى التي سارعت إلى طلب دعم الدول الكبرى لتأمين تصدير نفطها. وقد استجاب لطلب الكويت كلّ من روسيا بتأجيرها ثلاث ناقلات نفط والأميركيين بتأجيرها إحدى عشرة سفينة وبريطانيا بتأجيرها ناقلة نفطة واحدة، بينما رفضت فرنسا الطلب بحجّة أنها لا تملك الوسائل.

وقد نجحت الدول الكبرى بتأمين استمرار تدفّق النفط وانخفض سعره من ٢٠ دولاراً إلى ١٧ دولاراً للبرميل الواحد، بينما ارتفعت أسعار التأمين على ناقلات النفط.

وخلال العام ١٩٨٧ تعزز الوجود العسكري الأميركي بعشرات السفن الحربيّة لمواكبة القوافل وتنظيف طريقها من الألغام. وفي ذات الوقت اكتمل الوجود العسكري السوفياتي البحري في الخليج المعادل تقريباً للقوّة الأميركيّة، كما وضع الانكليز قوى عسكرية بحريّة قوامها ثلاث سفن «فرقاطة». وفي أيلول قرّر الإيطاليون التدخّل فوضعوا في الخليج قوّة بحريّة معادلة

للقوّة الانكليزيّة، وشاركت أخيراً هولندة وبلجيكة وفرنسا بقوى رمزيّة.

تجاه هذا التدخّل العسكري فقدت إيران حرية العمل واستقرّ الوضع نسبياً لصالح العراق.

ليل ٢١ - ٢٢ أيلول من العام ١٩٨٧ سجّل أول حادث خطير بين الأمركيين والإيرانيين إذ أغرقت الطوافات الأميركيّة سفينة زرع الألغام الإيرانيّة «إيرانجر» IRANAJR. وبدأت الولايات المتحدة تظهر تصميمها على التصدّي للأعمال الحربيّة الايرانيّة.

في نهاية أيلول أطلق العراقيون هجومهم الجوي الخريفي، فأصيبت ثماني سفن في ثلاثة أيام فقط، بينها أكبر ناقلة نفط في العالم Sea wise Geant.

خلال هذا الشهر أصدرت شركة Lioyd's للتأمين نشرتها الإحصائيّة وأعلنت إصابة ١٥٢ سفينة خلال الأشهر العشرة الماضية من أصل ٤٢٠ سفينة أصيبت منذ بدء الحرب.

ويمكن القول إن الهجوم الجوي العراقي حقق أهدافه بخفض حجم التصدير الإيراني للنفط المصدر الأساسي لتمويل الحرب.

بعد تأمين السيطرة النسبيّة للقوى البحريّة الغربيّة في الخليج انتقلت حدّة الحرب فيه إلى طرفيه:

- في الجنوب مضيق هرمز حيث نصب الإيرانيون بطاريات صواريخ Silkworm لقفله، وفي الشمال حيث نصبت بطاريات أخرى استهدفت ميناء الأحمدي الكويتي. رد الأميركيون في ٢٩ تشرين الأول من العام ١٩٨٧ فدمّروا منصّة إيرانية عائمة.

وانتهى العام ١٩٨٧ ومصير الحرب العراقيّة الإيرانيّة ما زال غامضاً. فالعراق يتابع عملياته الهجوميّة الجوية ويبحث عن أسواق للأسلحة، وإيران تستعيض عن الأسلحة بالتجييش الشعبي وخاصة في صفوف حراس الثورة الإسلامية.

ج - حوادث العام ١٩٨٨ ونهاية الأزمة البحرية:

بقي العراقيون طيلة فصل الشتاء ينتظرون الهجوم البري الشامل الذي وعد به الامام الخميني ولم يتحقق بسبب ضعف الوسائل

المتوافرة واكتفت إيران بتنفيذ بعض الهجمات المحدودة من دون نجاح يذكر بهدف استمرار الضغط على العراق، محققة بذلك توازناً نسبياً في الصراع.

يوم ٢٥ شباط عمدت إيران إلى إخلال التوازن العسكري القائم، فشنّت على الجبهة البريّة هجوماً في كردستان، فرد العراق بإطلاق حرب المدن، وبدأ بقصف المدن الإيرانيّة بتسعين صاروخاً خلال عشرة أيام، كما وسع الحرب نحو الخليج من جديد فأصيبت ثلاث عشرة سفينة خلال أسبوعين.

خلال شهر نيسان اتخذت الحرب منحى جديداً وخطيراً، إذ شعر الإيرانيون بالحاجة إلى التصعيد بسبب عاملين:

الأول فشل الهجوم على جبهة كردستان، والثاني انتخاب رئيس جديد لمجلس النواب في إيران أشد ثورية من سلفه وحاجته إلى إحراز نصر معيّن، فأقدموا على زرع الألغام من جديد في منطقة الخليج وأصيبت الفرقاطة الأميركيّة Samuel B. Roberts بأضرار جسيمة نتيجة اصطدامها بالألغام. فقام الأميركيون بتدمير ثلاث منصات إيرانية في جزر Sirri وSassam.

في هذا الوقت هاجم العراق شبه جزيرة الفاو الستراتيجية واستردّها خلال ٤٨ ساعة.

د - الهجوم العراقي المعاكس:

فقدت إيران معظم قواتها البحرية في الخليج وظهرت عاجزة عن قيادة أي هجوم برّي ضد العراق، وبذلك انتقلت المبادرة في الحرب إلى العراق.

١ - تحرير شبه جزيرة الفاو:

تشكّل الفاو منطقة استراتيجيّة أساسيّة في الحرب العراقيّة الإيرانيّة، إذ تعتبر بوّابة العراق البحريّة الوحيدة على العالم الخارجي وقد تمكّنت إيران من احتلال الجزيرة وحققت الأهداف التالية:

- عزلة بحرية عراقية تامة عن العالم الخارجي.
- تدمير أسطول العراق البحري.
- تهديد العراق في جنوبه ذي الأغلبيّة السكانيّة الشيعيّة.
- تهديد حلفاء العراق الخليجيين.

بعد ان مضى أكثر من ثلاث سنين على احتلال قسم كبير من شبه جزيرة الفاو قرّر

العراق في العام ١٩٨٨ تحرير الجزيرة مستفيداً من انهماك إيران بحربها البحريّة.

وكانت المفاجأة يوم ١٧ نيسان ١٩٨٨.

خطة العمليات لتحرير الجزيرة:

الاستناد يساراً إلى الحاجز المائي في شط العرب ويميناً إلى الحاجز المائي في خور عبدالله ومهاجمة القوات الإيرانيّة جبهياً على محاور التقدّم الثلاثة التالية:

المحور الغربي: محور الجهد الرئيسي، يهاجم فيه فيلق السابع العراقي القوات الإيرانية ويدمّرها.

المحور الوسطي والشرقي: محوران ثانويان يهاجم فيهما فيلق الحرس الجمهوري القوات الإيرانية ويؤمّن التغطية الجانبيّة للقوى المهاجمة على المحور الرئيسي.

أمّا مهمّة سلاح الجو فقد تحدّدت بمرحلتين:

مرحلة أولى: تدمير جسرين عائمين من الجسور الثلاثة التي أقامها الإيرانيون فوق شط العرب لربط البر الإيراني بالبر العراقي على أبواب الخليج. والهدف من هذه العمليّة منع وصول إمدادات الجيش الإيراني وترك الجسر الثالث قائماً لتسهيل انسحاب ما تبقّى من القوات الإيرانيّة.

مرحلة ثانية: مهاجمة الوحدات الإيرانيّة في الفاو وتدميرها.

حققت الخطة العراقيّة نجاحاً كبيراً واستعاد الجيش العراقي منطقة الفاو بعد يومين من القتال.

٢ - تحرير جزر مجنون وبقية المناطق العراقيّة المحتلّة:

نجح العراق عسكرياً وسياسياً في استثمار نجاح جيشه في الفاو، ولم يعطِ إيران الوقت لإعادة تنظيم صفوف قواتها، وسارع إلى شن هجمات متقطّعة ومحدودة على مختلف مناطق الحدود بين الدولتين، وتمكّن من تحرير جزر مجنون العراقية التي تختزن كمية من النفط تقدّر بحوالي ٦٠ مليار دولار، بالإضافة إلى الاستيلاء على بعض المناطق الإيرانيّة الحدوديّة التي كانت تشكّل تهديداً دائماً لحدوده لاستعمالها في مفاوضات مستقبليّة بين البلدين.

تميّزت العمليات العسكريّة العراقيّة في الفاو وجزر مجنون وبقية المناطق الحدوديّة

بالاداء الممتاز والسرعة في التنفيذ واستثمار النجاح، وذلك بأقل خسائر ممكنة، وبدأت الحرب العراقيّة الإيرانيّة تصل إلى خواتمها ونهايتها.

هـ - نهاية الحرب في تموز ١٩٨٨:

تجاه تراجع القوات الإيرانيّة على مختلف الجبهات وإحراز العراق نجاحات عسكريّة كان أهمّها تحرير شبه جزيرة الفاو، أعلنت إيران بتاريخ ١٨/٧/١٩٨٨ عن قبولها بتطبيق القرار الرقم ٥٩٨ الصادر بتاريخ ٢٠ تموز ١٩٨٧ عن مجلس الأمن الدولي والداعي إلى وقف إطلاق النار بين البلدين. لم يستجب العراق للنداء واستمرّ بعملياته العسكريّة على الحدود. في ٦ آب أنهى العراق خطة عملياته وأعلن عن موافقته على تنفيذ قرار مجلس الأمن الدولي.

تجاه هذه التطوّرات حدّد الأمين العام للأمم المتحدة يوم ٢٠ آب ١٩٨٨ موعداً لوقف نهائي لإطلاق النار بين البلدين منهياً بذلك إحدى أطول الحروب وأشرسها وأشدّها فتكاً التي عرفها القرن العشرون: سبعة أعوام وإحدى عشر شهراً سكتت بعدها المدافع على جانبي شط العرب لتحلّ محلّها لغة الحوار.

يوم ٢٥ آب ١٩٨٨، وبعد تنفيذ وقف إطلاق النار التقت في جنيف ثلاث وفود تمثّل الدولتين المتحاربتين والأمم المتحدة وباشرت أعمالها للاتفاق على حلّ المشكلات العالقة بين البلدين.

ثانياً – القادة العرب

في الحروب القديمة، يمكن التحدّث عن معارك وقادة. فهناك معركة العلمين وفردان وستالينغراد وواترلو وحطين وصفين والخندق ومرج دابق وغيرها، وهناك قادة عسكريون بارزون أمثال رومل ومونتغمري وهنيبعل والاسكندر وصلاح الدين وطارق بن زياد وخالد بن الوليد وغيرهم.

أما في الحروب الحديثة جداً فلا يمكن حصر الحرب في منطقة واحدة، وصغيرة، لتأخذ المعركة اسم المنطقة، إذ هناك حرب العراق وحرب الكويت وحرب إيران وأفغانستان وفلسطين. ويعود ذلك إلى ضخامة الآلة العسكريّة المستعملة في القتال

من جهة، وإتساع مسرح العمليات الجوية والبريّة والبحريّة من جهة أخرى.

كما يبرز قادة مثل جورج بوش وصدام حسين والإمام الخميني وحسن نصرالله، وغيرهم؛ بينما تتراجع أسماء القادة الميدانيين الصغار. فالحرب كانت في الماضي تعتمد على الإنسان والشجاعة والرجولة، أمّا حروب اليوم فترتكز على الطائرة والصاروخ والدبابة والغواصة والعبوات الناسفة...

ولمّا كانت موسوعتنا هذه مقتصرة على القادة العرب العسكريين، فاننا سنتحدّث في هذه الفقرة عن قائد الجيوش العراقيّة العام الرئيس صدّام حسين.

الرئيس صدام حسين:

هو رئيس الجمهوريّة، رئيس مجلس الوزراء، رئيس مجلس قيادة الثورة، أمين عام القيادة القطريّة لحزب البعث العربي الاشتراكي في العراق، وأخيراً القائد العام للقوات المسلّحة. حصل على كلّ هذه الألقاب منذ العام ١٩٧٩ وبقيت ملكاً له حتى تاريخ إلقاء القبض عليه في العام ٢٠٠٤. وهو موجود الآن في سجن في مكان ما في الأراضي العراقيّة تحت الرقابة الأميركيّة.

ولد في العام ١٩٣٧ في قرية شويش قرب تكريت. بعد وفاة أبيه بقليل، تزوّجت أمّه مرةً ثانية من حسن إبراهيم الذي كان صارماً معه ويبرحه ضرباً كلّما سنحت الفرصة لذلك. عاش في بيت خاله في تكريت خيرالله طلفاح، حياةً قاسية جداً، ضَرَب وضُرِب، سَرَق وسُرِق، تنقّل حافي القدمين إلاّ في المناسبات القليلة، مرض حتى الموت وكانت نجاته أعجوبة في زمن ومكان كان يموت طفلان من ثلاثة جرّاء الأمراض المتنوّعة. أحبّ الحقل والروابي وكان يمضي فيها معظم النهار ويكره العودة إلى الكوخ حيث تفوح منه رائحة الحيوانات. لم يوفّر عملاً صبيانياً إلاّ وقام به، متكلاً على بنية قوية وإرادة صلبة وتصميم لا يعرف التراجع. لاعب العقارب بعود خيزران طويل وتعقّب الأفاعي يخيف بها أولاد الحي.

في العام ١٩٥٥ ترك تكريت قاصداً بغداد، وهناك توثّقت علاقته بصديق خاله البعثي العقيد التكريتي أحمد حسن البكر.

قال له البكر يوماً: انتبه من العسكري يا صدام فعاجله صدام بالجواب: ولكني أريد أن أكون عسكرياً.

تقدّم لامتحان الدخول إلى المدرسة الحربيّة مرتين وفشل فيها، رغم وعود ومساعدة العقيد البكر، ومن أجل ذلك خلع عليه رئيس البلاد عام ١٩٧٦ رتبة جنرال وهو لم يكن جندياً.

في العام ١٩٥٦ أصبح صدام بعثياً وهو في العشرين من العمر. وكان يكلّف يومذاك بمهمات تأديب لبعض الرجال الذين يشتمون حزب البعث أو يسيئون إليه.

في الرابع عشر من تموز العام ١٩٥٨ قام عبدالكريم قاسم وعبد السلام عارف بانقلاب أطاح بالملكية، الرجلان نفّذا الانقلاب بمساهمة العقيد البكر وحوالي ٢٠٠ من ضباط العراق الأحرار. فقتل الملك وولي العهد ورئيس الوزراء نوري السعيد.

في هذا الوقت كان صدام حسين يتسكّع في الشوارع يتفرّج على الجثث بالعشرات ورأى ولي العهد الأمير عبدالله تجرّ جثّته عربة مدنية في شارع الرشيد. بعد السحل علق من رأسه على باب وزارة الدفاع.

طوال أيام عمّت السرقات بغداد، المقرّبون من رئيس الحكومة نوري السعيد أقفلوا بيوتهم واختفوا عن الأنظار. الكولونيل عبد الكريم قاسم عيّن نفسه رئيساً للوزراء ووزيراً للدفاع وقائداً أعلى للقوات المسلّحة. العقيد عبد السلام عارف بات نائباً لرئيس مجلس الوزراء ونائباً للقائد العام ووزيراً للداخليّة.

العام ١٩٨٢، حين نجحت فرقة من الحرس الثوري الإيراني في اختراق خط الدفاع العراقي وبلوغ قرية صغيرة إلى الجنوب من البصرة، استعاد الرئيس العراقي صدام حسين للحظة خاطفة تلك الأيام البعيدة التي رافقت الانقلاب الدموي. فالفتيان الإيرانيون الذين حصدتهم غارة جويّة عراقية كانوا يرتدون قمصاناً طبعت عليها صورة الإمام الخميني. أمر صدام بحمل الجثث في شاحنة للتوجّه بها إلى بغداد. فعرضت في الثكنات العسكريّة. لم تعرض في الساحات، كان صدام يريد لبغداد أن تبقى بمنأى عن الحرب. وان يحصر الحرب على الحدود وفي المراكز العسكريّة.

غير ان الوفاق بين الرجلين عارف وقاسم لم يدم طويلاً وأجبر عبد السلام عارف على التنحي عن منصبه وغادر إلى المانيا سفيراً.

العام ١٩٥٨ عام مهم بالنسبة لصدام حسين. ألقي القبض عليه بتهمة الاشتراك بقتل فؤاد حيدر التكريتي، موظّف بارز مقرّب من عبد الكريم قاسم ومرشّح لدخول المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي. سجن لمدّة ستة أشهر.

في العام ١٩٥٩ اشترك بعمليّة محاولة الاغتيال الفاشلة لعبد الكريم قاسم. وقد أصيب برصاصة في فخذه. وهرب إلى الشام وهناك التقى بمؤسّس حزب البعث ميشال عفلق.

في العام ١٩٦٠ غادر دمشق إلى القاهرة وهو يردّد: الملك خارج مملكته كلب.

أقام في القاهرة ثلاث سنين، درس خلالها الحقوق ولمّا حصل الانفصال بين مصر وسوريا اللذين شكّلا الوحدة يومذاك ساءت العلاقة بين الحكم المصري والبعثيين وسجن لمدّة شهر واحد، وبعدها كان ورفاقه تحت مراقبة المخابرات المصرية.

في العام ١٩٦٣ حصل انقلاب على عبد الكريم قاسم في العراق. كان يوماً تاريخياً بالنسبة إلى صدام. صباح التاسع من شباط، وبعد ثلاث سنين كاملة في مصر فتح صدام جريدة الأهرام كعادته صباح كلّ يوم ليقرأ خبر الانقلاب، ثمّ انتقل إلى المذياع يسمع أخبار المعارك في بغداد.

أعدم عبد الكريم قاسم برصاصة في صدغه أمام كاميرا التلفزيون الذي كان يصوّر المشهد وينقله إلى العراقيين مباشرة. الهدف من النقل المباشر وفق صدام حسين كان ألا يفكّر أحد في المقاومة من أتباع عبد الكريم قاسم عند رؤية رئيسهم مقتولاً.

عاد صدام إلى بغداد وأصبح صديقه العقيد أحمد حسن البكر رئيساً للوزراء وعبد السلام عارف رئيساً للجمهوريّة.

أشرف صدام حسين على تصفية مئات العراقيين بعد تعيينه من قبل البكر رئيساً لجهاز الأمن. أعدم بمسدّسه الحربي الخاص

خاله أنجبت له ابنيه عدي وقصي وثلاث بنات (رغد ورنا وحلا) رباهم، مع أبناء الوطن جميعاً، على حب الحزب ومبادئه التي تقول إن كلّ شيء يهون في سبيل الأمّة وإن خير الأمّة من خير الرفيق القائد. خاض حروباً داخليّة وخارجيّة ضد الأكراد والشيعة وضد إيران والكويت، إلى أن وجد نفسه يحارب العالم. لم يخف يوماً من شراسة عدو. اعتقد منذ عمر مبكر أن الشراسة ليست طبعاً تولد فينا بل هي قرار إرادي يتخذه المرء بكامل وعيه. أيقن منذ مزّقت رصاصة فخذه ذات مساء خريفي ان الحرص ضروري والصبر فضيلة والتأني طريق النجاة، لكن الأهم من كلّ ذلك دقّة التنفيذ. أدرك ان رصاصة لا تصيب عدوّك مقتلاً هي رصاصة ترتدّ إلى صدغك، ولو تأخّرت في مسارها عشر سنين.

من نفر عادي في حزب البعث قفز في لمح البصر إلى قمّة الهرم الحزبي، بعد أن كلّفه العقيد البكر تأسيس جهاز أمني يكون ذراع الحزب القادرة.

في العام ١٩٦٤ انتخب صدام عضواً في القيادة القطرية للبعث العراقي. ثمّ ما لبث الأمين العام للحزب صديقه وحليفه أن عيّنه نائباً له. كلّ تلك الترقيات لم تشغل صدام عن واجباته الحزبيّة. أطلق على الجهاز الأمني الذي أسّسه اسم «حنين» واختار عناصره فرداً فرداً من كوادر الحزب الأشد إخلاصاً، الأصعب مراساً والأقل كلاماً. قال يوماً لأحد أصدقائه: سيكون الجهاز اخطبوطاً لم يعرف العراق مثله من قبل.

ذات يوم أعلم صدام البكر ان جهاز حنين أعدّ خطّة لاغتيال عبد السلام عارف واستعادة السلطة المخطوفة إلى حزب البعث. بعد فشل المحاولة ألقى عبد السلام عارف القبض على صدام بتهمة التآمر على رئاسة الجمهوريّة وحكم عليه بالسجن ٣٥ عاماً. زوجة صدام أجرت عمليّة حسابيّة بسيطة: ١٩٦٤+٣٥=١٩٩٩.

أما صدام فلم تخطر في باله هذه العمليّة الحسابيّة أبداً. وأمضى أيام سجنه في قراءة روائع الأدب العالمي: قصص لاندريه جيد وفكتور هيغو، الكسندر دوماس ووليم شكسبير. وأعاد قراءة «على سبيل البعث» لميشال عفلق سبع مرات. وذات يوم خطط ليقتل عبد السلام عارف بنفسه، غير أن

القدر لم يعطه هذه الفرصة. ففي نيسان من العام ١٩٦٦ باغتت عاصفة رمليّة طوّافة الرئاسة فوق الصحراء غرب الفرات، وتوقّفت عن الدوران ثمّ تحطّمت وهوت بعدما انفجرت وتطايرت شظاياها في الجهات الأربعة، وقتل الرئيس العراقي، رئيس مجلس الوزراء، القائد العام للقوات المسلّحة عبد السلام عارف على الفور. بعد أيام قليلة ظهر الأخ الأكبر لعبد السلام، عبد الرحمن عارف على التلفزيون وصار رئيساً جديداً للعراق.

دشّن عبد الرحمن عارف عهده بإطلاق عشرات المعتقلين السياسيين في السجون ولم يكن صدام من بينهم. غير أنه استغلّ ذات يوم من العام ١٩٦٦ سوقه إلى المحاكمة وفرّ من أيدي حرّاسه بعدما تواطأ بعضهم معه.

في صيف ١٩٦٦ توقّف الرئيس عبد الرحمن عارف عن مطاردة البعثيين وقرّر أن يكون متسامحاً بعيداً من ضباط الجيش المتخاصمين والأحزاب المتصارعة والوزراء الذين يتعاركون، فالكل ضد الكل ولا أحد مع أحد.

في هذا الوقت كان صدام يشغل منصب نائب الأمين العام لبعث العراق أحمد حسن البكر ومسؤول جهاز حنين أي أمن البعث، وقد أقدم على تصفية تسعة ضباط بعثيين يمكن وفق تقديره أن يشكّلوا خطراً على حزب البعث المدني.

في العام ١٩٦٨، أعاد حزب البعث سيطرته على الحكم وأزاح عارف عن الرئاسة بانقلاب أبيض، وأصبح أحمد حسن البكر رئيساً للجمهوريّة وعيّن صدام نائب أمين عام مجلس قيادة الثورة ورئيساً لجهاز أمن البعث.

في ٢٩ تموز من العام ١٩٦٨ تناول رئيس الوزراء العراقي الرجل الأقوى في العراق العقيد عبد الرزاق نايف طعام الغداء على مائدة رئيس الجمهوريّة أحمد حسن البكر في القصر الجمهوري. وزير الدفاع العقيد عبد الرحمن داوود كان ساعتئذ يتفقّد الوحدات العراقيّة المرابطة في الأردن منذ حرب عام ١٩٦٧، تاركاً الجيش في قبضة رئيس الأركان حردان التكريتي. ولما انتهى الغداء وهمّ رئيس الوزراء بمغادرة القصر وجد نفسه محاطاً مع مرافقه بسبعة رجال

يتوسّطهم رجل في بذلة سوداء ويحمل مسدّساً. تمعّن رئيس الوزراء في وجه الرجل ولم يصدق أنه صدام حسين!.

ارتفع المسدّس حتى واجهت فوهته عيني رئيس الوزراء، ثمّ سمع ذلك الرجل، رئيس جهاز أمن البعث، صدام حسين، يقول بلهجة حازمة:

- ارفع يديك.

رئيس الوزراء العراقي لم يخف من المسدّس بقدر ما أرهبته العبارة الصلبة كالفولاذ، كان الصوت بارداً لا يقبل أي مساومة وأي حوار وأي تنازل. أيقن العقيد نايف أنه خسر الحرب، وأن العدو باغته بالضربة الأولى والقاضية، فرفع يديه، وكان جسمه مرتجفاً، وحين تكلّم خرج الصوت من فمه متهدجاً مخنوقاً:

- عندي أربعة أطفال.

- لا تخف. أنت تعلم أنك تطفّلت على هذه الثورة وأنك عقبة في طريق الحزب، نحن دفعنا دمنا ثمن هذه الثورة. قرار الحزب إزاحتك عن الطريق. عليك مغادرة العراق فوراً. حدّد عاصمة تكون فيها سفيراً.

قال رئيس الوزراء:

- بيروت.

قاطعه صدام:

- غير بيروت.

قال:

- الجزائر.

هزّ صدام المسدّس.

- غيرها...

قال:

- الرباط.

فهزّ صدام برأسه موافقاً.

مع حلول آب ١٩٦٨ كان البعث قد أصبح سيّد العراق من دون إراقة نقطة دم واحدة حتى ذلك الحين.

في العام ١٩٧٠ تمكّن صدام حسين من إبعاد نائبي رئيس الجمهوريّة الرجلين القويين صالح مهدي عماش الذي شغل طويلاً منصب وزير الداخلية والجنرال حردان التكريتي الذي شغل منصب وزير الدفاع.

بعد ذلك بات صدام يعرف في بغداد بلقب واحد: «السيّد النائب»، حتى الرئيس البكر اعتاد ان يناديه بهذا اللقب.

في آذار ١٩٧٠ عقد صدام اتفاقاً مع الملاّ مصطفى البرزاني ووضع حداً للحرب

الدائرة في منطقة الأكراد ومنحهم استقلاليّة محدودة في ظلّ حكم ذاتي.

في العام ١٩٧٣ باشر «السيّد النائب» صدام حسين حملة ترميم وإعادة هيكلة مختلف الأجهزة الأمنية في البلاد. وقد ساعده في ذلك خبراء سوفيات من K.G.B. في تقديم العناصر المؤهلة والأجهزة والمعدات. وتقرّر العمل على محورين:

- الأول: تعزيز الظهور العلني للقوى الأمنية: شرطة النجدة المجهّزة بوسائل اتصال مدنية وسيارات سريعة مستوردة من اوروبا.

- المحور الثاني: وهو الأهم، الجهاز غير المرئي. فقد اختفى إلى الأبد اسم حنين وظهر من الرماد أخطبوط جديد: الأخطبوط الذي ولد في العام ١٩٧٣ من ثلاثة أجهزة منفصلة ومترابطة في الوقت نفسه:

١ - الأمن: أو ما عرف سابقاً بأمن الدولة أو الأمن العام، وهذا الجهاز يشرف على عمل شرطة النجدة وكل قوى الأمن الداخلي في العراق. وتعمّد صدام ألاّ يستمر رئيس هذا الجهاز في وظيفته إلاّ لمدّة قصيرة جداً خوفاً من:

- الوقوع في الكسل.
- إساءة استخدام السلطة.
- تشكيل علاقات خطرة في الداخل أو الخارج.

٢ - الاستخبارات أو المخابرات العسكريّة، تتولّى كل العمليات ضد المعارضين في خارج البلاد، عراقيين وغير عراقيين، وتشرف على عمل جميع القناصل والسفارات عبر ملحقين عسكريين تفوق صلاحياتهم صلاحيات السفراء. في العام ١٩٧٩ نشر عراقي منشق هو خليل العزاوي (أحد رؤوس هذا الجهاز السابقين) كراساً يكشف بعض عمليات الاستخبارات العراقية في الخارج. مثال: الملحق العسكري في سفارة لندن قتل عقداء متقاعدين، الأمر عينه تكرّر في بيروت وبروكسل وبراغ وباريس وديترويت وهونغ كونغ وكوالالمبورغ وكابول وسيدني.

٣ - المخابرات: وهو الجهاز الأخطر. قام على أنقاض «حنين»، سمي «بالجهاز الخاص» لمدّة قصيرة، لكن اسم المخابرات ما لبث أن غلب عليه. تولّى الجهاز مهمّة أمن

الحزب. السيد النائب صدام حسين اتفق مع خبراء .K.G.B على أن أمن البعث من أمن العراق، فصمم هذا الجهاز بحيث يشرف على كل شؤون مفاصل الدولة ومؤسّساتها وأجهزتها، بما في ذلك الجيش والتنظيمات الشعبية.

في العام ١٩٧٩ طلب من الرئيس أحمد حسن البكر ان يتنازل عن كلّ مهامه: الرئاسة، رئاسة مجلس الوزراء، مجلس قيادة الثورة، أمين عام القيادة القطريّة، القائد العام للقوات المسلّحة. ومنذ ذلك التاريخ أصبح صدام حسين رئيساً للجمهوريّة، رئيساً لمجلس الوزراء، أميناً عاماً للقيادة القطرية لحزب البعث في العراق، رئيساً لمجلس قيادة الثورة، وأخيراً قائداً عاماً للقوات المسلّحة.

صدام حسين، الرجل القوي، مهووس السلطة ولا يشبع أبداً، مجنون، سفّاح، سفاك، دكتاتور، لا ينزع البذلة العسكريّة حتى في السرير، ينام ومسدّسه على وسطه، لا يتوانى أبداً عن القتل والتعذيب بمختلف أنواعهما:

- الحرق بالغاز.
- التذويب بالأسيد.
- البتر.
- الفلق.
- المثقاب الآلي.
- الحبس في برميل.
- التعليق في الشعر.
- كباسة الرأس.
- التمزيق.
- التعليق من الأذنين.
- التعليق من المعصمين.
- الكهرباء...

ناهيك عن استخدام الأسلحة الكيماوية في حربه ضد الأكراد العام ١٩٧٥.

هذا الرجل هو الذي سيقف في العام ١٩٨٠ على رأس جيشه وبلاده في حربه ضد إيران وعلى رأسها الإمام الخميني.

العنف هو السلاح الرئيسي لصدام، فعندما وصل إلى سدّة الرئاسة العام ١٩٧٩ دشّن عهده بإعدام ٢١ من أفراد مجلس وزرائه، ومن بينهم أحد أقرب المقرّبين إليه وقد رثاه بالعبارة التالية: «بعد أن كان قريباً جداً مني ابتعد أكثر من اللزوم».

ولم تكن تمضي سنة على هذا الحادث حتى دعى وزراءه ومساعديه إلى اجتماع في

سجن بغداد المركزي وجعلهم يشهدون إعدام العديد من السجناء السياسيين. وقد أراد من هذا التصرّف ان يجعلهم يتذوّقون نكهة ما يتعرّض له من يعارضه أو يخرج عن طاعته.

لم يكن صدام عسكرياً محترفاً بل كان يقف موقف الحيطة والحذر تجاه جيشه الذي يفضّله قوياً ولكن مطيعاً، وهو يحب ارتداء زي الجنرالات ويحتفظ بعقدة نقص تجاه كبار الضباط الذين يعتبرونه طارئاً عليهم وغريباً عنهم.

أثناء الحرب العراقية الإيرانية وفي مواجهة الشائعات التي انتشرت عن إعدام العديد من العسكريين ذوي الرتب العالية قال صدام حسين «هذا ليس صحيحاً، لقد أعدمت اثنين فقط من قادة الفرق ورئيس وحدة ميكانيكية».

في أحد الاجتماعات، خلال تلك الحرب، حاول أحد الضباط معارضة الخطط الهجوميّة التي وضعها صدام، فأصغى صدام إلى محدّثه حتى أنهى كلامه ثمّ استلّ مسدّسه فجأة من دون سابق إنذار وأطلق رصاصة على رأس هذا الضابط الذي قتل على الفور.

في العام ١٩٨٨، أي بعد قليل من توقّف الحرب وضع المئات من الضباط في السجون وتمّ إعدام العديد منهم. في عداد الذين اختفوا إلى الأبد بطل من أبطال الحرب هو الجنرال ماهر عبد الرشيد والد زوجة أحد أبناء صدام.

في حياته الخاصة، يطلب صدام حسين على الدوام وفي شكل دوري ان يرى فيلم «العراب»، كما يرتاح إلى مقارنة نفسه بملك بابل نبوخذنصر.

بشخصيته الانفعاليّة والذكيّة، وبادعائه وافتخاره بنفسه وشعور العظمة لديه، أخذ صدام ينظر إلى العراق باعتباره قلعة حصينة قادرة على تحدي العالم بأجمعه.

ثالثاً – مواقف الدول خلال الحرب

أ – الدول الإقليميّة:

١ – موقف سوريا:

سوريا والعراق، البلدان المتجاوران الشقيقان، يعود الخلاف بينهما على زعامة المنطقة إلى ما قبل الإسلام. ثمّ تجدّد في

العصرين الأموي والعباسي. فالعراق لم يتوان يوماً عن الوقوف بجيشه إلى جانب سوريا في الصراع العربي - الإسرائيلي. غير أن حسابات سوريا في الحرب العراقية - الإيرانية لم تكن لمصلحة العراق ولذلك أسباب عديدة. فالحزب الواحد الذي يجمع الحكمين، أي حزب البعث، لم يستطع جمع الشمل، ولسوريا مآخذ عديدة على نظام الحكم في العراق الذي انحرف في رأيها عن المسار النضالي والجهادي وأخذ يأوي خلايا وفصائل يشجّعها على الإخلال بالأمن في سوريا وقلب نظام الحكم فيها. وقد وجدت سوريا نفسها بعد حصول الثورة الإسلامية في إيران ومجاهرتها العداء لإسرائيل أقرب إلى إيران من العراق بصرف النظر عن الاختلاف في العرق والانتماء. كذلك تتهم سوريا النظام العراقي بأنه أصبح أداة غربيّة (أميركيّة وأردنيّة) للضغط على سوريا.

وقد وقفت سوريا إلى جانب إيران في حربها ضد العراق لأنها اتهمت العراق بالبدء بالهجوم على إيران بتشجيع من الغرب، لمحاصرة الثورة الإسلاميّة وحماية دول الخليج من محاولة إيران تصدير ثورتها إليها. كذلك رأت في هذه الحرب خلق صراع جديد في المنطقة لإلهاء العرب عن الصراع الحقيقي والجوهري في المنطقة: الصراع العربي - الاسرائيلي.

٢ - موقف إسرائيل:

إن إسرائيل هي الرابح الوحيد جراء كلّ حرب أو خلاف أو صراع بين الدول العربيّة وبينها وبين الدول الإسلاميّة.

فالعراق يجسّد تهديداً مباشراً لدولة إسرائيل باسم القوميّة العربيّة، وهو لم يتوان عن الدعم أو الاشتراك في أي حرب عربيّة - إسرائيليّة. كما ان العراق يشكّل قوّة عسكريّة واقتصاديّة فاعلة جداً في الجبهة الشرقيّة لأي صراع مسلّح محتمل بين إسرائيل وجيرانها العرب.

أمّا إيران، وبعد رحيل الشاه الذي كان يشكّل قوّة داعمة ومساندة لإسرائيل، وقيام الثورة الإسلاميّة والموقف المتشدّد والمبدئي الذي اتخذته من إسرائيل على أنها صنيعة الاستعمار وأداة تفرقة وتخريب للعالم

الإسلامي، فقد رأت اسرائيل في هذه الثورة عدواً جديداً لا بدّ من التصدّي له ومواجهته ومنعه عن تصدير أفكاره المعادية إلى المنطقة.

من هنا قضت مصلحة إسرائيل بتغذية الخلاف بين عدويها، وبالمساعدات السريّة وبواسطة الأطراف الثالثة، كانت تزوّد الجيوش المتحاربة بقطع الغيار والأسلحة في شكل يكفي لإطالة أمد الحرب وعدم تمكّن أي طرف من حسم الأمور لمصلحته.

٣ - الموقفان المصري والأردني:

منذ قيام الثورة الإسلاميّة، ناصب الإمام الخميني العداء جهراً للأنظمة الإسلامية العربيّة التي اعتبرها موالية للغرب، وعلى رأسها النظام المصري الذي كان خارجاً لتوّه من عقد اتفاق كمب دايفيد مع إسرائيل. وفي موازاة ذلك كان الإيرانيون يعتبرون الأردن البعد الاستراتيجي للعراق وهو معروف بارتباطه بالغرب.

نتيجة هذا الموقف أمدّت الدولتان المذكورتان العراق ببعض العتاد العسكري، حتى أن الأردن أرسل وحدات من جيشه للقتال إلى جانب الجيش العراقي.

٤ - موقف ليبيا:

عند اندلاع الحرب العراقيّة - الايرانيّة حدّد العقيد الليبي معمّر القذافي موقفه جهاراً إلى جانب إيران. وهذا الموقف سبقه موقف آخر مماثل مرحّب بانتصار الثورة الإسلاميّة وانتصارها على الشاه صديق الغرب. وقد وقف العقيد القذافي آنذاك إلى جانب الإمام الخميني الداعي إلى تحرير القدس والعالم الإسلامي.

ب - الدول الأجنبيّة:

١ - موقف الولايات المتحدة الأميركية:

إن الموقف الأميركي من الصراع العربي الإسرائيلي المنحاز في شكل فاضح إلى جانب إسرائيل يجعل من الدول العربيّة المتحرّرة من الوصاية الغربيّة أخصاماً وأعداء طبيعيين للولايات المتحدة. وينطبق هذا القول على العراق وإيران (بعد الثورة)، وغدت الدولة العظمى هذه خارج لعبة الدولتين المتصارعتين وانعدم تأثيرها على أي من النظامين في مستهلّ الحرب. فاتخذت من الصراع موقف الحياد، طالما ان

مصالحها أو مصالح حلفائها غير مهدّدة. وفي العام ١٩٨٧، عندما بدأت الحرب تهدّد أمن الخليج ومنابع النفط ووسائل تصديره للخارج أقدمت الولايات المتحدة على التدخّل عسكرياً بأساطيلها ضد إيران في صورة خاصة، وأحياناً ضد العراق.

٢ - موقف الاتحاد السوفياتي:

العام ١٩٧٢ توّج العراق أربعة عشر عاماً من العلاقات الممتازة مع الاتحاد السوفياتي بمعاهدة صداقة، ولكن انفتاحه التدريجي على التكنولوجيا الغربيّة بدأ يبعده شيئاً فشيئاً عن حليفه السوفياتي.

وفي مستهل الحرب كان ثمانون بالمئة من العتاد العسكري العراقي لا يزال سوفياتياً أو شرقياً، رغم ضرب النظام الحاكم للحزب الشيوعي في العراق.

أمّا بالنسبة إلى إيران فهناك حدود مشتركة مع الاتحاد السوفياتي يبلغ طولها حوالي ٢٥٠٠كلم، وهناك مجموعات سكانيّة ذات عرق واحد تعيش على حدود الدولتين، بالإضافة إلى تاريخ طويل من الحذر والصراع.

ومع سقوط الشاه، حاول الاتحاد السوفياتي ملء الفراغ الذي أحدثه انسحاب الأميركيين، لكن سياسة الإمام الخميني الرافضة للالحاد الذي يمثّله الحزب الشيوعي والتي أدّت إلى ضرب حزب «توده» الشيوعي الإيراني واجتياح الجيش الأحمر أفغانستان، البلد المسلم الشقيق والعزيز على قلب الامام الخميني، جعل العلاقات بين البلدين مقتصرة على علاقات حسن الجوار.

من هنا كان الموقف السوفياتي من الحرب العراقيّة الإيرانيّة موقفاً محايداً مع تعهّد بالمحافظة على العلاقات الطيّبة مع العراق. واستمرّ على هذا الموقف حتى نهاية الحرب طالما ان مصالحه المباشرة وغير المباشرة لم تتعرّض للأذى.

٣ - الموقف الفرنسي:

منذ أن انفتح العراق على العالم الغربي في السبعينات، كانت لفرنسا حصّة الأسد من بيع المعدّات والأجهزة التكنولوجيّة. كما تضمن هذا التعاون ابتياع العراق لمفاعل نووي. أمّا إيران الإمام الخميني،

والتي رفضت الغرب برمّته، فقد ساءت علاقاتها بفرنسا نتيجة عدم تسوية قضيّة الـ ٤٠٠ مليون دولار المعلّقة منذ حكم الشاه. ويوم اندلعت الحرب العراقيّة الإيرانيّة كانت الارتباطات الفرنسيّة العراقيّة عميقة متشعّبة بحيث لا يبقى مجال للشك في الموقف الفرنسي الداعم كلياً للعراق.

وفي ختام هذا الفصل من مواقف الدول الإقليميّة والأجنبيّة لا بدّ من الإشارة إلى ان الحرب العراقيّة الإيرانيّة لم تضر سوى بمصالح العراق وإيران وحدهما، وتأثّرت بها دول الخليج، بينما أفادت منها معظم الدول التي تناصب هاتين الدولتين العداء، وخصوصاً إسرائيل والولايات المتحدة الأميركية.

رابعاً – نتائج الحرب والدروس المستقاة منها

أ – نتائج الحرب العراقية – الإيرانية:

١ – تدمير الآلة العسكرية للبلدين، وإصابة الاقتصاد الإيراني والعراقي بأضرار جسيمة، وسقوط عدد كبير من القتلى والجرحى والمعوّقين. ولا بدّ من مرور سنين طويلة قبل التمكّن من محو آثار هذه الحرب وإزالة رواسبها المادية والنفسيّة.

٢ – الإفادة القصوى التي حققتها إسرائيل من خلال التدمير الذاتي لأكبر عدوّين لها في المنطقة. من هنا يسهل علينا تصديق الأخبار والشائعات عن تزويد إسرائيل البلدين بالأسلحة وقطع الغيار بالكميات الكافية لاستمرار الحرب من دون حسمها. وفي اعتقاد الخبراء العسكريين ان الضرر والدمار اللذين أصابا الجيش العراقي في هذه الحرب وفي الحرب الخليجيّة الثانية وإحتلال الكويت هما اللذان مهّدا وسهّلا الحرب الثالثة على العراق وغزوه من قبل الولايات المتحدة الأميركية.

٣ – يقظة القوميات:

توجد في العراق وإيران وبعض الدول المجاورة لهما أقليات سكانية تحرّكت مراراً عبر التاريخ سعياً إلى الاستقلال والحكم الذاتي. وقد كان لمعظم هذه الأقليات نوع من الاستقلال لحقب طويلة، غير أن نتائج

الحروب الإقليميّة والدوليّة، والتي تنتهي عادة بتقاسم النفوذ من جديد، كانت توزّع هذه الأقليات جوائز ترضية بين المنتصرين. وهذه الأقليات هي الأرمن، التركمان، الأكراد والبلوش.

- الأكراد: يشكّل الأكراد قومية قائمة في ذاتها ويبلغ عددها حوالي تسعة ملايين نسمة وتوجد في مناطق جبليّة تتوزّع على دول ثلاث هي العراق، إيران وتركيا. خلال الستين السنة الماضية اقتصر تحرّك الأكراد لنيل الاستقلال على الذين يقطنون شمالي شرق العراق، بينما لم يتحرّكوا في المناطق الإيرانية والتركية. وكان تحرّك الأكراد يأتي معظم الأحيان بتدخّل إحدى الدول لممارسة ضغوط على العراق وخاصة في زمن الشاه.

خلال الحرب بين البلدين حاول الأكراد الإيرانيون مراراً الضغط على الحكم الإيراني للحصول على بعض الإمتيازات لكن حركاتهم قمعت بقوّة. كذلك فعل أكراد تركيا من دون جدوى.

ويمكن القول حالياً إن الأكراد في العراق يتمتّعون بوضع أفضل بكثير من أبناء عرقهم في إيران وتركيا بعد اشتراكهم في الحكم مع الشيعة والسنة.

- البلوش: يبلغ عدد البلوش عشرة ملايين نسمة يتوزعون على دول ثلاث: إيران، أفغانستان وباكستان ويطلّون على المحيط الهندي بحوالي ٤٠٠ كلم. قام البلوش خلال القرن الماضي بحركات تحرّرية عدّة لكن مصالح الدول الكبرى أبقت على وضعهم الراهن.

يشكل البلوش الحاجز الديموغرافي والجغرافي على مسافة ٤٠٠ كلم بين أفغانستان والمحيط الهندي. ويوم دخل الجيش الأحمر أفغانستان العام ١٩٧٨ اعتقد المحلّلون الاستراتجيّون بأن خطوته التالية ستكون بلوشتان للوصول إلى المياه الدافئة. غير أن فشل الروس في أفغانستان وانسحابهم منها وإحتلال الأميركيين لها يجعل من تحرّك هذه القومية أمراً مستحيلاً في المستقبل القريب.

٤ - يقظة المذاهب:

كان للحرب العراقيّة - الإيرانيّة تأثير بارز في تحريك المذاهب والأديان. فالثورة

الإسلاميّة التي قامت في إيران العام ١٩٧٨ ارتكزت على الدعوة الإسلاميّة في المذهب الشيعي. وقد حاولت إيران مراراً خلال الحرب إقامة جسور مع الأغلبيّة الشيعيّة الموجودة في جنوب العراق. حتى أن هجومها المضاد التي شنّته في العام ١٩٨٧ تمحور حول المنطقة الجنوبيّة. أمّا العراق فكان يحارب ضمن الإطار القومي العربي، واستطاع استقطاب الدول العربيّة كمصر والأردن ودول الخليج، وكان يحاول جاهداً ودائماً إبعاد البعد الديني عن المعركة ووضعها في إطار الصراع العرقي بين العرب والفرس.

٥ - توقف ما اتفق على تسميته خلال الحرب وقبلها بتصدير الثورة الإسلامية من إيران إلى دول الخليج والعالم العربي. وكان هذا الأمر يشكّل بعبعاً كبيراً لدول الخليج بالنظر لقربها من إيران وضعف آلتها العسكريّة في ردّ العدوان. وقد أفاد العراق من هذا الأمر لتكريس دوره المدافع عن العروبة في وجه المد الإسلامي الفارسي، فطالب بعض الدول، ومنها الكويت، بثمن هذا الدفاع وكانت الشرارة التي انطلقت منها الحرب الخليجيّة الثانية باحتلال العراق للكويت.

ب - الدروس المستقاة من الحرب العراقية - الإيرانية:

١ - عدم خضوع الحروب الحديثة لقواعد الحرب التقليديّة:

كانت الحروب القديمة تعتمد على الحشد البشري والمعارك الفاصلة وشجاعة القادة العسكريين، والتاريخ العسكري يحمل أسماء معارك خالدة مثل: مجدو وستالينغراد وفردان ومرج دابق وحطين وواترلو والعلمين والنورماندي... كما يحمل أسماء قادة خالدين مثل: هنيبعل وطارق ابن زياد وخالد بن الوليد وصلاح الدين الأيوبي ومونتغمري وروميل وايزنهاور وغيرهم.

أما حروب اليوم فتخاض بضربات عسكريّة جوية ومدفعيّة صاعقة ومدمّرة واجتياحات كبيرة تخلّف دماراً كبيراً وخسائر فادحة بالأرواح والممتلكات. فالاعتماد الأساسي في حروب اليوم يقع على التقنيات المتطوّرة لا على العنصر البشري، وعلى الاجتياحات لا على المعارك، فلا نسمع اليوم بمعارك فاصلة ولا بقادة عسكريين شجعان، فالقائد هو رئيس

الدولة (الامام الخميني وصدام حسين) أو رئيس أركان الجيش (كولن باول).

٢ - إن إنشاء الدول الحديثة يتمّ اصطناعياً وبرسم حدود لا تراعي مصالح البلاد المعنيّة بقدر ما تراعي مصالح الدول العظمى، وبالتالي تبقى الحدود عامل تفجير للخلافات بين الدول الحديثة، وخير مثال على ذلك العراق وإيران.

٣ - العراق وإيران جاران متخاصمان وعدوّان منذ أربعة قرون. فالشعبان مختلفان (عربي وفارسي) والديانتان اللتان يوحّدهما الإسلام يفرّقهما المذهب (إيران الشيعة والنظام العراقي السني)، والايديولوجية التي ترتكز عليها السلطة في العراق قوميّة وفي إيران دينيّة. ولذلك فإن الحرب بينهما تتسم بالحقد والكراهية والضراوة والخسائر الفادحة.

٤ - ركّز الجيش العراقي هجومه في جنوب إيران (إقليم عربستان) حيث الأغلبيّة السكانية من العرب، معتمداً على تقارب عرب الإقليم مع عرب العراق، غير أن حسابات العراق لم تصح، وحارب العرب في إيران على أساس الانتماء الوطني وليس الانتماء القومي.

٥ - شنّ العراق حربه ضدّ إيران بهدف منع تصدير الثورة الإسلامية الإيرانيّة إلى منطقة الخليج، ولّما حاول بعد نهاية الحرب قبض الثمن من هذه الدول تمنّعت عن ذلك، فكانت حرب الخليج الثانية باجتياح الكويت ومن ثمّ تحريرها.

٦ - بدأ العراق هجومه على إيران بضربة جوية مفاجئة كان يمكن لها أن تكون حاسمة للحرب، غير أن هذه الضربة لم تنجح بسبب ضعف جيوش دول العالم الثالث في استيعاب التقنيات الحديثة والمعقّدة لسلاح الجو.

٧ - فاجأ الإيرانيون الجيش العراقي بمشاركة عناصر الحرس الثوري الذي لم يكن يحسب له حساب، وتمكّنت القوات التابعة لهذا الحرس من وقف الهجوم العراقي في الجنوب والقيام بهجومات معاكسة داخل العراق.

٨ - رغم تفوّق إيران على العراق بعديد الجيش وعتاده إلاّ أن الحظر الذي فرضته الدول الكبرى على إيران بعد قيام الثورة الإسلاميّة، وخاصة لقطع الغيار والذخيرة، لم يسمح لإيران بتسجيل انتصارات ضد العراق.

٩ - رغم أن الحرب استمرّت ثمانية أعوام إلاّ أن المعارك العسكريّة اقتصرت على السنتين الأوليين والسنة الأخيرة، أمّا باقي المدّة فكانت عبارة عن حرب استنزاف انهكت الطرفين ودمّرت الآليّة العسكريّة للبلدين وربما كان هذا هو المطلوب من قبل الدول العظمى: شطب دولتين كبيرتين تشكّلان خطراً على إسرائيل.

١٠ - كان يمكن لهذه الحرب أن تطول أكثر لولا تهديد أبار النفط والإمدادات النفطيّة للدول الكبرى التي تدخّلت لهذا الغرض وليس لغرض سواه.

١١ - إن طبيعة الأرض الجبليّة في قسم من الحدود المشتركة والمجاري المائيّة في القسم الآخر لم تسمح للجيشين بالقيام بمناورات واسعة وكبيرة، واقتصرت الحرب على حرب المواقع والمدن.

١٢ - إنّ غنى الدولتين بالنفط هو الذي سمح لهما بالقتال لمدّة طويلة من الزمن وتحمّل الخسائر الكبيرة.

١٣ - كانت للعراق ثغرة كبيرة في الحرب وهي الواجهة البحريّة الضيّقة له على المياه (٢٥ كلم على شط العرب) مما حمل إيران على احتلال جزر الفاو لمنع العراق من تصدير نفطه عبر شط العرب.

١٤ - كانت لإيران ثغرة كبيرة في الحرب تمثّلت بالعمليات العسكريّة والأمنيّة التي قام بها المعارضون الإيرانيون داخل إيران، وتمثّلت بالتفجيرات الداخلية التي أودت بحياة رؤساء وقادة وأفراد من الشعب.

١٥ - لم يتمكّن الطرفان المتحاربان من الصمود كثيراً في المواقع التي يحتلّها بسبب ضعف الغطاء الجوي من جهة وضعف الإمدادات اللوجستيّة من جهة أخرى.

١٦ - لم يشترك الجيش الإيراني بفعاليّة في الحرب ضد العراق بسبب:

- النقص بالذخيرة وقطع الغيار.
- استخدام رئيس جمهورية إيران آنذاك بني صدر لوحدات كبيرة من الجيش لحماية حكمه في طهران.

القسم الثاني

حرب الخليج الثانية:

النزاع العراقي - الكويتي

١٩٩٠ - ١٩٩١



الفصل الرابع
الغزو العراقي للكويت

أولاً – الكويت بين الصراعات الدوليّة وتوازناتها[١]

إن التجاذبات والأطماع التي تدور حول الكويت ليست وليدة هذه الحقبة من تاريخ الخليج، وإنما لها جذورها العميقة والممتدّة حتى قبل نشأة الدولة، عندما كانت العناصر والعوامل المختلفة التي شكّلت دولة الكويت الحديثة لا تزال تتبلور وتتراكم وتتجمّع. فمنذ ذلك الحين كانت أراضي الكويت جزءاً من الساحة الخليجيّة العامة التي شهدت سباق الدول الأوروبية الكبرى وصراعها في عصر الكشوف الجغرافيّة للسيطرة على البحار وطرق المواصلات إلى الشرق. وقد تمثّلت تلك السيطرة في الخليج بادىء الأمر للبرتغال، ثمّ هولندة وأخيراً بريطانيا.

ويؤكّد الكويتيون في الحديث عن تاريخهم بأنهم كيان مستقل له هويته المميّزة.[٢] فالكويت وفقاً لطروحاتهم لم تشهد ما شهدته الولايات العثمانية من إيفاد «حاكم» أو «والي» من قبل الدولة العثمانية يتولّى أمورها، ولا عرفت الانكشاريّة أو مماليك يشاركون في السلطة ويخضعون للاستانة. لقد كان شيخ الكويت دائماً من صلب أبنائها ولم

---

(١) نزاعات الحدود في الخليج – معضلة السيادة والشرعية – مركز الدراسات الاستراتيجية – سالم مشكور – بيروت ١٩٩٣.

(٢) الغزو العراقي للكويت – عالم المعرفة – عدد ١٩٥ – طبعة ١٩٩٦.

يكن هناك أي مسؤول عثماني ينافسه في نفوذه أو يشاركه السلطة أو يملي عليه سياسته. وعلى امتداد تاريخ الكويت الحديث، كان شيوخها يدخلون في عهود ومواثيق مع الدول الأخرى. ويقدمون تعهّدات ويلتزمون بمواقف، متطلّعين دائماً إلى ما يحقق مصلحة الكويت.

وقد تولّى آل الصباح مشيخة الكويت عام ١٧٥٢م. في ذلك الوقت كان الصراع قد حسم لصالح بريطانيا التي احتلّت مركز الصدارة في تجارة الخليج وراحت تسعى لاحتكارها[١]، وشهدت هذه الفترة تفاقم النزاع بين شاه فارس كريم خان وباشا بغداد العثماني، واندلعت الحرب بينهما فتمكّن كريم خان من الاستيلاء على البصرة عام ١٧٧٥م، فتحوّلت تجارة الهند والبصرة إلى الكويت[٢].

وكان هذا التطوّر مؤشّراً عمّا تمثّله الكويت من بديل ومنافس تجاري خطير للبصرة خاصة. وفي عام ١٧٩٣م. تفجّرت اضطرابات عنيفة في البصرة اضطرّ المقيم البريطاني إزاءها لنقل مركز قيادته إلى الكويت ولمدّة عامين تقريباً. وتشير كافة الدلائل إلى التقدّم الإيجابي الواضح للعلاقات البريطانية الكويتيّة في تلك المرحلة وإلى العلاقة الوثيقة التي قامت بين ثاني حكام الكويت الشيخ عبدالله الصباح والجانب البريطاني الذي كان يكنّ له احتراماً كبيراً كرجل «يحافظ على كلمته».

ومنذ مطلع القرن التاسع عشر أصبح للكويت علاقات مع عديد من الدول الكبرى مثل بريطانيا، روسيا، ألمانيا وتركيا، كما شكّلت هذه العلاقات في كثير من الأوقات عامل تنافس وتجاذب بين هذه الدول. ففي العام ١٨٢٢م، تجدّدت الاضطرابات المحليّة في البصرة فاضطرّت شركة «الهند الشرقيّة» البريطانيّة لنقل مكاتبها إلى الكويت ووقّع شيخ الكويت معاهدة الهدنة البحريّة مؤقّتاً مع بريطانيا عام

(١) أحمد مصطفى حاكمة: تاريخ الكويت الحديث - ص ٤٩.

(٢) نفس المصدر.

١٨٤١ من دون إستئذان الباب العالي مما أثار غضب وارتياب السلطنة العثمانية.

ونتيجة الصراع البريطاني التركي من أجل الهيمنة على الخليج والكويت، رحّبت بريطانيا في بادىء الأمر بدور محمد علي في القضاء على الحركة الوهابية الصاعدة، ولكن سرعان ما ساورتها الشكوك في مطامعه التي تتعارض مع مصالحها الاستعماريّة وأسفرت جهود بريطانيا عن عقد معاهدة لندن عام ١٨٤١ والتي حوصر محمد علي بمقتضاها داخل حدود مصر.

وعندما دخلت فرنسا حلبة السباق للسيطرة على الطرق الموصلة إلى الشرق بإقامة مشروع لشق قناة السويس، أوفدت الحكومة البريطانية، أحد خبرائها لمسح طريق وادي الفرات ثمّ عدلت عن الموضوع. وعوّضت ذلك باحتلال قبرص ومصر.

وفي أواخر القرن التاسع عشر، أي في كانون الأول ١٨٩٨، برز الغريم الروسي في حلبة الصراع من جديد من خلال عرض مد خطّ سكّة حديد من طرابلس لبنان إلى الكويت لوصل البحر الأبيض المتوسّط بالخليج العربي. ولكن تصدّي بريطانيا والعثمانيين لهذا المشروع كان كفيلاً بإحباطه منعاً لتوسّع النفوذ الروسي في المنطقة. كما عرضت المانيا لمشروع سكة حديد من برلين إلى بغداد وينتهي بالكويت. وهذا ما يجعلنا ندرك الأهمية المتزايدة للكويت كموقع استراتيجي منفرد على رأس الخليج مع كلّ ما ينبني على ذلك من مزايا عسكريّة واقتصاديّة وسياسيّة لمن يحكم قبضته عليها. وقد حاولت الكويت مراراً طلب الحماية من بريطانيا عندما كانت تشعر بالخطر التركي لابتلاعها بواسطة والي البصرة، غير أن البريطانيين لم يكونوا متحمّسين لهذه الحماية المباشرة خوفاً من انفجار الخلافات بينها وبين الدولة العثمانية وكانت تفضّل أن تبقى الكويت بعيدة عن التجاذبات مستفيدة من التوازنات السياسيّة القائمة لمختلف الأطراف في المنطقة.

في العام ١٨٩٩ وقعت معاهدة سرية بين الكويت وبريطانيا جاءت تجسيداً لتقدّم بريطانيا على منافسيها في الصراع الدولي على الخليج. وبموجب هذه المعاهدة تتعهّد بريطانيا بالدفاع عن الكويت ضدّ أي عدوان خارجي. وقد اضطرّت بريطانيا لتوقيع هذه

المعاهدة عندما شعرت أن مصالحها في الخليج مهدّدة.

وفي العام ١٩٠١ تواترت الشائعات حول هجوم تركي وشيك قد تتعرّض له الكويت من قبل والي البصرة، عندئذ قامت القوات البريطانية بالتأهّب وطاردت السفن البريطانية السفن التركية التي كانت تحمل قوات تركية لمهاجمة الكويت. واستقرت الأوضاع باتفاق ضمني قضى بعدم مهاجمة الأتراك لدولة الكويت مقابل تعهّد من الشيخ مبارك بوقف غاراته على نجد. وقد عبّر العثمانيون والبريطانيون عن رضاهما عن هذا الاتفاق في العام ١٩١٠م.

مع مطلع القرن العشرين ازدادت التناقضات والصراعات بين الدول الأوروبية المستعمرة تفاقماً، وشهد العالم سلسلة من الاتفاقات والتحالفات والمساومات والتوازنات. ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى العام ١٩١٤ انحازت الكويت إلى جانب بريطانيا رغم دخول الخلافة العثمانيّة الحرب إلى جانب الألمان. ومقابل هذا الموقف الذي اتخذه الشيخ مبارك تلقّى الوعد من بريطانيا بأن تعترف به كحاكم مستقل تحت الحماية البريطانية.

وانتهت الحرب العالميّة بانتصار الحلفاء وعلى رأسهم بريطانيا وتمزّقت أوصال الولايات العثمانيّة السابقة، فكانت العراق من نصيب بريطانيا، بوضعها تحت الانتداب، ولذلك هدأت الأوضاع في منطقة الخليج والكويت ولم يعد هناك منافس يقف في مواجهة بريطانيا.

ومع تدفّق النفط، تبدأ صفحة جديدة من تاريخ الكويت، ويستمرّ الصراع، وإن اختلفت أشكاله ووسائله، وتغيّرت الأطراف المتنافسة، والكويت في تلك المرحلة لم تكن تملك الموارد التي تسمح لها بتمويل عمليات البحث والتنقيب والاستخراج، ولا تملك الخبرات الفنية اللازمة لممارسة هذا النوع من النشاط الاقتصادي الجديد، ولعلّ هذا ما يفسّر نوعية الامتيازات التي أعطتها للشركات الأجنبيّة.

ومهما يكن من أمر، فقد أضاف النفط عاملاً جديداً بالغ الأهمية إلى العوامل الجغرافية والاستراتيجية التي جعلت من الكويت مطمعاً للطامعين.

وفي العودة إلى ما سبق ذكره من ان الكويت كان لها كيان مستقل بذاته وله هويته المميّزة، إلاّ ان ذلك لا ينفي ان الكويت كانت دائماً جزءاً من شبه الجزيرة العربية، وبالتالي كانت مميّزة عن ولاية البصرة أو أرض العراق. وخلافاً لما كان يجاهر به حكام العراق من أن الكويت هي جزء من العراق وأن للعراق حقوق تاريخيّة في الكويت، إلاّ أن هذه الإدعاءات تجد دائماً من يناقضها أو يدحضها بتقريب الكويت من شبه الجزيرة العربية، وهذا ما يفسّر العلاقات الوثيقة التي تربط الإمارة بالمملكة.

ومن الأدلّة المستخدمة على بعد الكويت عن العراق تاريخياً عدم وجود تبعيّة عثمانية على الكويت التي وثقت علاقاتها مع بريطانيا على حساب العثمانيين. ومن الأدلّة أيضاً ما كان يحصل من انتقال الوكالة التجاريّة التابعة للشركة الهنديّة البريطانيّة من البصرة إلى الكويت عندما كانت العلاقات تتوتّر بين البريطانيين والعثمانيين، وفي ذلك دلالة على ان الكويت كان لها كيانها الخاص، وإلاّ لما انتقلت الوكالة إليها، كما أن الكويت كانت في حرية تامة لعقد المعاهدات التجارية والبحريّة دون الرجوع في ذلك إلى الباب العالي.

وفي التاريخ دلائل أخرى على هذه الظاهرة. لقد كانت الكويت دائماً ملجأ للثائرين على والي بغداد، وقد رفض شيوخ الكويت أكثر من مرّة تسليم من لجأ إليها مراعاة للتقاليد العربية.

ومن الحقائق أيضاً أن الكويت أقامت علاقات خاصة مع القوات المصرية التي وصلت للخليج في عهد محمد علي، وقد رحّب الشيخ جابر حاكم الكويت آنذاك بالمبعوث المصري الذي أرسله خورشيد باشا إلى الكويت عام ١٨٣٩ ووضع سفن الكويت في خدمة القوات المصرية، وهذه المواقف كانت متناقضة تماماً للسياسات والمصالح العثمانية حيث كانت العلاقات قد تأزّمت في ذلك الوقت بين الدولة العثمانية ومحمّد علي الذي كانت قواته قاب قوسين أو أدنى من دخول الاستانة عاصمة الدولة العثمانية.

---

(١) الغزو العراقي للكويت - عالم المعرفة - عدد خاص ١٩٥ - الكويت ١٩٩٦.

ومن مؤشّرات استقلاليّة الكيان الكويتي[١] أنها لم تشهد ما شهدته الولايات العثمانيّة من وجود «والي» من قبل الدولة، كما لم ترابط فيها حامية عثمانية، وكان حاكم الكويت دائماً من صلب أبنائها. والجدير ذكره أيضاً في هذا المجال استقلالية القضاء في الكويت عن القضاء العثماني الذي كان مظهراً أساسياً من مظاهر السيادة في دولة بني عثمان. كما ان الكويت لم تلتزم بالعملة العثمانية، وهي مظهر آخر من مظاهر السيادة، وبقيت الكويت تتعامل بمختلف العملات المتداولة في منطقة الخليج سواء كانت أوروبية أو هندية أو فارسية أو عثمانية.

ويعود الفضل الكبير في إعطاء الكيان الكويتي نوعاً من الاستقلال الذاتي في خضم التنافس الدولي الذي كان قائماً في الخليج، يعود هذا الفضل إلى الشيخ مبارك حاكم الكويت في هذه الحقبة. حيث تمكّن بدهائه ومناوراته السياسيّة من البقاء بعيداً عن التجاذبات مع ميل واضح نحو بريطانيا، وقد كان رهان الشيخ مبارك في محلّه حين انتهت الحرب العالمية الأولى بانهزام الدولة العثمانية وتفكّكها وانتصار الحلفاء وعلى رأسهم بريطانيا التي سيطرت على العراق.

من الناحية العراقية، هناك مزاعم من ان الكويت كانت لها نوع من التبعيّة تجاه محافظة البصرة والوالي العثماني فيها. غير أن هذه المزاعم تجد من يناقشها بالقول: حتى إذا كانت هذه التبعيّة قائمة وثابتة وموجودة فما علاقة العراق بهذه التبعيّة؟ هل العراق هو الوريث الشرعي للخلافة العثمانيّة؟

وأخيراً، وبعد هذه القراءة التاريخيّة، يؤكّد الكويتيون ان الكويت بلد مستقل منذ مطلع الستينات، وهي بلد عضو في الأمم المتحدة وفي جامعة الدول العربية وعضو فاعل في المنظّمة الدولية ولا يحق لأي دولة ان تضم بالقوّة دولة مستقلّة تحت أية ذرائع.

ثانياً – العلاقات الكويتية العراقية: (١٩٢١ – ١٩٩٠)

تقع الكويت في أقصى شمال الخليج العربي في نصف دائرة حساسة كونها بلداً صغيراً مساحة وسكاناً[١]. بلد كهذا شأنه

(١) عبد العزيز الرشيد، تاريخ الكويت، دار مكتبة الحياة، ١٩٧٨، ص ١٠٦.

شأن البلدان الأخرى تكون له علاقات سياسية واقتصاديّة واجتماعيّة مع دول الجوار، ويمر عبر تاريخه بفترات من المد والجزر في تلك العلاقات، كما تحدث مشكلات حدودية وبخاصة في العالم الثالث الذي غالباً لا يلجأ لحلّ تلك المشكلات سلمياً عن طريق الحوار والتفاوض، وإنما يتم الحسم بالقوّة العسكرية، وفي هذه الحالة تكون الدول الصغيرة هي الضحية والخاسرة. أمّا فيما يتعلّق بالعلاقات بين العراق والكويت، فإن الأمر تعدى حدود المشكلات الحدودية إلى محاولات الضم ثمّ الاحتلال الشامل.

لقد ارتبطت الكويت بالعراق، منذ تأسيس دولة العراق الحديثة ١٩٢١م، بعلاقات سياسية واقتصاديّة واجتماعيّة، والأكثر تقلّباً وتوتراً وقلقاً هي العلاقات السياسية بين البلدين، حيث كانت أنظمة الحكم في العراق تنتقل من المطالبة بمناطق حدودية إلى المطالبة بالكويت على أنها جزء من العراق، ثمّ تعترف بالكويت كياناً مستقلاً، وتعود لتطالب بها مرّة أخرى. ففي العام ١٩٦٣ اعترف العراق باستقلال الكويت وأقام علاقات دبلوماسية معها، وبعد سنوات أثار العراق موضوع المشاكل الحدودية والجزر المتنازع عليها وانتهى الأمر باحتلالها عام ١٩٩٠.

أ - الكويت: النشأة والتكوين:

يذكر بعض المؤرّخين أن الكويت الحديثة نشأت في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي، وكانت في أول أمرها قرية صغيرة سكنها جماعة من البدو وصيادي السمك، وبعض العشائر التابعة لابن عريعر، ولم يظهر شأنها إلاّ عندما سكنها بعض الأسر ذات الشأن. والأرجح أن الكويت لم تعرف باسمها الحالي إلاّ منتصف القرن الثامن عشر عندما تولّت أمرها اسرة آل صباح.

بدأت الكويت إمارة صغيرة على ساحل الخليج العربي، نزح إليها في القرن الثامن عشر العتوب، والعتوب هم من قبيلة عنزة العربية التي كانت تقيم في نجد. والكويت أنشأها بنو خالد واتخذها العتوب مقراً لهم، وكانت تسمّى قبل ذلك القرين.(١)

(١) عبدالله العثيمن، العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت ١٤١١هـ.

قبل القرن العشرين كانت الحدود بين المدن والبلدان العربية تقوم على البشر وليس على الأرض كما هو متعارف عليه، ولم تبرز مشاكل الحدود إلاّ بعد دخول المستعمرين للمنطقة.

وجّهت انكلترا انتباهها إلى الكويت لما تتمتع به من موقع هام على رأس الخليج العربي. وفي ٢٣ يناير ١٨٩٩ وقّع الشيخ مبارك الصباح إتفاقية للحماية مع انكلترة، واستمرّت علاقة الكويت مع بريطانيا سياسياً واقتصادياً في إطار تلك الاتفاقية حتى الاستقلال.

بعد الحرب العالمية الثانية دخلت الولايات المتحدة الأميركية على خط منافسة بريطانيا لخلافتها في منطقة الشرق الأوسط بالنظر للموقع الهام والثروة النفطية فيها. وكانت للولايات المتحدة الأميركية ثلاث هواجس في استراتجيتها في المنطقة خلال تلك الحقبة: النفط، إسرائيل، وحماية الأنظمة المتعاونة معها.

ب - العلاقات الحدودية بين العراق والكويت:

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى أراد البريطانيون رسم الحدود بين الكويت والعراق. وكانت المشاكل قد بدأت بسبب حركة القبائل من جهة وظهور النفط في المناطق الحدودية من جهة أخرى. وتعاظمت مشكلة الحدود خاصة مع ظهور النفط ومعنى ذلك انها ليست مرتبطة بفكرة الكيان والدولة الحديثة ويمكن القول إن مسألة الحدود بين العراق والكويت قد استقرّت في بداية العشرينات في إتفاقية العقير عام ١٩٢٢.

مؤتمر العقير:

دعت بريطانيا إلى مؤتمر العقير بين العراق والكويت ونجد وعلى جدول الأعمال بند واحد هو ترسيم الحدود بين الدول الثلاثة.

ويرجع حرص بريطانيا على ذلك للأسباب التالية:

١ - **بالنسبة للكويت:** كان البريطانيون يسعون إلى أن تكون الكويت دولة محايدة بين العراق والسعودية من جهة ولارتباطها معها باتفاقية حماية من جهة ثانية وتطلعها إلى نفط الكويت من جهة ثالثة.

٢ - **بالنسبة للعراق:** كانت بريطانيا تريد العراق دولة ذات كيان وحدود واضحة لكي توقّع الاتفاقيات النفطية معه.

٣ - **بالنسبة لنجد:** هدفت بريطانيا من ترسيم حدود السعودية وضع حدّ لهجمات القبائل على الدول المجاورة بالاضافة إلى كسب إمتيازات نفطية معها.

وقّعت الاتفاقية في ٢ كانون الأول عام ١٩٢٢ وتقلّصت حدود الكويت الجنوبية ولم تعد كما رسمتها اتفاقية ١٩١٣، ورسمت المعاهدة منطقتين حياديّتين أو محايدتين بين السعودية والكويت من جهة الجنوب، وبين العراق والسعودية في الشمال. وكان الهدف من هذه المناطق المحايدة تسهيل انتقال القبائل البدويّة التابعة للأطراف المعنية بين البلدان. ويمكن القول إن تحديد المناطق المحايدة كذلك كان لأسباب اقتصادية وسياسية فيما يتعلّق بالنفط أساساً وبخاصةٍ في الحدود الجنوبية للكويت.

ج - العلاقات السياسية بين العراق والكويت:

١ - في العشرينات والثلاثينات:

كان موقف الكويت دفاعياً باستمرار في علاقاتها مع جيرانها بالنظر لصغر مساحتها وقلّة عدد سكانها بحيث تعتبر الأضعف. فكانت تطالب العراق منذ العام ١٩٢١ (تاريخ نشوء الدولة في العراق) وحتى آب ١٩٩٠، تاريخ الغزو، بالاعتراف بكيان الكويت واستقلالها واحترام حدودها بعد ترسيمها. ورغم تحسّن العلاقات بين البلدين إلاّ ان أنظمة الحكم المتعاقبة في العراق كانت بين الحين والآخر تخرق التزاماتها وتعهّدات الحكومات السابقة.

ففي العام ١٩٣٠ بدأ العراق بمضايقة الكويت وذلك بمطالبته شيخ الكويت بدفع الضرائب عن مزارع النخيل في البصرة والتي هي ملك لآل الصباح وبعض الأسر الكويتية رغم وجود اتفاق يعفي تلك المزارع من الضرائب.

بعد استقلال العراق عام ١٩٣٢ تبادل رئيس وزراء العراق مع حاكم الكويت الشيخ أحمد الجابر رسائل حول الحدود

والعلاقات بين البلدين، وقد أكّدت تلك الرسائل على كيان الكويت والحدود الثنائية.

كانت علاقات الكويت بجيرانها تمرّ بمرحلة صعبة في العشرينات والثلاثينات وقد انعكس ذلك على الوضع الاقتصادي للكويت حيث تأثّر سلباً. لقد شهدت الثلاثينات ثلاثة أحداث فيما يتعلّق بالكويت، الحدث الأول كان ظهور النفط بكميات اقتصاديّة كبيرة، والحدث الثاني كان حركة المجلس التشريعي عام ١٩٣٩.(١) أما الحدث الثالث فقد كان مطالبة الملك غازي ضمّ الكويت بالقوّة إلى العراق من دون ان يقدم على ذلك وهو ما تسبّب بمقتله في حادث عام ١٩٣٩. ولا ينسى الكويتيون عام ١٩٣٧ إنشاء إذاعة خاصة موجّهة من القصر الملكي في بغداد (قصر الزهور) قامت بحملة دعائية عنيفة ضد الكويت، كما أوردت الصحف العراقية أنباء عن عزم العراق ضم الكويت، غير أن الجيش العراقي رفض تنفيذ ذلك.

٢ - العلاقات الكويتية العراقية في الأربعينات والخمسينات:

أثيرت قضية الحدود الكويتية العراقية في الأربعينات نتيجة لحدثين: الأول قيام الشركات النفطية بعمليات التنقيب عن النفط على طول الحدود الشمالية للكويت عام ١٩٤٦، والثاني تجاوزات الشرطة العراقية على الحدود مع الكويت.

ولعلّ هذه البرقية التي وجدت في ملفات وزارة الخارجية البريطانية مؤرّخة ١٧ تموز عام ١٩٥٧ ربما تلخّص العلاقات الثنائية بين العراق والكويت في الخمسينات وفيها إبداء النوايا الحسنة تجاه العراق وممارسة عكس ذلك.

جاء في البرقية ما يلي:

«إن حاكم الكويت الشيخ عبدالله السالم الصباح قد وجّه الدعوة لوزير خارجية العراق علي ممتاز لزيارة الكويت للتباحث حول موضوع تخطيط الحدود العراقية الكويتيّة، ولكن وزير خارجية العراق اشترط ألاّ تكون الزيارة رسميّة وألاّ تبحث قضية

---

(١) د. عبدالله العثيمين - العلاقات السعودية الكويتية - ١٤١١ هـ.

الحدود، وقال وزير خارجية العراق إنه يفكّر بتطمين حاكم الكويت للنيات الحسنة للحكومة العراقية، وكيف أن الحكومة العراقية أعطت الكويتيين حقوقاً عام ١٩٥٣ لم يتمتّع بها أي من الرعايا الأجانب كشراء العقارات والأملاك في العراق. لكنه ختم بالقول إنه من المستحيل على أية حكومة عراقية أن توافق على تخطيط الحدود، وإذا ما أثير هذا الموضوع ستكون الزيارة سلبية.(١)

في العام ١٩٥٨، عندما قامت الثورة في العراق وسقطت الملكية استبشر الكويتيون خيراً بتوجّهات النظام الجديد في العراق. ولكن سرعان ما انحرف وبات يردّد الادعاءات السابقة مضيفاً نية العراق ضم الكويت بالقوّة.

٣ - العلاقات السياسية الكويتية العراقية منذ استقلال الكويت حتى الغزو:

منذ الأيام الأولى لاستقلال الكويت عام ١٩٦١ انتهجت سياسة غير تابعة في القضايا والشؤون الاقليميّة والدوليّة واعتمدت على مبادىء عدم الانحياز والتعايش السلمي وتأييد الحق العربي.

ولكن، مقابل ذلك، ورداً على إعلان استقلال الكويت عقد حاكم العراق عبد الكريم قاسم مؤتمراً صحفياً في ٢٥ حزيران ١٩٦١ وأعلن مطالبته بضم الكويت للعراق واستمرّت الأزمة فترة ثلاث سنوات إلى أن أطيح بحكم قاسم عام ١٩٦٣ وتمّ الانفراج النسبي في تلك العلاقات حتى بداية السبعينات. فقد تمّ الاعتراف باستقلال الكويت وتبادل العراق معها التمثيل الدبلوماسي. غير أن التوتّر عاد في بداية السبعينات مع مطالبة العراق بمنفذ بحري على الخليج وبالتحديد مطالبته بجزيرتي وربة وبوبيان.

ومع نهاية ١٩٧٢ بنى العراقيون طريقاً عبر الأراضي الكويتيّة يؤدّي إلى مواقعهم على الخليج. وفي العام ١٩٧٣، إحتلّت القوات العراقية نقطة شرطة كويتيّة (الصامتة) وقتل اثنان من الكويتيين وجندي عراقي.

---

(١) وليد الأعظمي، الكويت في الوثائق البريطانية. ١٩٩١م.

وقد اضطر العراق إلى تعديل مواقفه تحت الضغوطات العربيّة التي ساندت الكويت. وبعدما حسم العراق نزاع شط العرب مع إيران في اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥ وافقت بغداد في تموز ١٩٧٧ على سحب قواتها من الكويت.(١) وتجدر الملاحظة أن مطالبة العراق بمنفذ بحري على الخليج تتعارض مع امتلاك العراق فعلاً لهذا المنفذ على الخليج يمتد لمسافة ٧٠ كلم ولديها ميناء البصرة.

يبقى أن نشير إلى تطوّر التجربة الكويتية في الديموقراطية، فالكويت لديها دستور دائم، وبرلمان منتخب منذ عام ١٩٦٢، وكانت هناك انتخابات ديموقراطية موالاة ومعارضة. وقد لعبت المعارضة دوراً مهماً في تمكين الكويت من السيطرة على ثروتها النفطية.

وعندما نشبت الحرب العراقية الإيرانية عام ١٩٨٠ بعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران، اتخذ الكويت موقفاً مسانداً وداعماً للعراق في حربه خارجاً بذلك عن سياسة الحياد التي كان ينتهجها منذ الاستقلال.

ومن المفيد نشر مقاطع من كتاب نشر عام ١٩٨٤ عنوانه: أمن الخليج في الثمانينات باللغة الانكليزية، يقول الكتاب: «الكويت والبحرين كلتاهما تعانيان من تحدي جيرانهما الأقوياء العراق وإيران، فالعراق يعتبر الكويت جزءاً منه، كذلك إيران تعتبر البحرين جزءاً منها، والعراق وإيران يعتبران أن الامبريالية البريطانية إقتطعت هذه المناطق منهما. ويتابع المؤلّف: إذا نجحت إيران في الحرب فستشكّل خطراً على دول الخليج العربية، وإذا نجح العراق في تلك الحرب فالخطر ذاته سيبقى في الحسبان، فهاتان القوتان تتطلّعان دائماً باتجاه الجنوب».

ولقد تحمّلت الكويت عبئاً مالياً وسياسياً بسبب موقفها الداعم للعراق في حربه ضد إيران. وقد كان موقف الكويت نابعاً من التوافق الجماعي لمجلس التعاون الخليجي مفاده ان هزيمة العراق في الحرب يعني امتداد خطر الثورة الإيرانية على جيرانها في المنطقة. ولقد استفادت الكويت من الحرب العراقية الإيرانية بأنها عاشت ثماني سنوات (مدّة

(١) د. عبد الرضى علي أسيري. الكويت في السياسة الدولية المعاصرة، ١٩٩٢.

الحرب) من استقرار الأوضاع الحدودية مع العراق بسبب انهماكه في الحرب.

لقد كان الأمل الذي تطلّع إليه الجميع بعد توقّف الحرب عام ١٩٨٨ أن يكون ذلك بداية مرحلة جديدة يسودها السلام والأمن والبناء ودعم أواصر المحبة والتعاون العربي المشترك وحسن الجوار.

لكن المفاجأة كانت على عكس ذلك، فقد قام النظام العراقي بتوجيه جيشه لاحتلال الكويت عام ١٩٩٠، وكانت فترة الاحتلال التي دامت سبعة أشهر من أسوء الحقبات التي مرّت على الكويت بفعل التخريب والهدم والنهب الذي عرفته على يد القوات العراقية المسلّحة وأجهزة مخابراتها.

د - مسألة أملاك الكويتيين في العراق:

نظراً لكون جنوب العراق منطقة غنية بالزراعة، ولقرب المسافة مع الكويت، ولحالة اليسر المادي التي كانت تتمتع بها بعض الأسر الكويتية مع الأسرة الحاكمة، ولاعتبارات سياسية، فقد اشترى بعض الكويتيين مزارع للنخيل في بعض قرى البصرة.

وبعودة إلى العهد العثماني، فقد سمحت السلطة العثمانيّة لشيخ الكويت بشراء مزارع في البصرة (الشيخ جابر الأول) مقابل خدمات قدّمها للسلطنة خلال الأزمات، ثمّ إشترى بعض مشايخ الكويت من الأسر الميسورة مزارع في المنطقة. غير أن هذه المزارع لم تسجّل ملكيتها بأسماء أصحابها الجدد بسبب قانون الأراضي العثمانية الذي يمنع حق التملّك إلاّ للمواطنة العثمانية، وهذا ما لم يكن ينطبق على الكويت. وقد أعفت الدولة العثمانية هذه الأملاك من الضرائب حتى العام ١٩٣٢، تاريخ استقلال العراق حيث عادت ضريبة المحاصيل لتفرض من جديد.[1] حيث بلغت ١٠٪ من الإنتاج. واحتجّ الشيخ أحمد الجابر على تلك الضرائب، وبقيت القضية معلّقة إلى حين وعد الملك فيصل الأول بالتدخّل

(١) د. بدر الدين الخصوصي - دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث، ١٩٨٨.

شخصياً لحل تلك المشكلة، ولكنه توفي عام ١٩٣٣، وتأزّمت العلاقات بين الكويت والعراق في عهد ابنه الملك غازي من بعده.

والثابت أن أملاك الكويتيين في العراق لا تشكّل أهمية اقتصادية ذات جدوى كبيرة، غير أن إثارتها من حين لآخر كانت لأغراض سياسية.

هـ - مسألة المياه العذبة من شط العرب:

إن نقل المياه من شط العرب إلى الكويت كان قضية تساعد الكويتيين على حلّ مشكلة نقص المياه في إمارتهم، فقد كانوا يعتمدون في حاجتهم للمياه العذبة على الأمطار والآبار، ولما زاد عدد السكان تدريجياً زاد استهلاك السكان للمياه العذبة، ولم يكونوا يريدون المياه العذبة لغير الشرب منها. وكان العراق يتمتع بثروة مائية هائلة من المياه وهو يملك نهرين يصبان في شط العرب، وفائض المياه العذبة يضيع في شط العرب، ولا يبعد ذلك الشط عن الكويت أكثر من مائة وخمسين كيلمتراً. وقد استخدم العراق موضوع المياه ورقة سياسيّة مع الكويت.

بدأ مشروع نقل المياه من شط العرب إلى الكويت بالسفن الخشبية بفكرة أحد تجار الكويت عام ١٩٣٧ حيث استخدم سفينة ووضع فيها عدّة براميل خشبية وسافر بها إلى الفاو وعاد بها لبيع المياه في الكويت. ثمّ اشترى شيخ الكويت مبارك الصباح باخرة من الهند ذات خزان واسع خصصت لنقل الماء من شط العرب إلى الكويت. ثمّ تأسست شركة تضم خمساً وثلاثون سفينة لتزويد الكويت بالمياه العذبة.

في الخمسينات طرحت فكرة مد أنبوب للمياه العذبة مقابل مد أنبوب لتصدير النفط العراقي عن طريق موانىء الكويت. المهم أن موضوع المياه تسيّس وبدا مشروطاً بنقل النفط، مما حدا بالشيخ عبدالله السالم الصباح للتفكير الجدي ببناء محطة كبيرة لتقطير مياه الخليج.

خلاصة:

إن دراستنا لموضوع العلاقات بين العراق والكويت منذ قيام العراق الحديث عام ١٩٢١ حتى الغزو في آب ١٩٩٠، توصلنا إلى النتائج التالية:

١ - اتسمت العلاقات بين العراق والكويت بالشك والريبة والقلق الدائم.
٢ - لعب الغرب وبخاصة بريطانيا دوراً مهماً في العلاقات بين البلدين المجاورين الشقيقين، فكان العراق تحت الانتداب والكويت تحت الحماية والوصاية.
٣ - إن الكويت بلد صغير مساحة وسكاناً، وموقعه إستراتيجي على رأس الخليج، وفي مثلث خطير (ايران - العراق - السعودية)، لذلك فإن علاقاتها مع جيرانها مرّت بظروف صعبة خلال القرن العشرين.
٤ - إن جميع الأنظمة التي تعاقبت على العراق منذ ١٩٢١ ولغاية ١٩٩٠ اتفقت على مسألة المطالبة بتبعيّة الكويت للعراق، واختلفت في أسلوب التعامل مع هذه المطالبة على قاعدة ثابتة هي الابتزاز.
٥ - إن الاحتلال العراقي للكويت أسّس لفترة طويلة من الكراهية والحقد ستمتد لجيلين وربما أكثر.
٦ - ليس من الثابت أن تلك الحرب ربما تكون الأخيرة بين البلدين.

ثالثاً - الغزو العراقي للكويت

أ - الأسباب:

هناك أنواع عديدة من الأسباب الموضوعية المباشرة التي أدّت إلى الاجتياح العسكري للكويت منها: اقتصادية، اجتماعية، سياسية، وشخصية.

١ - الأسباب الاقتصاديّة:

في مستهل عام ١٩٩٠، كان هناك تقرير سري حول الأوضاع الاقتصادية في العراق وضعه مصرفي كبير جاء فيه: «إن صورة السبعينات البراقة تلاشت وحلّت محلّها أوضاع اقتصادية مظلمة وخراب واسع في جميع أنحاء البلاد وضياع للأمل بالنسبة للأجيال القادمة، ترى هل هناك ما يمكن عمله لتغيير هذا الواقع المؤلم؟ يحزنني أن أقول، يتابع الكاتب، إنه في ظل الحكومة الحاضرة لا بدّ ان يسير الوضع من سيء إلى أسوأ[1]».

هذا التقرير يعتبر أفضل تعبير عن حالة العراق الاقتصادية في أعقاب الحرب العراقية

(١) ورد التقرير في: المفكّرة المخفية لحرب الخليج - بيروت ١٩٩١، بيار سالنجر.

الإيرانية التي انتهت في آب ١٩٨٨م. فعند قيام الحرب كان لدى العراق ما يقارب مئة مليار دولار. أمّا الخسائر المادية للحرب فقد بلغت بالنسبة للعراق وحده حوالي ثلاثمائة مليار دولار أميركي. ومن المفارقة ان العراق مع حالة الانهيار الاقتصادي التي أصابته خرج كأقوى قوّة عسكرية في المنطقة: خمسة وخمسون فرقة مقابل عشرة فرق فقط في بداية الحرب، بالإضافة إلى مليون جندي مجرّبين، ٥٠٠ طائرة و٥٥٠٠ دبابة وعربة قتال.

ومع تدنّي أسعار النفط في أواخر الثمانينات، أدرك العراق الذي يعتمد في ٩٠٪ من اقتصاده على الثروة النفطية، ان لا أمل في تحسّن الحالة في ظلّ هذا السعر المتدني للنفط. وقد حمّل العراق الكويت مسؤولية تدني السعر بسبب عدم موافقتها على رفع سعر النفط إلى واحد وعشرين دولاراً للبرميل الواحد وعدم التزامها بهذا السعر الذي بقي بحدود خمسة عشرة دولاراً. كما أقدمت الكويت والإمارات العربية المتحدة على زيادة إنتاجها النفطي في خطوة فسّرها العراق بأنها ضغوطات اقتصادية على العراق لعدم تعويض خسائر الحرب وحلحلة الوضع الاقتصادي بهدف إبقائه ضعيفاً ومنهاراً لا يشكّل أي تهديد لجيرانه.

ويقول العراقيون إن عدم رفع سعر النفط وزيادة الإنتاج لإبقاء العراق ضعيفاً جاء بإيعاز من الولايات المتحدة الأميركية وفقاً لهذه الوثيقة السرية والتي هي عبارة عن كتاب موجّه من مدير عام مديرية الأمن الوطني في الكويت العميد فهد أحمد الفهد إلى وزير الداخليّة الكويتي الشيخ سالم الصباح السالم الصباح.

الوثيقة السرية: (١)

سرّي جداً وخاص

سمو وزير الداخلية الشيخ سالم الصباح السالم الصباح. بعد لقائنا المشترك وتنفيذاً لأوامر سموّكم الصادرة بتاريخ ٢٢ تشرين أول ١٩٨٩، قمت بين ١٢ و١٨ تشرين الثاني ١٩٨٩ بزيارة مقر وكالة الاستخبارات في الولايات المتحدة، بصحبة الكولونيل اسحق عبد الهادي شداد، مدير المباحث في محافظة الأحمدي.

(١) حرب الخليج - الملف السري - المرجع السابق.

وقد شدّد الجانب الأميركي أن تبقى الزيارة سرية جداً إلى حين حل مشكلة حساسية أشقائنا في مجلس التعاون الخليجي من جهة وفي كلّ من إيران والعراق من جهة ثانية.

وفي هذه الرسالة أضع بين أيديكم، النقاط الرئيسية التي اتفقنا عليها مع القاضي وليم بستر، مدير وكالة الاستخبارات الأميركية، وذلك خلال لقائي الخاص معه يوم الثلاثاء في ١٤ تشرين الثاني ١٩٨٩.

١ - إن الولايات المتحدة الأميركية، مستعدّة لتدريب أشخاص، نختارهم نحن، لحماية سمو الأمير وسمو الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح، إن الإعداد والتدريب سوف يكونان في مقر وكالة الاستخبارات الأميركية نفسه، هذا مع العلم أن العدد النهائي لهؤلاء الأشخاص هو ١٢٣ شخصاً. وقد اتفقنا أن تناط ببعضهم مهمات خاصة مرتبطة مباشرة بالعائلة المالكة، هذه المهمات يحددها سمو الأمير ولي العهد.

وحول هذا الموضوع أفادنا الجانب الأميركي أنهم غير راضين عن كفاءة وقدرات قوات الحرس الملكي أثناء الهجوم الذي تعرّض له سمو الأمير.

٢ - كما اتفقنا مع الجانب الأميركي على أن تتمّ زيارات متبادلة على كلّ المستويات بين مديرية الأمن الوطني ووكالة الاستخبارات الأميركية. وان يتمّ تبادل المعلومات حول تسلّح كلّ من إيران والعراق وحول البنى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لكلّ منهما.

٣ - وطلبنا بإلحاح مساعدة خبراء الوكالة لإعادة تكوين بنية مديرية الأمن الوطني، بعد لقائنا معهم، حيث أصبحت هذه القضية من الأولويات الملحّة. إننا ننتظر خبراتهم للشروع في وضع استراتيجية جديدة تتناسب مع الوضع الداخلي في البلاد ومع المتغيرات في منطقة الخليج، وذلك عن طريق تركيب نظام معلوماتي وآلي في مديرية الأمن الوطني.

٤ - كما طلبنا نحن وأعرب الجانب الأميركي عن الاستعداد لتبادل المعلومات حول نشاطات المجموعات الشيعية المتطرّفة داخل البلاد وفي بعض دول مجلس التعاون الخليجي.

وقد قام السيد وبستر بتهنئتنا على الاحتياطات التي اتخذناها ضد الحركات المدعومة من إيران، وأعلمنا ان الوكالة مستعدّة لعمل مشترك معنا، لاستبعاد كلّ عوامل التوتر في منطقة الخليج.

٥ - وقد اتفقنا مع الجانب الأميركي، على أنه من المهم الاستفادة من تدهور الوضع الاقتصادي في العراق حتى نجبر حكومة هذا البلد على الموافقة على ترسيم حدودنا المشتركة. وقد عرضت وكالة الاستخبارات وسائل الضغط التي تراها ملائمة مع التشديد على أنه يجب أن يقوم بيننا تعاون واسع في هذا الحقل بشرط أن يتم التعاون على أعلى المستويات.

٦ - يرى الجانب الأميركي أن تكون علاقتنا بإيران على الشكل التالي: من جهة يجب ان نسعى لتلافي أي اتصال مباشر معها، وبخلاف ذلك من جهة ثانية، يجب أن نمارس عليهم كلّ الضغط الاقتصادي الممكن، بنفس الوقت الذي يجب أن نستمر فيه بدعم تحالفهم مع سوريا.

٧ - اتفقنا مع الجانب الأميركي أنه من المهم جداً محاربة المخدرات في الكويت وذلك بعد أن أخبرنا خبراء المخدرات في الوكالة ان جزءاً كبيراً من الرأسمال الكويتي يستعمل عادة لتشجيع تجارة المخدّرات في باكستان وإيران. وأن نمو هذه التجارة له انعكاسات كارثية على مستقبل الكويت.

٨ - لقد وضع الجانب الأميركي بتصرّفنا خطاً هاتفياً خاصاً لتشجيع التبادل السريع للأفكار والمعلومات التي تتطلّب اتصالات مكتومة. ان رقم خط الهاتف الخاص العائد للسيد وليم وبستر هو التالي:

(202) 659-5241

إنني أنتظر توجيهات سموّكم وأبعث لسموكم بأفضل التحيات.

العميد فهد أحمد الفهد

مدير عام الأمن الوطني

٢ - الأسباب السياسية:

إذا كان الوضع اليائس للاقتصاد العراقي في أعقاب الحرب يبقى القاعدة الأساس والمحرّك للأحداث في تلك الفترة، فإن هذه القاعدة كانت تفعل فعلها في بيئة سياسية (دولية، عربية، إقليمية) مشجعة، بالنسبة

لصاحب القرار السياسي العراقي على سلوك معيّن لتحرير ذلك الاقتصاد من أزمته.

على أية حال، من الناحية الدولية، كان العالم يمرّ في حالة من الانقلاب شبه الكامل: بداية انهيار الاتحاد السوفياتي، ثورة الديمقراطيات في اوروبا الشرقية وبداية الانفراد الأميركي باتخاذ القرار العالمي أو الهيمنة العالمية بصفة عامة - بمعنى ان العالم كان يمرّ بفترة إنتقالية مع ما يصاحب ذلك الانتقال من فراغات. في ذلك الوقت كانت أميركا تركّز اهتمامها على ما يجري في اوروبا الشرقية على حساب الاهتمام بالشرق الأوسط ومنطقة الخليج، خاصة ان الحوار كان قائماً بين الولايات المتحدة والعراق بواسطة مبعوثين خاصين توج بالمقابلة الشهيرة بين صدام حسين وسفيرة الولايات المتحدة الأميركية في بغداد ابريل غلاسبي.(١) لقد فسّر صدام جميع هذه الأمور بعدم قدرة الولايات المتحدة أو تردّدها على الأقل في التدخل في المنطقة نتيجة انشغالها بشرق اوروبا. لقد تصوّر صاحب القرار في بغداد انه بإمكانه اقتناص الفرصة وتحقيق الغاية من دون ضجيج. غير أن قراءة صدام كانت خاطئة إذ إنه لم يأخذ بعين الاعتبار متغيّرات أخرى. أول هذه المتغيّرات هو ان القيادة العراقية لم تكن تعرف طبيعة اتخاذ القرارات الأميركية ولا شبكة المصالح التي تقف وراء القرار. فحتى لو ضمن صدام حسين المصالح الأميركية في المنطقة كما سبق ووعد المبعوثين الأميركيين، فإن الولايات المتحدة لا تثق بالوعود والتصريحات الصادرة عن زعيم فرد قد يتغيّر أو يغيّر آراءه بسرعة عندما تتحقق أهدافه، بينما تستطيع الاعتماد على حكومات مستقرّة لها معها مصالح مشتركة. فالولايات المتحدة لا يمكنها أن تغامر بأن تجعل معظم الاحتياطي العالمي من النفط تحت رحمة زعيم أو فرد لا يوثق فيه وبين يديه ترسانة هائلة من الأسلحة التقليديّة وغير التقليديّة. من ناحية أخرى، فإن الولايات

(١) بيار سالنجر واريك لوران - المفكّرة المخفية لحرب الخليج - ١٩٩١.

المتحدة وقد أصبحت راعي النظام الجديد بعد انحسار التأثير السوفياتي لا يمكن ان تسمح بالتشكيك في أحاديّة زعامتها العالمية وهي ما زالت في بدايتها، ولذلك كانت حادثة اجتياح العراق للكويت تحدياً مباشراً للولايات المتحدة في إرادتها وقدرتها على حماية حلفائها والمحافظة على مصالحها.

من جهة أخرى، فقد لعبت قصة التوازنات في منطقة الخليج دوراً كبيراً في التصدي للاجتياح. فإيران خرجت منهوكة عسكرياً واقتصادياً، بينما خرج العراق بقوّة عسكرية فاقت تلك القوة التي كان يتمتع بها في بداية الحرب مما أحدث خللاً في التوازنات نتج عنه قلق وخوف من استخدام هذه القوّة العسكرية ضد بلدان الخليج، وهذا ما حدث بالفعل.

من الناحية العربية، هناك عاملان أساسيان شكّلا دافعاً وراء القرار العراقي باجتياح الكويت: الأول هو خروج صدام حسين كأبرز زعيم عربي في أعقاب الحرب العراقية الإيرانية من وجهة نظره شخصياً ووجهة نظر العرب. ولم تأل أجهزة الاعلام العربية جهداً في إبراز زعامته ممّا أعطاه الانطباع بان شرعيته تنبع من قوته والكاريزما التي يتمتع بها. أما العامل الثاني فهو هشاشة النظام العربي الاقليمي وعدم قدرته على حلّ الخلافات العربية في إطار ميثاق الجامعة العربية الذي بقي حبراً على ورق. إن هشاشة هذا النظام هي التي سمحت بقيام تحالفات شكلت البيئة التي أتاحت للقرار العراقي بالاجتياح. يضاف إلى ذلك هشاشة مجلس التعاون الخليجي الذي بين دوله من الخلافات ما يساوي ما هو بين الدول العربية الأخرى، مما أعطى صدام حسين الانطباع بأنه قادر على تفكيك هذا المجلس بطريقة أو بأخرى.

وبالنسبة للكويت فقد كان الصراع على أوجه في العام ١٩٩٠ بين المعارضة الكويتية والحكومة حول مجلس الأمة والمجلس الوطني، وذلك الكم من الصدامات والاعتقالات الذي أوحى للقيادة العراقية بانشطار الجبهة الداخلية في الكويت والاعتقاد بان تلك المعارضة سوف تستقبل القوات العراقية «المحررة» بالورد، خاصة ان الصحافة الكويتية المعارضة والموالية كانت

تقف إلى جانب العراق في حربه ضد إيران دون تحفّظ. ولعلّ هذا الجو هو الذي أوحى للقيادة العراقية ان تعلن في الأيام الأولى للاجتياح، ان ثورة شعبية قد قامت في الكويت وان هذه الثورة قد طلبت الدعم من العراق.

٣ - الأسباب الاجتماعية:

هنالك معادلة نكاد نجزم بأنها صحيحة دائماً وأبداً. هذه المعادلة ترى أن هنالك علاقة جدلية بين عسكرة المجتمع والمغامرات الخارجية التي تقوم بها السلطة في ذلك المجتمع تحت مختلف التبريرات والأقنعة الايديولوجية. فكلّما كان المجتمع أكثر عسكرة، كان أكثر ميلاً إلى الدخول في حروب ومغامرات تهرّباً من المشكلات الاجتماعية الناجمة عن العسكرة.

فحكم الحزب الواحد والرجل الواحد أدى إلى عسكرة النظام والمجتمع في العراق في وتيرة تصاعدية بلغت مداها أثناء الحرب مع إيران.

وغالباً ما يرافق العسكرة تعدد الأجهزة والمؤسّسات الأمنية (شرطة، مخابرات، أمن دولة، أمن داخلي)، لدرجة ان تقرير حقوق الإنسان الصادر عام ١٩٩٠ قال ان ٢٥٪ من العراقيين يعملون لحساب الأجهزة، أي ما يقارب ٤،٥ مليون من السكان البالغين ١٨ مليوناً.[1] فإذا أضفنا لهؤلاء عدد الجيش والقوى المسلّحة لبلغ عدد العاملين في الأمن ٥،٥ مليوناً، أي ما يعادل ٣٠٪ من السكان.

وخلال الحرب العراقية - الايرانية خضعت كلّ العمليات الإنتاجية في المجتمع لصالح المجهود الحربي وبالتالي لصالح المؤسّسة العسكرية والأمنيّة. ولرؤية الصورة بشكل أوضح نورد هذه المعلومة التي تقول إن العراق استورد ١٠٪ من مجمل الأسلحة التي بيعت في العالم، قبل وخلال حربه مع ايران.

أمام هذه الإشكالية، يكون أمام السلطة خياران لا ثالث لهما: امّا ان تتخلّى عن النظام والسلطة وتنتحر ليأت غيرها، وامّا ان يوجّه النظام المجتمع وأجهزته إلى مغامرات خارجية ربما لحل المشاكل من دون المس

(١) Samir AL-Khalil, Republic of fear, 1981.

بشرعية السلطة. هكذا كان سلوك الأنظمة الشمولية العسكرية عبر التاريخ، والعراق ليس استثناءً.

٤ - الأسباب الشخصية:

قد تتوافر ظروف موضوعية معيّنة في بلدين يتشابهان في كلّ شيء إلاّ في آلية صنع القرار فتختلف النتائج. وحتى ولو كانت آلية صنع القرار متشابهة فقد تختلف النتائج حسب شخصية متخذ القرار.

فإذا أردنا تحليل شخصية صدام حسين، متخذ القرار الأوحد في العراق، نجد ان هناك شبه إجماع من المصادر المتاحة على ان هناك عناصر محدّدة وواضحة تؤطر هذه الشخصية وسلوكها. وهذه العناصر يمكن إيجازها بأربعة هي:

الإيمان بالعنف كوسيلة لتحقيق الأهداف، الاعجاب بالزعامة المطلقة، التعصّب للرأي الذاتي، والحاجز المعرفي مع العالم الخارجي.

فالدارس للسيرة السياسية لصدام حسين سيجد ان العنف كان الصفة الرئيسية المميّزة لهذه المسيرة، سواء تحدثنا عن مرحلة المعارضة أو مرحلة الحكم، وسواء تحدّثنا عن العلاقة مع الرفاق أو المعارضة أو الجيران.

ففي مرحلة ما قبل الحكم، وبعيداً عن تلك القصص التي تروى عن الطفولة العنيفة لصدام حسين، نجد أن حادثة محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم في شارع الرشيد عام ١٩٦٠، والتي كان صدام أحد أبطالها ما زالت أحد أهم المعالم في حياة صدام والتي يفتخر بها شخصياً. والجرح الذي أصيب به أثناء المطاردة من الأمور التي تبعث في نفس صدام الاعتزاز والفخر ويريه لأصدقائه المقرّبين وغير المقرّبين. ولا ينس صدام أنه بالعنف وحده تمكّن من الوصول إلى السلطة، وبالعنف فقط استطاع المحافظة عليها. فهو الذي دشن حكمه عام ١٩٧٩ بإعدام ثلّة من رفاقه في الحزب تحت مبرر «المؤامرة السورية»، ثم اتجه صوب المعارضة في أعقاب الثورة الإيرانية فصفاها واتجه للعنف لحلّ مشكلته مع إيران.

أمّا الاعجاب بالزعامة المطلقة، فتشير التقارير الأميركية ان صدام يكن إعجاباً خاصاً بالزعامة الناصرية وسحرها وسعيه لأن

يكون ناصراً جديداً في المنطقة العربية، ومن المعروف كذلك الاعجاب الذي يكنه الزعيم العراقي بالامبراطور البابلي نبوخذنصر وسعيه لأن يكون زعيماً من ذلك النمط. ويروي المقرّبون منه أنه يحب دائماً مشاهدة فيلم العراب دون كلل أو ملل. كلّ ذلك يعبّر في مجمله عن تعطّش للزعامة وسحرها.

والتعصّب للرأي الذاتي مسألة منطقية عند الحديث عن الأنظمة الشمولية التي تلتقي خيوطها في مركز واحد هو الزعيم. وليس أدلّ على ذلك من تلك الحادثة التي حصلت أثناء الحرب العراقية - الإيرانية: فخلال انعقاد اجتماع للقيادة العليا العسكرية لمناقشة إحدى الخطط الهجومية، انتقد أحد الضباط الخطة المقدّمة من صدام. وعندما انتهى من ذلك كان رد صدام بأن سحب مسدّسه وأطلق النار على الضابط وأرداه قتيلاً. وهذه الحادثة تأتي رغم أن صدام حسين ليس عسكرياً محترفاً ولم يحصل على تعليم أو تدريب عسكري نظامي، ومع ذلك فانه لا يحتمل من ينتقده في هذه الأمور المهنية من المحترفين، فكيف بالأمور العامة؟

أما الحاجز المعرفي مع العالم الخارجي فقد بدا واضحاً كلّ الوضوح أثناء أزمة الخليج الثانية. فصدام لا يعرف إلاّ لغة واحدة هي اللغة العربية ولم يسافر إلى الغرب إلاّ مرّة واحدة عام ١٩٧٥ إلى فرنسا في مهمّة رسمية خاصة. وصدام لا يعرف الكثير عن السياسة والمجتمع في الولايات المتحدة الأميركية، فقد فوجىء مرّة أثناء مقابلته لزائر غربي وأبدى دهشة حين علم أن انتقاد الرئيس الأميركي لا يعد تعدّياً على القانون. كما انه كان يعتقد أن الرؤساء الأميركيين دكتاتوريون يتخذون قراراتهم بأنفسهم من دون أية منظومة أو آلية.

ب - الوقائع العسكرية:(١)

- يوم ٢٦ تموز عام ١٩٩٠ أنهى ٣٠ ألف جندي عراقي تمركزهم على الحدود الكويتية.

(١) حرب الخليج، الملف السري، بيار سالنجر، اريك لوران، دار آزال، بيروت ١٩٩١.

- في ٢٧ تموز نقلت وكالة الاستخبارات الأميركية إلى البيت الأبيض صوراً جوية تظهر تجمّعات كثيفة من الرجال والعتاد على الحدود الكويتية.

قامت واشنطن على الفور بإبلاغ الأمر للكويت ومصر والمملكة العربية السعودية، فأجمعت الردود العربية على استبعاد احتمال الغزو العسكري وأوصت بإمكانية ابتزاز عراقي للحصول على جزيرتين كويتيتين واقعتين في الخليج بالاضافة لحقل بترولي متنازع عليه. والغريب بالأمر ان وزارة الخارجية الأميركية ومجلس الأمن القومي التابع للبيت الأبيض وافقوا جميعاً على التحليلات والتوقعات العربية.

- في ٢٨ تموز أخذت تقارير وكالة الاستخبارات المركزيّة تصبح أكثر دقة وأكثر إيحاء بالخطر. لقد أنشأ صدام خطوط امداد واسعة للفرق العسكرية على الحدود. ورصدت حركة كثيفة من الشاحنات تؤمّن دعماً لوجستياً كبيراً. وكان مدير الاستخبارات المركزية وليام وبستر، عندما يلقي نظرة على الصور الجوية يزداد قناعة بان وضعاً لوجستياً كهذا الوضع ليس ضرورياً إذا كانت العملية مجرّد ترهيب وابتزاز وممارسة ضغوط عسكرية.

أخذت المعلومات الجديدة تصل ساعة فساعة إلى وكالة الاستخبارات وقد جمعت معظمها من أقمار التجسس التابعة لوكالة الأمن القومي. وكانت هذه الوكالة بعديدها وموازنتها التي تتجاوز موازنة وكالة الاستخبارات المركزية تعتبر المركز المعلوماتي الأكثر أهمية وتطوّراً في العالم، وهي تقع في «فورت ميد» بالقرب من واشنطن. والعقول الالكترونية التي تملكها قادرة على التعامل مع ٢٠٠ مليون كلمة في الثانية الواحدة. من ناحية أخرى، بفضل مراكز التنصّت التابعة لها والموزّعة في أرجاء العالم وأقمار تجسسها، كانت تلك الوكالة في موقع القادر على تتبع الأحاديث السرية وعلى تحديد تحرّكات الفرق العسكرية مهما صغرت على كلّ نقطة من الأرض. وهي بفضل محلليها ورياضييها ومفككي الرموز فيها وكلّهم من أفضل الجامعيين الأميركيين تستطيع معرفة دقائق أي حديث يجري في أية غرفة مقفلة على وجه الأرض، وذلك بالقياس الالكتروني لارتجاج الزجاج

وتردده بواسطة حزمة من الاشعاعات غير المرئية.

- في ٣٠ تموز، أصبح بمقدور وكالة الاستخبارات المركزية تقويم صورة واضحة عن القوات العراقية على الحدود الكويتية وبالقرب منها: عدد كبير من الجنود العراقيين بينها فرق النخبة التابعة للحرس الجمهوري، ٣٠٠ دبابة، ٣٠٠ مدفع ثقيل.

في البنتاغون، كان الجنرال كولن باول رئيس الأركان - وهو الأسود الوحيد الذي استطاع الوصول لمنصب كهذا - مجتمعاً بعد الظهر من تاريخ ٣٠ تموز مع كبار المسؤولين في غرفة مجاورة لمركز القيادة العسكري، معزولة عن كلّ خطر تجسس الكتروني.

حتى تاريخ ٣٠ تموز لم يكن البنتاغون مقتنعاً بإمكانية الغزو العراقي، فبحسب محلليه لا تتوفر لصدام الشروط الأربعة التالية:

- شبكة اتصالات جيدة.
- مدفعية قوية.
- ذخائر هامة.
- دعم لوجستي قادر على مساندة الهجوم.

- في الأول من آب أصبحت كلّ هذه الشروط مؤمنة. معلومات تتداول بان اسرائيل علمت بواسطة استخباراتها العسكرية، عن طريق الاردن، ان الهجوم العراقي وشيك الحدوث.

- ليل الأول من آب وفجر الثاني منه حصل الغزو - المعلومات تقول إن قوات صدام لا تكتفي بالمناطق الحدودية بل تتجه نحو كلّ البلد.

في مدينة الكويت تمّ إيقاظ ولي العهد عند الواحدة والنصف ليلاً بواسطة مكالمة أجراها وزير الدفاع من مركز القيادة العسكرية العامة وأخبره بأن القوات العراقية اجتازت الحدود الكويتية: مئات الدبابات الثقيلة (ت ٦٢) السوفياتية الصنع تتجه نحو العاصمة مصحوبة بشاحنات تنقل عشرات الآلاف من الرجال ودعماً كبيراً من الماء والمحروقات.

صباح ٢ آب أذاع راديو بغداد بياناً أعلن فيه أن «مجموعة تحاول قلب الحكم في الكويت». وبعد قليل صدر إعلان عن مجلس قيادة الثورة يؤكّد نجاح الانقلاب وأضاف: «هؤلاء الشباب الثوار يطالبون

دعم العراق، وتلبية لنداء الحكومة المؤقتة في الكويت قرّر العراق تقديم المساعدة».

- تمّت السيطرة بسرعة على القاعدتين الجويتين الكويتيتين الرئيسيتين: قاعدة أحمد الجابر، قرب المطار المدني، احتلت على يد مظليين دون مقاومة تذكر، وقاعدة علي سالم قرب الحدود السعودية التي قصفت بشدة قبل القيام بإنزال الطائرات العامودية عليها.

فوجىء الجيش الكويتي المؤلّف من ٢٥٠٠٠ جندياً بالهجوم وحاول المقاومة قدر الامكانات.

- عند بدء الهجوم أخذت قوات الحرس الأميري أماكنها حول القصر وتأكّد لولي العهد ولسائر أفراد أسرة الصباح بان وقف التقدّم العسكري العراقي أصبح مستحيلاً. وحين علم الأمير الحاكم بان القوات العراقية أصبحت على بعد عدّة كيلومترات من العاصمة اضطر لترك قصر دسمان وهو قصر ضخم تحيطه أسوار عالية تعيش بداخله الأسرة الحاكمة.

- شعر آل الصباح أنهم يعيشون، ربما لفترة مؤقتة، اللحظات الأخيرة من حكم دام قرنين ونصف القرن.

- بدأت أصوات الانفجارات والأسلحة الاوتوماتيكية تقترب من القصر وبدأ الدخان الأسود يشاهد من النوافذ وأخذت بعض القذائف تصيب الأبنية والمستودعات إصابات مباشرة.

- في الخامسة إلاّ ربعاً صباحاً، صعد أفراد الأسرة الحاكمة في سيارات عدّة. سار الموكب في طرقات خالية إلاّ من بعض الوحدات الكويتية المصفحة المتوجّهة إلى جبهة لا تنفك تقترب. وصل الرتل إلى أمام السفارة الأميركية، وتوقفت طائرة عامودية على بعد أمتار ليركب فيها الأمير وولي العهد وعدد من الأمراء، ليلحق بهم الآخرون براً إلى المملكة العربية السعودية.

- ابريل غلاسبي، سفيرة أميركا في بغداد والتي كانت لأيام خلت مطمئنة لمحادثاتها مع صدام حسين، أصيبت بالدهشة وعلمت بالاجتياح في لندن، ٢ آب صباحاً، وهي في طريقها إلى واشنطن.

ولابريل غلاسبي قصة طويلة وتأويلات كثيرة حول الغزو. ففي ٢٥ تموز، استدعى صدام حسين السفيرة الأميركية غلاسبي:

دخلت إلى مكتب صدام وهي على درجة من التوتر، فهذه هي المرة الأولى التي تقابله وجهاً لوجه. كان برفقة صدام وزير خارجيته طارق عزيز.

- قال صدام: «أريد التحاور معك في العمق وهذا الحوار رسالة موجهة إلى بوش. أرى ان الولايات المتحدة الأميركية منزعجة من انتهاء الحرب مع إيران لصالحنا. وأراكم تضعون دراسات حول من سيخلف صدام حسين. وقد أجريتم اتصالات مع دول الخليج لعدم تقديم المساعدة الاقتصادية لنا بهدف إرهاق العراق.

ونحن نملك البراهين على كلّ ذلك. ان الحرب الاقتصادية على العراق أخطر بكثير من الحرب العسكرية، لقد تصدّرت الكويت والإمارات العربية سياسة النيل من مكانة العراق رغم اننا حاربنا إيران من أجلهم ودفاعاً عنهم. الكويت اغتنمت الفرصة، فرصة حربنا مع إيران ووسعت حدودها على حسابنا.

أهكذا يكافأ العراق لأنه ساهم بتأمين استقرار المنطقة وقام بحمايتها من عدو لا مثيل له. لن نتخلّى عن حقوقنا وعلى الولايات المتحدة الأميركية ان تتفهّم أكثر للوضع. اننا لا نريد الحرب لأننا نعرف مآسيها، وإنما لا تدفعونا لاعتبارها الحل الوحيد للعيش بكرامة. نحن لا نطلب منكم التدخّل لحلّ نزاعاتنا فيما بيننا، ولكن نطلب منكم عدم تشجيع فريق على فريق آخر».

عند هذا الحد قالت غلاسبي:

«أشكرك سيدي الرئيس. ومن حسن حظي وحظ أي دبلوماسي ان يقابلكم ويجري الحديث معكم، فهمت رسالتكم تماماً. لقد درسنا التاريخ في المدارس وعلّمونا ان نقول نحن أيضاً «الحرية أو الموت». وعندي تعليمات شخصية من الرئيس بوش بضرورة التفتيش عن أفضل العلاقات مع العراق. ثمّ مررت هذه الجملة التي اعتبرها صدام ضوء أخضر لعدم ممانعة أميركا بالغزو: «نحن نلاحظ انكم حرّكتم قوات ضخمة في الجنوب ومن الطبيعي ألاّ يعنينا الأمر بحد ذاته ولكن تلقّيت تعليمات بأن أطلب منكم بكلّ صداقة وودّ إعلان نواياكم وانني أعبّر لكم ببساطة عن قلق حكومتي».

ونعود إلى قصّة الغزو، إنه الذعر في مدينة الكويت. حاول مواطنون كثر الهرب إلى السعودية ولكن الطرقات كلّها مقطوعة وخاضعة لرقابة القوات العراقية، وأما العائلات التي أوقفت على الحواجز العراقية فقد عوملت بعنف وانتزعت من سياراتها الهواتف اللاسلكية لمنع استخدامها في إعطاء معلومات عن تحرّك القوات العراقية.

كانت المروحيات تحلّق باستمرار فوق المدينة المطوّقة بـ٣٠٠ دبابة وآلية تقوم بالدوريات في شوارعها الخالية. بعض الآليات محترق، وتسمع طلقات مورتر وأسلحة آلية قرب قصر الأمير المحاصر بخمسين آلية ثقيلة. وخلال هذه المعارك الأولى قتل الشيخ فهد، الأخ الأصغر للأمير الذي آثر البقاء.

- أغرقت بعض الزوارق الخافرة العراقية بواسطة مدمرات كويتية مزوّدة بالصواريخ. ولكن الأمر لا يتعلّق سوى ببعض من جيوب المقاومة الكويتية التي تصدّت للجيش العراقي. وفي بداية فترة بعد الظهر خفّت الطلقات ثمّ انعدمت نهائياً. والحصيلة الاجمالية كانت مقتل ٢٠٠ كويتي.

خلال ساعات قليلة، حقق صدام حسين حلمه فأصبح يسيطر على ٢٠٪ من احتياطي البترول العالمي كما أصبح يمتلك ٢٠٠ كلم من الشواطىء المطلّة على الخليج.

- أشارت التقارير الواردة صبيحة الرابع من آب ١٩٩٠ إلى أن الوحدات العراقية دخلت المنطقة المحايدة بين الكويت والمملكة العربية السعودية وتمركزت على بعد كيلومتر واحد من الحدود السعودية. وفي «فورت ميد» حيث مقر وكالة الاستخبارات الوطنية أظهرت الصور التي تلتقطها أقمار التجسّس الاصطناعية التي باتت تصوّر كلّ كيلومتر من المنطقة إن مئة ألف جندي من نخبة الوحدات العراقية قد حشدت الآن. هذه الوحدات تنتمي إلى الفيلق الثالث والحرس الجمهوري - ويتألّف هذا الفيلق من ٨ فرق مقسّمة على ٣٣ لواء. هل من خطر لاجتياح المملكة العربية السعودية؟

لقد زوّد المسؤولون الرئيسيون في الإدارة الأميركية بدراسة سرية:

«يتطلّب اجتياح العراق للمملكة عملية عسكرية تفوق بكثير اتساعاً وعمقاً تلك التي قامت بها القوات البرية التابعة لبغداد.

وتشمل الأهداف الرئيسية لهذا الاجتياح المرافىء والمطارات القريبة من الظهران التي تقع على بعد ثلاث ماية كيلومتر من الحدود الكويتية، على أن يكون الهدف التالي الرياض عاصمة المملكة.

وتتابع الدراسة:

«قد تشكّل سمعة الحرس الجمهوري الممتازة في القتال والشراسة ثغرة بالغةالأهمية. إذ إن تدميرها أو أية هزيمة قاسية تلحق بها، قد يصيب باقي وحدات الجيش بصدمة معنوية هائلة تؤدي إلى تسريع تفككه وانهياره. فليس من المستبعد ان تكون ردة فعل القوات العراقية مشابهة لتلك التي عرفتها جحافل الجيش الفرنسي الكبرى في واترلو عندما جاءها النبأ بانسحاب حرس نابليون القديم. فقد أحدثت صرخة الحرس يتقهقر ذعراً عمّ الجيش الفرنسي بأكمله وأدى إلى انهياره الفوري».

- بالنسبة لعدم توقّع الهجوم من قبل الولايات المتحدة والكويت وأغلب وكالات الاستخبارات في العالم، فإن الخداع الذي نجح صدام حسين في نشره أبعد الاحتمال العسكري وجعل العالم يظن ان الأمر لا يتعدّى الابتزاز والتهويل.

فإلى جانب الرسائل السياسية التي بعث بها صدام إلى الولايات المتحدة وبعض الدول العربية والتي كانت في معظمها مطمئنة، نشير إلى وسيلة خداع أخرى: ففي العام ١٩٨٠، عشية الهجوم العراقي على شبه جزيرة الفاو الذي رسم بداية الحرب الايرانية - العراقية ذهب صدام لتفقّد قواته في جبهة بعيدة جداً ليعطي إنطباعاً بمحور الهجوم الوشيك في غير المنطقة المزارة. وبعد عشر سنوات على ذلك قام بدعوة الملحقين العسكريين الأجانب في بغداد إلى الحدود مع الكويت لمشاهدة فرقتيه المرابطتين هناك. وهكذا خلط العراقيون أوراق اللعبة بطريقة ملفتة، فمن كان يصدق بان بلداً يدعو خبراء أجانب لمشاهدة عتاده العسكري يتحضر للغزو. مباشرة بعد عودة الملحقين العسكريين إلى بغداد كان صدام حسين قد أعطى الأمر للجزء الأكبر من قواته للتحرّك باتجاه الإمارة، فيما كان السفراء الغربيون والعرب يبرقون رسائل مطمئنة إلى عواصمهم تدعو إلى التفائل.

- وبالعودة إلى العمليات القتالية، فقد تمكّنت معظم الطائرات الحربية الكويتية من الوصول سالمة إلى المملكة العربية السعودية. ونجح جزء من تلك الطائرات في الانطلاق من القاعدة الجوية الشمالية في الكويت في اليوم الأول للغزو، بينما وصل أكثرها في اليوم الثاني من القاعدة الجنوبية. ويدل وصول هذه الطائرات على أن العراق كان بطيئاً في فرض سيطرته على الكويت. كما نجح بعض الطائرات العامودية الكويتية في الهبوط بسلام في المطارات السعودية القريبة، كرأس مشعاب، بينما تحطّم البعض الآخر أو فقد في الصحراء اثر الفوضى والارتباك في عملية الخروج من الكويت.

- التحصينات العراقية في الكويت:

قام العراقيون إثر الغزو بنشر عوائق كثيرة وكثيفة. كانت هناك خنادق مضادة للدبابات وخنادق مملوءة بالبترول؛ وتحصينات ميدانية وحقول ألغام مختلطة مضادة للأفراد ومضادة للدبابات. وكانت الشواطىء على طول الساحل الكويتي مزروعة بالألغام ومحمية بالنيران. كما شكلت المباني وخطوط الأنابيب الممدودة فوق سطح الأرض، والبنية الأساسية الصناعية عوائق إضافية أمام تقدّم القوات المهاجمة، فضلاً عن السكان الموجودين داخل الكويت حتى ذلك الحين. وقد أخذت القيادة العراقية بالحسبان في تمركزها في الكويت أن تكون المراكز في المدن والشوارع والأحياء وبين الناس من أجل مجابهة أي هجوم وجعله مكلفاً كثيراً بالأرواح والخسائر المادية.

كانت التحصينات مصممة على غرار تلك التي أنشأها العراق في حربه على إيران وأفاد منها إلى حدّ بعيد. فقد أقامت القوات العراقية حزامين دفاعيين، أحدهما بعمق ٥ - ١٠ كلم داخل الكويت، والآخر على بعد ٢٠ كلم. وكان كلّ حزام يتكوّن من نقاط دفاعية حصينة خلف موانع قوية من الأسلاك الشائكة والخنادق المضادة للدبابات والخنادق المملوءة بالبترول وحقول الألغام التي يتراوح عمقها من ١٠٠م إلى ٢٠٠م. وهذه التحصينات هي لخدمة الاستراتيجية العسكرية العراقية التي تقضي باستدراج القوات المهاجمة إلى

مـنـاطق قـتـل بين الحزامين الـدفـاعـيين، في الـوقت الـذي تـكـون فـيـه الـقـوات المدرّعـة الاحـتـيـاطـيـة جاهزة لشـن هـجـمـات مضادة على تلك القوات التي تنجح في إختراق الحزام الدفاعي الأول ويتم إيقافها وصدها أمام الحزام الثاني.

في نهاية الغزو بلغ عدد القوات العراقية التي احتلّت وتمركزت في الكويت حوالى مئة وثمانون ألف جندي.

ج - قدرات الجيش الكويتي:[1]

- الـدخـل السـنـوي المحلـي ١٩٩٣: ٦،٧٧ مليار دينار كويتي أي ٢٣،٦ مليار دولار.
- الدخل الفردي السنوي ١٩٩٣: ١٥٤٠٠ دولار.
- الـدخـل المحلـي السـنـوي ١٩٩٤: ٧،٥٧ مليار دينار أي ٢٥،٤٣ مليار دولار.
- الدخل الفردي السنوي ١٩٩٤: ١٦٨٠٠ دولار.
- النمو ١٩٩٣: ٨٪ - النمو ١٩٩٤: ٧،٨٪
- الـتضـخّـم ١٩٩٣: ٠،٧٪ - الـتضـخـم ١٩٩٤: ١،٦٪.
- الدين ١٩٩٣: ٨،٧٧ مليار دولار - الدين ١٩٩٤ = ٩،٤٣ مليار دولار.
- الانـفـاق الـدفـاعـي ١٩٩٣: ٨٨٣ مـلـيـون دينار كويتي أي حوالي ٣ مليار دولار.
- موازنة الدفاع ١٩٩٥: ٨٤٩ مليون دينار كويتي.
- تـعـداد السـكـان: ١،٥٠٥،٠٠٠ نسـمـة (مليون ونصف) موزعين كالآتي:
- ٤٢٪ كويتيون.
- ٣٨٪ عرب آخرون.
- ١١٪ أسيويون جنوبيون.
- ٥٪ ايرانيون.
- ٤٪ أجانب غربيون.

١ - إجمالي القوات المسلّحة:

- الـعـامـلة الدائمة: ١٦٦٠٠ جندياً منهم ١٦٠٠ أجنبي.
- مدّة الخدمة الالزامية: سنتان.
- الـقـوات الاحـتـيـاطـيـة: ٢٣٧٠٠ فـرداً يتدرّبون شهراً كلّ عام.
- الجيش: ١٠٠٠٠ (عشـرة آلاف) مـوزع كالآتي:

---

(١) المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية: الميزان العسكري (١٩٩٥ - ١٩٩٦) طبعة ١٩٩٧.

- لواءان ميكانيكيان.
- لواءان مدرّعان.
- لواء حرس أميري.
- كتيبة مغاوير.
- لواء مدفعية.
- لواء هندسة.
- لواء احتياط.

٢ - المعدات العسكرية:

- دبابات: ٢٠٠ دبابة أميركية و٢٠ دبابة إنكليزية.
- عربات قتال: ١٤٠ عربة.
- ناقلة جنود مدرّعة: ١٥٣ M 113 و٤٠ فهد.
- مدافع ذاتية الحركة:
  - ٢٢ مدفع ١٥٥ ملم
  - ٣٧ مدفع من عيارات مختلفة
- هاونات:
  - ٨١ ملم: ستة
  - ١٠٧ ملم: ستة

٣ - القوات البحرية:

- ٢٥٠٠ جندي بمن فيهم خفر السواحل.
- القاعدة: رأس القلايا.
- مراكب صاروخية عدد ٢ واحدة من نوع الاستقلال (انموذج الماني) وواحدة من نوع السنبوك.

٤ - القوات الجوية:

- ٢٥٠٠ جندي.
- ٧٦ طائرة قتالية: ف أ - ١٨ وميراج.
- ١٦ حوامة مسلّحة (طائرة عامودية).

رابعاً - المقاومة الكويتية للغزو:[١]

وقعت معارك شديدة حول قصر الأمير في دسمان وعلى مفترق الطرق عند المطلاع وفي معسكرات الجيش والقيادة العامة في جيوان وجزيرة فيلكا، ولكنها لم تكن كافية لوقف الهجوم.[٢] ويرجع السبب إلى افتقار

(١) حرب الخليج - الملف السري: المرجع نفسه.

(٢) مقالة للعميد الركن د. محمد الهاشم في جريدة الوطن ١٩٩٢/٨/٢.

الجيش الكويتي إلى العمق الجغرافي وإلى حجمه الصغير (٢٠ ألفاً تقريباً) فضلاً عن افتقاره للخبرة مقابل الجيش العراقي الذي تمرّس في حرب طويلة مع إيران. وعلى الرغم من حالة الفوضى التي عاشها الجيش الكويتي في اليوم الأول للغزو فإن بعض وحداته البرية والجوية استطاعت الانسحاب المنظّم إلى الأراضي السعودية. وما أن حلّت ظهيرة اليوم الثاني من آب حتى كانت القوات العراقية قد احتلّت المراكز الأساسية في الكويت. وفي ثاني يوم الغزو أي في الثالث من آب كانت الكويت كلّها قد سقطت بأيدي العراقيين.

لم يكتف الشعب الكويتي بالمقاطعة أسلوباً وحيداً للنضال، بل نظّم مقاومة مدنية ومسلّحة. اتخذت المقاومة المدنية السلمية صورة كتابة الشعارات المعادية للاحتلال والداعية للمقاومة على جدران المباني العامة، وظهرت في الشهرين الأولين بالذات مجموعة من النشرات السرية التي كانت توزّع بشكل واسع تدعو للبقاء في الأرض، وفي بعضها تعليمات للوقاية من الحرب الكيمائية.

امّا النوع المميّز للمقاومة المدنية السلمية التي هزّت كيان القوات العراقية فهو التكبير الجماعي من على السطوح. وعندما أعطت القوات العراقية الأمر بإطلاق النار على كلّ من يكبّر، في تلك الليلة، صعد معظم الكويتيين إلى سطوح منازلهم وراحوا يكبرون في منظر مهيب.

المهندس الأميركي «دولاند لايثم» يقول: «لا يمكن نسيان ذكرى مرور شهر على الاحتلال حين قمنا بفتح كلّ النوافذ للاستماع لصوت نساء الكويت وهن يصحن بصوت واحد «الله أكبر»، فما كان من القوات العراقية إلاّ ان فتحت نيران أسلحتها على السطوح بشكل عشوائي أدى إلى مقتل العشرات.

كما مارس الكويتيون أساليب أخرى للمقاومة كالمظاهرات وإخفاء الأطعمة وتوزيعها بالسر على المقاومين.

أ - المقاومة المسلّحة:

ظهرت المقاومة المسلّحة بديلاً عن القتال التقليدي، ولعبت دوراً في رفع معنويات الشعب الكويتي وفي إحداث الإرباك في

صفوف قوات الاحتلال. إن الغضب الذي أصاب المواطنين من سرعة احتلال بلدهم بسبب اختلال التوازن بين الجيشين العراقي والكويتي دفع المواطنين إلى أخذ المبادرة. فمنذ ساعات الصباح الأولى ليوم الثاني من آب امتلأت مخافر الكويت بالشباب المتطوّع الباحث عن السلاح. غير ان هذا الأمر انعكس سلباً على هؤلاء المتطوّعين عندما احتلّت القوات العراقية تلك المخافر واستولت على اللوائح الاسمية مما أدى إلى اعتقال عدد كبير منهم. وقد سجّلت في بادىء الأمر مقاومة بعض الضباط وأفراد الجيش عند لجوئهم إلى منطقة كيفان حيث ظلّ إطلاق النار فيها لعدّة أيام.

ثمّ تشكّلت مجموعات من الناس والعسكريين كنواة للمقاومة في المناطق ذات الكثافة السكانية. وبلغ عدد المجموعة الواحدة حوالي عشرين عنصراً وكانت هذه المجموعات ترتبط بمعظمها بالحكومة في المنفى، والبعض الآخر كانت تعمل باستقلالية. أمّا بالنسبة لمصادر التسليح فكانت داخلية ومن مخازن الذخيرة العائدة للجيش الكويتي.

شملت أعمال المقاومة أفراد القوات العراقية وآلياته وتجمّعاته وخاصة تجمّع دوار العظام المؤدي إلى البصرة. وكانت هجمات المقاومة تتركّز على الطرقات الرئيسية بعيداً عن المناطق السكنية. إن مظاهر ونتائج المقاومة وآثارها كانت واضحة في الشهرين الأولين حيث عشرات الآليات العراقية كانت تشاهد محترقة على جوانب الطرق. وكان إطلاق النار يسمع ليلاً بكثرة. لقد نجحت المقاومة المسلّحة بتحقيق أهدافها بنقل رسالة رفض الكويتيين للاحتلال فضلاً عن انها أوقفت هجرة المدنيين الكويتيين إلى خارج العراق، كما حدّت من توافد المدنيين العراقيين إلى الكويت.

وقد نجحت المقاومة أيضاً في زرع الخوف في نفوس الجنود العراقيين. وكان هؤلاء الجنود يتنقّلون بحرية في الأيام الأولى للاجتياح، ما لبثوا ان تحددت تحرّكاتهم كثيراً. لقد بلغت المقاومة ذروتها خلال الشهرين الأولين للاجتياح، ثمّ ما لبثت ان خفّت بسبب احكام العراقيين قبضتهم على البلاد وما رافق ذلك من أعمال قمع ونهب

وتدمير. ولا ننسى قلّة الخبرة لدى المواطنين الكويتيين في أمور الدفاع والقتال في مواجهة جيش مدرّب ومجرّب.

يقول علاء القحطاني، أحد أفراد المقاومة العاملين في منطقة الفروانية، «كان الوطن والشرعية هي هواجسنا، كنا نعرف اننا لا نستطيع مواجهة الآلة العسكرية الضخمة والاعداد الهائلة للجيش العراقي بمختلف أسلحته، لكننا قررنا المضي لإزعاجه وإقلاق نومه، وإحباط معنوياته، وإبلاغ العالم بأسره ان الكويتي لن يهدأ ولن يستكين حتى تتحرر أرضه، وانه ليس ذلك الطفل المدلل الذي ولد وملعقة الذهب في فمه، كما كان يصورنا الاعلام المعادي... بل اننا رجال أقوياء في أوقات الشدّة وعند المحن[1]».

المرأة والمقاومة:

لا يمكن الحديث عن المقاومة دون الإشارة إلى الدور البارز الذي لعبته المرأة الكويتية فيها. لقد قدمت تضحيات لا تنسى، فهي التي نظّمت المظاهرات المندّدة بالاحتلال في الأيام الأولى للغزو في أكثر من منطقة.

وقد ضمّت إحدى المظاهرات «مظاهرة العديلية» حوالي ٧٠٠ امرأة ولم تتوقف إلاّ بسقوط المواطنة سناء الفودري شهيدة في المظاهرة التي خرجت من الرميثية إلى الجابرية. شقيقة الشهيدة تروي ظروف استشهادها فتقول: «سرنا معاً إلى ان اقتربنا من مخفر الجابرية، وهناك حدث إطلاق نار في الهواء، تراجع البعض وبقينا مجموعة صغيرة من النساء والفتيات. قالت سناء: أنا لن أتراجع، امّا ان أكمل طريقي أو ان أستشهد، ثمّ اشتدّ إطلاق النار فأصيبت سناء ووقعت أرضاً قائلة لرفيقاتها: أنا انتهيت وعليكن أنتن إكمال الدور، حاول شاب إيراني إنقاذها فقتل. وبقيت على الأرض حتى أجهز عليها أحد العسكريين العراقيين بإفراغ رشاشه بالكامل».

بالإضافة للمظاهرات والمنشورات، شاركت المرأة الكويتية في بعض أعمال

(١) مجلّة الطليعة، ٢٨ تموز ١٩٩٣.

المقاومة المسلّحة، فيشير البعض ان ضمن «مجموعة الروضة» المقاومة التي تضم ١٢ فرداً شاركت اثنتان من المواطنات في نقل السلاح وكانتا السبب في نجاح الكثير من العمليات العسكرية، وهذا ما أشارت إليه بعض الوثائق العراقية من «ان العناصر المعادية تحاول استغلال النساء في نقل السلاح والعتاد. وتشير بعض التقارير إلى ان بعض الكويتيات قامت بعمليات فدائية منها تلغيم السيارات وتفجيرها لاسلكياً، وكانت تستعين بساعات الغسالات والطباخات في عملية التفجير.

الشهيدة وفاء الحسن وهي طالبة حقوق في جامعة الكويت وتابعة لمجموعة ٢٥ شباط تحدّثت قبل استشهادها عن تجربتها في كيفية تعلّم القتل وذلك في رسالة كتبتها لزوجها الذي أسر منذ اليوم الأول، تقول: «في إحدى نقاط التفتيش سألني جندي عراقي عن جنسيتي، فقلت له كويتية، فضربني على وجهي وقال: قولي عراقية. فعدت للبيت مقهورة، فتحدّثت لصاحبتي وقررنا الانتقام وذهبنا بسيارة إلى الجندي بذاته وقلنا له ان أحد الأشخاص يضايقنا، فركب معنا في السيارة وأخذناه إلى منطقة نائية وأطلقنا عليه النار».

ب - الجيش العراقي في الكويت بنظر الكويتيين:

لا يمكن إقفال هذا الموضوع دون الإشارة إلى نظرة الكويتيين للجنود العراقيين المحتلين. «فالجيش العراقي[١] يتسم بتنظيم شديد التراتبية يتسلّط فيه الأعلى مرتبة على الأدنى منه ويستغلّه بأبشع الصور. يوجد فروقات شاسعة في المستوى الاجتماعي والخلفية الطائفية والعشائرية والمناطقية بين الضباط والجنود. كما يوجد اختلاف بين المنتسبين للحزب وباقي أفراد الجيش. الجنود عادة يأخذون إجازاتهم برشوة ضباطهم وتقديم الخدمات لهم كنقل المسروقات إلى العراق. ان وضع الجنود داخل المدينة كان أفضل من زملائهم المنتشرين في الصحراء. بعض الجنود كانوا

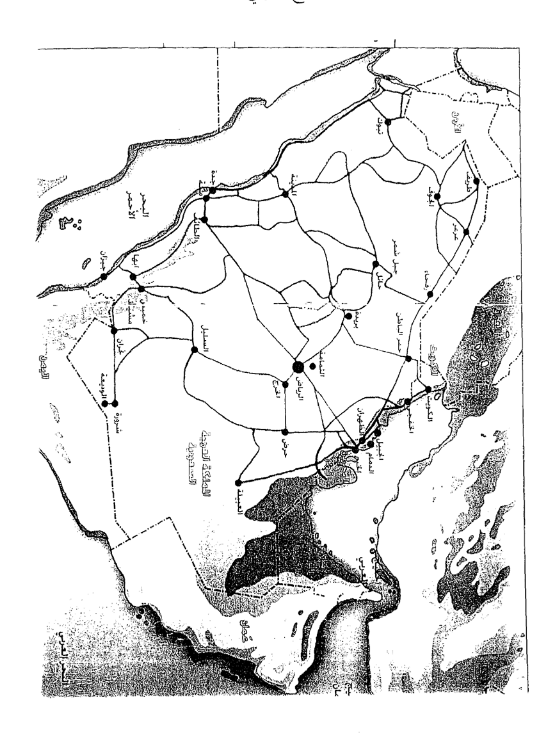
---

(١) الغزو العراقي للكويت، عالم المعرفة، عدد ١٩٥، طبعة ١٩٩٦.

يقتاتون من السرقة، وبعض الضباط اقتنوا شققاً فخمة للعربدة.

بعض التقارير تشير إلى ان بعض الجنود والضبـاط لم يكـن راضيـاً وربما لأسباب مختلفة، كالأكراد مثلاً، أمّا الأكثر كراهية ودموية فكانوا رجال الاستخبارات ورجال الحرس الجمـهوري والـقوات الخاصـة. ولا ننسى فرق الإعدام التي تتبع الألوية والفرق وتتدخّل فوراً لمعاقبة وإعدام كلّ من يحاول التهرّب أو التراخي في القتال».

الخليج العربي



الفصل الخامس

التحضيرات السياسية والعسكرية لتحرير الكويت

أولاً – التحضيرات السياسية[١]

أ - الموقف العربي:

شعر الملك فهد والرئيس مبارك بصدمة شديدة جراء غزو صدام حسين للكويت، لاسيما بعد الجهود الجبارة التي بذلاها لتهدئة الأوضاع، فبادرا على الفور إلى معارضة الغزو والوقوف ضده. وأصدر مجلس جامعة الدول العربية، بتشجيع منهما في الثالث من آب قراراً بإدانة العدوان العراقي، مطالباً بانسحاب العراق من الكويت فوراً ومن دون قيد أو شرط. كما اتخذ المجلس الوزاري لدول مجلس التعاون الخليجي الموقف نفسه في السابع من آب. لقد أدرك الملك فهد على الفور خطورة التهديد الذي لحق بالمملكة وعدم جدوى الاعتماد على ما يسمى بالحل العربي. فبادر إلى الفور إلى جس نبض الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا لمعرفة مدى التزام الدولتين بالدفاع عن أمن المملكة، مما أسفر عن زيارة ديك تشيني وزير الدفاع الأميركي للمملكة في السادس من آب ووصول طلائع من القوات الأميركية للمملكة بعد ذلك بـ٤٨ ساعة.

في تلك الأثناء كانت لدى الرئيس المصري أسباب خاصة جعلته ينقم على سلوك صدام حسين، إذ أدرك ان

---

(١) مقاتل من الصحراء، خالد بن سلطان بن عبد العزيز، دار الساقي، بيروت ١٩٩٥.

صداماً لم يصدقه القول حين وعده بعدم اللجوء للقوّة. أحسّ الرئيس مبارك بالحرج الشديد لعدم التزام صدام بوعده الذي نقله إلى المسؤولين الكويتيين والسعوديين والأميركيين. وقد وجد الرئيس المصري أيضاً ان المصالح المصرية سوف تتعرّض للخطر إذ سمح للعراق بالهيمنة على مسرح الشرق الأوسط، ولم يكن الرئيس مبارك مستعداً للمخاطرة وإتاحة الفرصة للعراق لإبعاد مصر عن منطقة الخليج، وهي المنطقة التي عبّرت مصر دوماً عن إهتمامها الراسخ بها خلال الحرب العراقية الإيرانية وأسهمت في حمايتها. ومن البديهيات التي يدرسها الضباط في الأكاديمية العسكرية المصرية أن أمن الخليج جزء لا يتجزأ من أمن مصر.

وهناك سبب إضافي وراء استياء الرئيس المصري، وهو مساهمة مصر مساهمة ضخمة في المجهود الحربي العراقي، إذ أرسلت مستشارين عسكريين وأسلحة وما يقرب من مليون ونصف المليون من المصريين للعمل في الحقول، وفي مختلف قطاعات الاقتصاد، مما مكّن العراقيين من الانصراف إلى المجهود الحربي، والأسوأ من كلّ ذلك ان العراقيين أساؤوا معاملة العمال المصريين واعتبروهم منافسين لهم في اليد العاملة.

كلّ هذه الأمور سهّلت للرئيس المبارك، من الناحية السياسية، أن يضم مصر إلى التحالف المعادي لصدام.

أما سوريا فكانت أكثر أعضاء التحالف خشية من سيطرة العراق وعدوانه. وكان صدام مصمماً على معاقبة خصمه اللدود ومنافسه القديم، الرئيس حافظ الأسد لوقوفه إلى جانب إيران خلال الحرب معها. ولو سمح لصدام بابتلاع الكويت وهضمها لكان النظام السوري هدفه التالي من دون شك.

ففي السنة السابقة لغزو الكويت حاول صدام حسين تقويض وضع سوريا في لبنان بإرسال الأسلحة والأموال لأخصام سوريا في هذا البلد، وعلى كلّ حال، فقد كان الأسد وصدام في مواجهة مصيرية منذ وقوع الانشقاق في حزب البعث عام ١٩٦٦، ومع أن اشتراك الأسد في التحالف ضد صدام أثار بعض الدهشة في الدوائر الغربية، إلاّ أنه كان أمراً متوقّعاً.

كان لاشتراك الأسد في التحالف موضع ترحيب كبير لسببين: أولهما ان سمعة الرئيس الأسد كزعيم مؤمن بالقومية العربية، وبذل نفسه لمقاومة الاعتداءات الاسرائيليّة على الأراضي العربية، ساعدت على إضفاء صفة الشرعية على التحالف لدى الرأي العام العربي، وثانياً، لأن علاقة الأسد الوطيدة مع إيران ساعدت على ضمان حيادها خلال أزمة الخليج.

على الصعيد الفلسطيني، فقد اعتقد الفلسطينيون ان قوّة صدام يمكن أن تساعدهم على استرجاع حقوقهم في فلسطين المحتلّة. وكان موقف موريتانيا والسودان واليمن مشابهاً للموقف الفلسطيني نظراً للمساعدات الاقتصادية والعسكريّة التي قدّمها صدام حسين لهذه الدول عندما كانت تواجه بعض الأزمات. تبقى الإشارة إلى الموقف الأردني حيث أعلن الملك حسين تعاطفه مع العراق لأسباب عديدة منها: أولاً العنصر الفلسطيني الموجود في الأردن والذي يشكّل ٦٠٪ من مجموع السكان، ثانياً التبعية المطلقة للاقتصاد الأردني للعراق خلال الحرب العراقية الإيرانية وما سببه ذلك من انتعاش وازدهار للمملكة، وثالثاً غياب الود والتقارب بين المملكة ودول الخليج.

وقد جاهرت المملكة العربية السعودية مراراً باستيائها من مواقف السلطة الفلسطينية والأردن والسودان واليمن «الذين ينحازون إلى جانب المعتدي بعدما نهبوا من المساعدات السعودية سنوات وسنوات»[(١)] وذهبت الصحافة السعودية إلى أبعد من ذلك حين اتهمت الملك حسين بأن العراق سيساعده على استعادة الحجاز التي كانت عائدة لجدّه الأكبر، كما يحلم الرئيس عبدالله صالح اليمني بالاستيلاء على المنطقة الحدودية «عسير»، وكذلك يتخيل الفلسطينيون أن بإمكانهم إقامة وطن بديل لهم في الكويت.

(١) مقاتل في الصحراء، خالد بن سلطان بن عبد العزيز، دار الساقي، ١٩٩٥.

مؤتمر القمة العربية:[1]

دعت جامعة الدول العربية إلى عقد مؤتمر قمة عربية لمعالجة الاجتياح العراقي للكويت. وبالفعل انعقدت القمة في القاهرة يوم ٩ آب ١٩٩٠ أي بعد سبعة أيام على الغزو. وقد ظهرت خلال القمة الخلافات الكبيرة في صفوف الأسرة العربية بين المعارضين لصدام ومؤيديه.

ففي ذلك المؤتمر صممت المملكة العربية السعودية ومصر وسوريا ودول مجلس التعاون الخليجي على إصدار قرار بالموافقة على نشر قوات عربية في الخليج لمقاومة اجتياح صدام حسين، وعلى دعوة الغرب لإرسال قوات إلى المملكة للدفاع عنها. وقد عارض مشروع القرار بشدّة العراق والدول المؤيّدة له.

في نهاية الأمر صوّتت ١٢ دولة إلى جانب القرار وهي: المملكة العربية السعودية، الكويت، الإمارات العربية المتحدة، قطر، سلطنة عمان، البحرين، المغرب، الصومال، جيبوتي، مصر، لبنان وسوريا. وصوت ضد القرار: العراق، ليبيا وفلسطين. أمّا الجزائر واليمن فامتنعتا عن التصويت بينما أبدى الأردن والسودان وموريتانيا تحفظها عليه، وغابت تونس عن المؤتمر.

خلال القمّة حاول طه ياسين رمضان طمأنة السعودية ان استعادة «الكويت الجزء إلى العراق الكل» لا يشكّل أي خطر على السعودية وأنه ليس للعراق أية نوايا عدوانية ضد المملكة. كما حاول مع سعدون حمادي أن يتركّز النقاش في المؤتمر على الوجود العسكري الأميركي الذي يهدد العراق. وكان يساور الرئيس المبارك حلمان: أن تعود مصر نقطة ثقل العالم العربي، وأن تلغي الولايات المتحدة ديوناً تبلغ قيمتها ٧ مليار دولار. وهو يأمل ان تسمح نتائج القمة بتحقيق هذين الحلمين.

الأمير الكويتي تردّد كثيراً قبل السفر إلى القاهرة وقد تطلّب الأمر ضغوطات من قبل السعوديين والأميركيين، ثمّ قبل بالحضور على أن يقتصر على الجلسة الافتتاحية ثمّ يعود إلى مقرّه المؤقت في الطائف.

---

(١) حرب الخليج، الملف السري: المرجع السابق.

دخل طارق عزيز قاعة المؤتمر دون أن يلتفت إلى أفراد آل الصباح الذين كانوا يرتدون جميعهم سترات واقية من الرصاص.[١]

طارق عزيز يتوجّه إلى المجتمعين:

- اني أعترض على ان يحضر هنا دمى، عملاء للأميركيين.

الشيخ صباح الأحمد وزير الخارجية الكويتية يقف غاضباً:

- لقد انتهكتم جميع القوانين الدولية و...

طارق غزيز يقاطعه:

- اصمت، لست سوى مرتزق أميركي ضالع في عمالة وكالة الاستخبارات الأميركية.

بعيد ساعات تجدد الاشتباك، ولكن هذه المرة في المطعم الواقع في قصر المؤتمرات: العراقيون والكويتيون يتبادلون الشتائم وقذف الصحون إلى ان تدخّل الدبلوماسيون والوزراء العرب للفصل بين الطرفين.

ترأس مبارك الجلسة وإلى جانبه أمين عام الجامعة العربية، الشاذلي القليبي وطالب «بانسحاب جميع القوات العراقية من الكويت وباحترام حقوق الشعب الكويتي وإعادة الحكومة الشرعية إلى ما كانت عليه قبل الاجتياح» منتقداً السعودية لاستقبالها قوات أميركية.

الملك فهد: اتخذت هذا القرار لأن صور الأقمار التي أظهرها لي الأميركيون كانت تظهر حشودات عراقية كبيرة على الحدود السعودية.

خلال الجلسة المغلقة التي ستدوم خمس ساعات والتي وصفها أحد رؤساء الوفود بأنها «الأشد فتكاً بوحدة العالم العربي»، أكد ياسر عرفات ان البيان الختامي كان جاهزاً، كتب نصّه بالانكليزية وترجم للعربية. واكتشف قادة منظّمة التحرير عمق عزلتهم، فالعديد من رؤساء الدول لا يردون التحية عليهم ويبدلون اتجاهاتهم لتلافي الحديث معهم. وتأكّد للفلسطينيين انهم يدفعون ثمن دعمهم لصدام حسين. وقد

(١) بيار سالنجر، حرب الخليج، الملف السري، ١٩٩١.

صدرت عن القمة قرارات قضت بإرسال قوات عربية إلى المملكة السعودية بموازاة القوات الدولية، ورفض ضم الكويت، وفرض عقوبات على العراق استناداً لقرار الأمم المتحدة.

ب - الموقف الدولي:

بدأت الولايات المتحدة الأميركية حملة سياسية واسعة النطاق بين صفوف حلفائها لحثّهم على تكوين قوّة عسكرية متحالفة دولية ترسل إلى المملكة العربية السعودية لحمايتها من جهة وتشكيل ضغط عسكري على القوات العراقية الموجودة في الكويت لإجبارها على الانسحاب، كما باشرت الاتصال بالدول العربية للمشاركة في عديد هذه القوّة العسكرية، وقد تمّ لها ذلك كما رأينا من خلال مؤتمر القمة العربية الذي انعقد في القاهرة.

منذ اندلاع الأزمة، بدأ الرئيس الأميركي بوش الأب، وقد محى سمعته كرجل متردد، باتخاذ القرارات المناسبة. فأمر الاسرائيليين بالهدوء والتروي، وطلب من اليابانيين بأكثر من مجرّد المشاركة المالية، وأبلغ السوفيات والصين بان أمامهم فرصة للانضمام فعلياً إلى الأسرة الدولية التي التفت حول الولايات المتحدة الأميركية بهدف تحرير الكويت. إن شخصية بوش أشد تعقيداً مما يظهر عليه. فهو نبيل من الساحل الشرقي، لطيف الكلام، متزن التصرّف، يهوى الموسيقى الكلاسيكية وهو الرجل الذي جمع ثروة طائلة في تكساس من تجارة النفط.

في ٢٩ تشرين الثاني من عام ١٩٩٠، تبنى مجلس الأمن صيغة قرار تجيز استخدام القوة ضد العراق، مع الإشارة إلى تاريخ ثابت للانسحاب من الكويت وهو منتصف كانون الثاني من عام ١٩٩١. وهذا معناه أن الحرب لن تبدأ قبل نهاية كانون الثاني أو بداية شهر شباط.

١ - موقف الأمم المتحدة:[١]

الواقع أنه يستحيل فهم حقيقة وأبعاد ودوافع وأسباب ردود الفعل الدولية التي

(١) الغزو العراقي للكويت، عالم المعرفة، عدد ١٩٥، طبعة ثانية، عام ١٩٩٦.

بـدأت تـتعـاقب مثـل موجات البـحر الهـائج بمجرّد تناقل وكالات الأنباء العالمية خبر غزو العراق للكويت فجر اليوم الثاني من آب عام ١٩٩٠، يستحيل فهم كلّ ذلك، دون فهم عميق لدلالات توقيت الغزو. فقد حصل الغزو في وقت كان النظام العالمي يمر بتجولات عـميـقة أثرت على موازين الـقوى الـدولـية. فمنذ وصول غورباتشوف للسلطة في الاتحاد السوفياتي عام ١٩٨٥ وشروعه في إحداث تغييرات جوهرية، في هيكل وسياسات الاتحاد السوفياتي، كان من الواضح ان النظام العالمي بدأ يدخل مرحلة جديدة. وكانت أهم سمات تلك المرحلة تتمثّل في قرار الاتحاد السوفياتي تقصير خطوط علاقاته الخارجية والبحث عن أسـلـوب جـديـد لمعـالجة وحـلّ المشـكـلات الدولية يقوم على أساس توازن المصالح بدلاً مـن تـوازن الـقـوى، وتـلـمس أسـلـوب جـديـد لـلـتعـاون الـدولي قـائـم على الحد من سباق التسلّح نتج عنه بصورة أو بأخرى الانحسار الـتـدريجـي لـلـنـفـوذ السـوفـيـاتـي مـن مواقع عديدة.

لـقـد انـهـمـك الاتحاد السـوفـيـاتـي بمعـالجة مشكلاته الداخليّة، وتخلى عن منطقة نفوذه المبـاشـر وهـي أوروبـا الشـرقـيـة الـتـي كـانت تشكّل خط دفاعه الأول. ففي العام ١٩٨٩ اندفعت الجماهير الثائرة في ألمانيا الشرقية تحطّم سور برلين، وهو اليوم الذي تجسّدت فيه نهاية الحرب الباردة.

لقد كان من الطبيعي أن تنعكس هذه التطوّرات نفسها على الأمم المتحدة وأسلوبها التقليدي في معالجة الأزمات الدولية. وفي هذا السياق أصبح للأمم المتحدة دور جديد تؤديه في مجال تنشيط البحث عند تسوية سياسية للعديد من النزاعات الدولية في ظل عدم لجوء الاتحاد السوفياتي لاستخدام حق الـفـيـتـو كـعـادتـه في الـسـابـق خـلال الـفـترة الممتدة من العام ١٩٨٦ ولغاية ١٩٩٠ بينما استخدمت حق الفيتو خلال هذه الفترة الولايات المتحدة ٢٤ مرة وبريطانيا ٧ مرات وفرنسا ٣ مرات. وإن دلّ هذا الشيء على جديد فإنما يدل على تحوّل كامل في سياسة الاتحاد السوفياتي الخارجية عندما كان الفيتو إحدى أدواتها الأساسية.

إذن بوسع أي مراقب دولي خبير أن يدرك أن تغييراً جوهرياً قد طرأ بالفعل على قواعد إدارة الأزمـات الـدولـيـة. وتـلـك حـقـيـقـة لم

يدركها النظام العراقي على ما يبدو وكانت إحدى أخطائه الأساسية في حساباته عند اجتياح الكويت.

لذلك كان من المتوقع أن تلعب الأمم المتحدة في أزمة الكويت دوراً يختلف جذرياً عن أدوارها التقليدية في إدارة الأزمات الدولية. وهذا ما حصل بالفعل:

١ - أصبح مجلس الأمن منذ اللحظات الأولى للغزو في ٢ آب وحتى التاسع منه في حالة انعقاد دائمة وأصدر خلال تلك الفترة القصيرة إثني عشر قراراً جميعها ملزمة وتشير إلى مواد الفصل السابع من الميثاق وذاك لم يحدث مطلقاً في أية أزمة أخرى عالجتها الأمم المتحدة من قبل.

٢ - انعقد مجلس الأمن خلال تلك الفترة مرتين على مستوى وزراء الخارجية والمرات الباقية على مستوى المندوبين ويمكن تصنيف القرارات الصادرة وفقاً لما يلي:

القرارات الخاصة بالتوصيف القانوني للغزو:

- القرار رقم ٦٦٠ أعتبر فيه الغزو عدواناً سافراً وانتهاكاً خطيراً للقانون الدولي وتهديداً للسلم العالمي.
- القرار رقم ٦٦٢ أعتبر فيه ضم الكويت للعراق لاغياً وباطلاً.

القرارات الخاصة بالاجراءات التحفظية:

اتخذ مجلس الأمن قرارات تدين الممارسات العراقية في الكويت واعتبر العراق مسؤولاً عن الأضرار الانسانية والمادية الحاصلة خلال الاجتياح.

القرارات الخاصة بالعقوبات:

وهي القرارات التي استهدفت ممارسة الضغوطات المختلفة على العراق لإجبارها على الانسحاب من الكويت وتشمل هذه المجموعة:

- القرار ٦٦١ وطالب بفرض المقاطعة الشاملة على العراق تجارياً ومالياً وعسكرياً.
- القرار ٦٦٥ أجاز إستخدام القوة لاحكام المقاطعة.
- القرار ٦٧٠ فرض الحصار الجوي والبحري على العراق.

- القرار ٦٦٦ استثناء الأغذية والأدوية من الحظر.
- القرار ٦٦٩ لمساعدة الدول المتضررة من الحظر.
- القرار ٦٧٨ وهو أخطر القرارات الصادرة عن مجلس الأمن ويأذن للدول الأعضاء المتعاونة مع الكويت استخدام كافة الوسائل بما فيها العسكرية لتطبيق القرارات السابقة.

٢ - الإدارة الأميركية للأزمة:

يمكن إيجاز المواقف التي اتخذتها الولايات المتحدة الأميركية لمواجهة الغزو وممارسة الضغوطات على العراق كما يلي:

- ضرورة خروج العراق من الكويت من دون قيد أو شرط قبل اللجوء للقوة العسكرية.
- عدم استبعاد الحل العسكري والتصرّف كأن مواجهة عسكرية حاصلة لا محالة. وإذا ما حصل التدخّل العسكري فإن الهدف يجب أن لا يقتصر على مجرّد تحرير الكويت وإنما تدمير القوة العراقية حتى لا يتكرر ما حدث.
- تصرّف الإدارة الأميركية تجاه الأزمة على النحو الذي يحقق انفراد الولايات المتحدة بقيادة العالم. وكان هذا الموقف يهدف فيما يهدف إلى إظهار العجز الكامل للاتحاد السوفياتي على أمل التعجيل بانهياره وتعزيز مكانة الولايات المتحدة ودورها في منطقة الخليج والعالم.
- إدارة الأزمة على النحو الذي يمهّد الطريق أمام وضع أسس نظام شرق أوسطي جديد تصبح إسرائيل طرفاً رئيسياً فيه من خلال تعميم التسوية السلمية وتفعيلها.

ولقد نجحت الولايات المتحدة في:

- تجميد الأموال العراقية.
- إنقاذ أمير الكويت وجميع أعضاء العائلة الحاكمة وتشكيل حكومة كويتية في المنفى.
- الحصول على موافقة السعودية لاستضافة قوات أميركية ضخمة على أراضيها تحسّباً لاحتمال مواجهة عسكرية.
- إرسال الدول العربية لقوات عسكرية إلى السعودية في موازاة القوات الأميركية.

- إبعاد إسرائيل من ان تصبح طرفاً مباشراً في الأزمة حتى ولو تعرّضت لهجوم، ذلك ان اشتراك اسرائيل يشكّل حساسية كبيرة لدى التحالف العربي الأميركي، لا بل يهدده بالانفراط.
- إقناع الرأي العام الأميركي والكونغرس بالمساندة والدعم لأي عمل عسكري تقوم به الولايات المتحدة حفاظاً على مصالحها في الخليج.
- تأمين غطاء قوي من الشرعية الدولية ومجلس الأمن.
- الحصول على تأييد المملكة المتحدة البريطانية التي وقفت بقوة إلى جانب الولايات المتحدة في كلّ القرارات المتخذة وكانت استراتيجية بريطانيا تقوم على أساس التكامل والتضامن مع أميركا لتحقيق مصالحها. وكانت أميركا بحاجة إلى الدور البريطاني لعرقلة أي دور أوروبي مناهض للسياسة الأميركية.
- وفيما خصّ الموقف الفرنسي، فكانت فرنسا تدرك انها لا تستطيع وليس من مصلحتها ان تتحدى الولايات المتحدة بشكل سافر، ولذلك خضعت سياستها لعوامل شدّ وجذب كثيرة ناجمة عن رغبتها في تحقيق أهداف بدا الجمع بينها صعباً للغاية، فهي مضطرة لإدانة الغزو من جهة والحث على عدم اللجوء للقوة من جهة ثانية، وهذا ما جعل سياسة فرنسا تتسم بالتردد والغموض.

٣ - موقف إيران من الأزمة:(١)

لأول وهلة بدا الغزو العراقي للكويت من منظور إيران وكأنه منحة هبطت من السماء على طهران لتعويضها سنوات عجاف من الحرب مرّت بها. لكن سرعان ما تبيّن للقيادة الإيرانية أن الأزمة أعمق من أن ينظر إليها من خلال هذه الرؤية القدرية المبسّطة. فها هي جيوش الولايات المتحدة تزحف على المنطقة حاملة معها مخاطر سيطرة أميركية مباشرة على منطقة الخليج وكانت الولايات المتحدة ما تزال في نظر الإيرانيين الشيطان الأكبر.

(١) حرب الخليج، أوهام القوة والنصر، القاهرة، هيكل، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٢.

نتيجة لذلك انقسم الرأي في إيران تجاه ما جرى ويجري باتجاهات ثلاثة:

١ - الاتجاه الأول يرى أن إيران يتعيّن عليها أن تقف إلى جانب صدام حسين وتساعده على إلحاق الهزيمة بالولايات المتحدة التي تعتبر العدو الأساسي والعقبة الكبرى أمام انتصار الثورة الإسلامية.

٢ - الاتجاه الثاني يرى ان إيران يتعيّن عليها ان تساعد دول التحالف المناهض للعراق لإزاحة صدام حسين لأنه العدو الأقرب والأشرس لإيران. ذلك أن إيران تعتبر أن إزاحة صدام حسين يتيح لها ان تلعب دوراً كبيراً ونافذاً في المنطقة.

٣ - الاتجاه الثالث يرى أن إيران يتعيّن عليها أن تقف موقف الحياد.

وقد عبّر أحمد خاميني ابن الزعيم الروحي للثورة آية الله الخميني عن هذا الانقسام بالرأي معرباً عن انحيازه إلى التيار الثالث الذي تبنّته إيران في نهاية المطاف. وقد أدركت إيران أن جميع الأطراف ستتسابق على كسب ودها واستمالتها. وكانت المفاجأة إعلان صدام حسين في منتصف آب من العام ١٩٩٠ قبول ما لم يكن مستعداً لقبوله من قبل على الإطلاق. وقدّم تنازلات ضخمة لإيران تمثّلت بالاستجابة لجميع الشروط الإيرانية الخاصة بالانسحاب الفوري والشامل للقوات العراقية من الأراضي الإيرانية والاعتراف باتفاقية الجزائر الخاصة بترسيم الحدود. في المقابل سارعت دول التحالف لمنع تأييد إيران للعراق وعلى رأس هذه الدول سوريا التي تربطها علاقات خاصة بإيران.

وقد أدى الموقف الإيراني أثناء الأزمة إلى تمكين إيران من الحصول على مكاسب مباشرة بإقدام المجموعة الأوروبية على إلغاء العقوبات المفروضة على إيران وكذلك كسر العزلة الدبلوماسية المفروضة عليها.

ومن الجدير ذكره أن ظاهرة لجوء الطيران العراقي إلى إيران كانت مثار حيرة وتساؤلات من جانب العراقيين. وكان هناك من يعتقد بوجود ترتيبات واتفاقات بهذا الشأن، كما رأى البعض فيها بداية تمرّد في سلاح الطيران العراقي. لكن يبدو أن التفسير المنطقي والمعقول والأرجح هو أن القيادة العراقية تركت للطيارين حرية التصرّف بعدما تأمّنت سيطرة جوية كاملة

للحلفاء على الأجواء العراقية، وقد أرسلت الحكومة العراقية كتاباً رسمياً إلى إيران ترجوها فيه الاحتفاظ بالطائرات الهابطة فيها وديعة حتى نهاية الحرب.

٤ - الموقف الاسرائيلي:

بعد الاجتياح بقليل أقحم صدام حسين أو حاول إقحام إسرائيل في الأزمة لتكون طرفاً أساسياً عندما عرض مقايضة انسحابه من الكويت بانسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلّة العربية كجزء من صفقة لتسوية شاملة لكلّ مشكلات المنطقة. وعند اندلاع القتال تعمّد الرئيس صدام مهاجمة إسرائيل بالصواريخ في محاولة مكشوفة لاستفزازها ودعوتها لتصبح طرفاً مباشراً في النزاع. وليس من الصعب فهم مناورة الرئيس صدام حسين بتحويل الأزمة إلى أزمة عربية إسرائيلية بهدف كسب تأييد العرب الذين عبروا عن غضبهم من جراء إحتلال الكويت باستثناء الأردن وفلسطين واليمن والسودان.

ورغم الصواريخ التي سقطت في إسرائيل فقد فرض الأميركيون عليها الصمت واشترطت لقبوله أن تقبض ثمناً باهظاً جعلها من الناحية الفعلية أحد الرابحين للجوائز الكبرى في الأزمة. فإسرائيل هي صاحبة المصلحة الأكبر في تدمير الآلة العسكرية العراقية التي بدأت تتعاظم مع انتهاء الحرب الإيرانية العراقية. وإذا كان بعض الأطراف كان يسعى لالزام صدام حسين بالانسحاب السلمي من الكويت من دون إلحاق هزيمة بقواته العسكرية، فإن أطرافاً أخرى وعلى رأسها إسرائيل كانت تسعى وتعمل لإلحاق أوسع دمار ممكن بالعراق. ولا يخفى على أحد أن إسرائيل حاولت جاهدة لتكون طرفاً في التحالف الاقليمي الموجّه ضد العراق علّ ذلك يجعلها مقبولة في المنطقة من باب التقاء المصالح في لحظة معيّنة، غير أن الولايات المتحدة سارعت لدعوة شامير إلى واشنطن في كانون الأول من العام ١٩٩٠ وطلبت منه البقاء بعيداً عن التحالف والأزمة مهما حدث.(١)

(١) هيكل: حرب الخليج: أوهام القوّة والنصر، طبعة ١٩٩٢.

ثانياً – التحضيرات العسكرية لتحرير الكويت[1]

على أثر انعقاد مؤتمر القمة العربية يوم ٩ آب ١٩٩٠، عرض قرار تبنّته المملكة العربية السعودية ومصر ودول مجلس التعاون الخليجي لنشر قوات عربية في الخليج ودعوة الغرب لإرسال قوات عسكرية إلى المملكة للدفاع عنها. وحاول العراق ومؤيدوه عدم إجازة هذا القرار وأطلق العراقيون الشتائم والتهديدات، وفي نهاية الأمر صوتت ١٢ دولة إلى جانب القرار وهي: المملكة العربية السعودية، الكويت، الإمارات العربية المتحدة، قطر، سلطنة عمان، البحرين، المغرب، الصومال، جيبوتي، مصر، لبنان وسوريا. وصوت ضد القرار العراق، ليبيا وفلسطين وامتنع عن التصويت الجزائر واليمن وتحفظ عليه السودان والأردن وموريتانيا وغابت تونس عن المؤتمر.

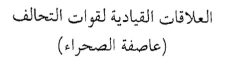
وبحلول منتصف شهر أيلول عام ١٩٩٠ كان ما يزيد على مئة ألف جندي أميركي قد وصلوا إلى المملكة. وقد أثار التدخل الأميركي العسكري بعض الانتقادات من معلقين أميركيين وأوروبيون حول أهداف التدخل: فهل الهدف الأساسي هو الدفاع عن المملكة؟ أم تحرير الكويت من القوات العراقية ومعاقبة العراق؟ أم استمرار تدفّق النفط من الشرق الأوسط إلى الغرب؟ أم تدمير الآلة العسكرية العراقية ولاسيما قدراته الكيمائية و«النووية»؟ ولتحديد الهدف الحقيقي كان على بوش ومعاونيه تقديم أسباب مقنعة يقبلها الشعب الأميركي ويقتنع بها ويوافق عليها.

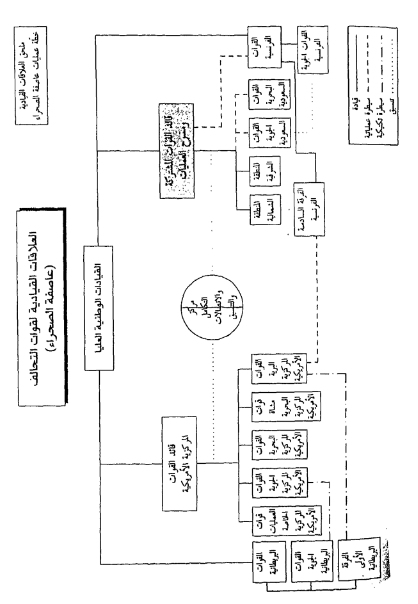
هناك عامل كان خافياً على الرأي العام بصورة إرادية لعدم فضح خطة الخداع التي رسمتها دول التحالف. فقد كان لهذه الخطّة عنصران بارزان هما: إخفاء النوايا الحقيقية والأهداف النهائية للتحالف عن الرئيس صدام، وثانيهما المبالغة في تضخيم قوته في التصريحات الرسمية لكي يتكوّن لديه إحساس زائف بالأمان. وقد كان ذلك سبباً لترويج الاكذوبة التي تقول: «إننا

---

(١) مقاتل من الصحراء، خالد بن سلطان بن عبد العزيز، المرجع نفسه.

ملحق العلاقات القيادية خطّة عمليات عاصفة الصحراء

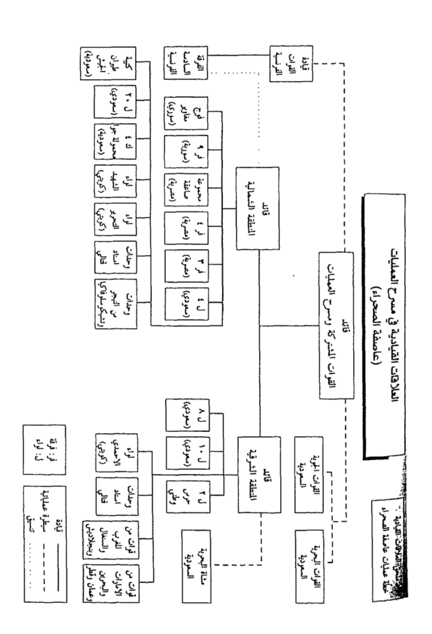




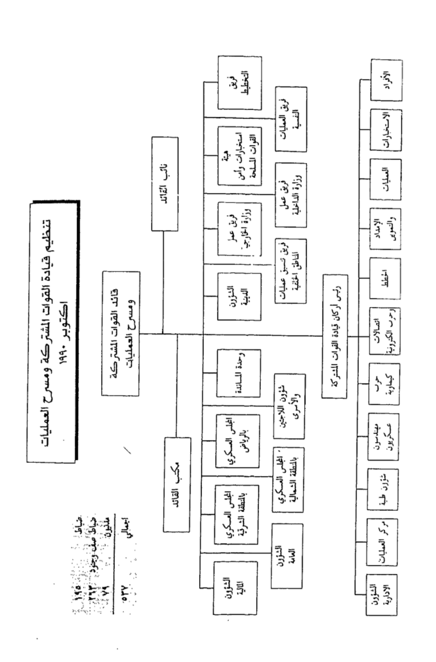
(١) مرجع الخطيطات: مقاتل من الصحراء، الأمير خالد بن سلطان عبد العزيز، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٥.

ملحق العلاقات القيادية خطّة عمليات عاصفة الصحراء

العلاقات القيادية في مسرح العمليات
(عاصفة الصحراء)

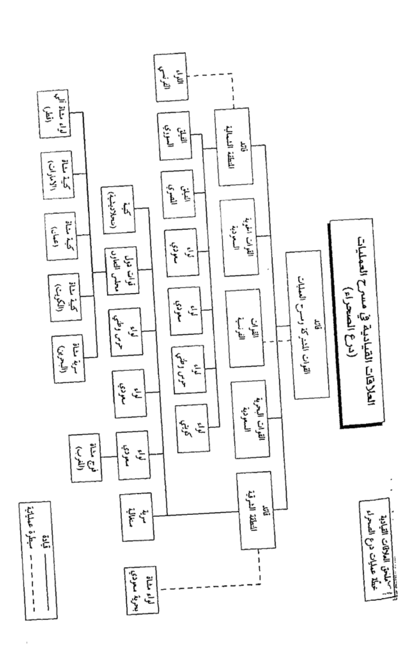


تنظيم قيادة القوات المشتركة ومسرح العمليات اكتوبر ١٩٩٠



ملحق العلاقات القيادية خطّة عمليات درع الصحراء

العلاقات القيادية في مسرح العمليات
(درع الصحراء)



نتصدّى لرابع جيش في العالم». والجيش الـذي وصـفـه ديك شـيـنـي بـأنـه «جيش متمرّس بالقتال قوامه مليون ونصف المليون جندي و٥٠٠٠ دبابة و١٠٠٠ طائرة. كلّ تـلك الـتـصـريـحـات لم تـكـن سوى خدع حربـيـة لـيـنـعـم الـرئـيس صـدام بـالأمـان الزائـف.

ومع ذلك كلّه لم يكن أحد يعتقد ان الانتصار على العراق سيكون أمراً سهلاً. كـان هـنـاك خوف دائم من احـتـمـال لجوء الـرئـيـس صـدام إلى اسـتـخـدام الأسـلـحـة الكيماوية أو إلى شن غارات جوية إنتحارية على أهداف حيوية، مثل مصافي النفط أو السفن الحربية لقوات التحالف.

خـلال الـتـحـضـيرات الـعـسـكـريـة، كـان الهدف المعلن لقوات التحالف هو حماية المملكة العربية السعودية ليس أكثر مع مقولة أن اخراج العراق من الكويت يمكن أن يتم بالعقوبات الاقتصادية ولم يذكر أي شيء عن دخول الكويت.

أ - إنشـاء قـيـادات الـتـحـالـف العسكرية: الجنرال شوارزكوف:

وصـل الـفـريـق أول (الجنرال) نـورمـان شوارزكوف إلى المملكة العربية السعودية في ٢٦ آب عـام ١٩٩٠ لـتـولي قـيـادة الـقـوات الأميركية التي كانت تتدفّق جواً وبحراً إلى المملكة.[١]

وفي كـتـابـه مـقـاتـل من الصـحـراء يصف الأمير خـالـد بـن سـلـطـان (فـريق أول ركـن سـعـودي) والـذي أنشأ قيادة موازية لقيادة الـتـحـالـف، يصـف شـوارزكـوف فـيـقـول: «اسـتـقـبـلـتـه في المطار، وكان مظهره يوحي بالثقة والنشاط. وتنطبع على وجهه سمات الود والألفة مما جعله يبدو قائداً حقاً. وقد ترك مظهره وسلوكه في نفسي إنطباعاً حسناً. ويتابع الفريق أول سلطان قائلاً: «هذا الرجل الذي قدر له أن يكون أقرب زميل لي طوال سبعة أشهر، أدرك وأنا معه، أن نجاح العلاقة بيننا سيؤثّر إلى حدّ بعيد في نجاح المهمّة التي أنيطت بنا والتي كانت تتمثّل في الدفاع عن

(١) مقاتل من الصحراء، الأمير خالد بن سلطان بن عبد العزيز، ١٩٩٥، دار الساقي.

المملكة وإخراج صدام من الكويت وإعادة حكومتها الشرعية والقضاء على التهديد العراقي لمنطقة الخليج، وكنا معاً نمثّل الجانب التنفيذي للتحالف السعودي - الأميركي الذي صاغه زعيما البلدين الملك فهد والرئيس بوش.

ويتابع الفريق أول سلطان بن عبد العزيز يقول: «كنت أعرف عن شوارزكوف الكثير حتى قبل وصوله إلى المملكة. فقد تخرّج من وست بوينت، وهي أكاديمية عسكرية، ضابطاً في سلاح المشاة، وحصل على الكثير من الأوسمة. وقد خدم مرتين في فيتنام وتولى قيادة إحدى الفرق. ثمّ احتلّ منصباً رفيعاً في وزارة الدفاع الأميركية. ومنذ تشرين أول ١٩٨٨ شغل منصب قائد القيادة المركزية الأميركية التي تمثل استعداد أميركا للدفاع عن مصالحها في الخليج بالقوة إذا دعت الضرورة وذلك من مقرّها في قاعدة ماكديل Mac Dill الجوية على مقربة من تامبا في ولاية فلوريدا. ومع أن شوارزكوف كان مهذّباً إلى أبعد الحدود إلاّ أنه قد يتحوّل كما قيل لي إلى شخص عنيد وينفجر غضباً في بعض الأحيان. وكانت سمعته في تشبّثه برأيه وحرصه على الحصول على ما يريد قد سبقته وهو معروف بين رجاله باسم «الدبّ».

ويقول الأمير خالد: رأيت نفسي كثير الشبه بخصال الجنرال شوارزكوف، فكلّ منا معتد بنفسه، حساس، سريع الغضب، ميال إلى السيطرة. أمّا من الناحية البدنية، فكلانا ممتلىء الجسم وأكثر من ١٨٠ سنتم طولاً، كما أننا أعسران. امّا مظاهر الاختلاف بيننا، فكان أهمها أنه كان في السادسة والخمسين من عمره بينما كنت في الثانية والأربعين. كان هو برتبة فريق أول وكنت أنا برتبة فريق. كان في وسعه الاعتماد على مؤسّسة عسكرية ضخمة، أما أنا فلم يكن لدي سوى تنظيم عسكري في طور التكوين. كانت لديه خبرة حروب كثيرة، أمّا أنا فكانت هذه خبرتي الأولى. عندها أدركت فوراً أنه كان عليّ ان أبذل جهوداً جبارة كي أرسي قيادة توازي قيادته.

وخلال عملنا المشترك، يتابع الأمير خالد، ساد الوئام غالباً، عملنا سوياً، اختلفنا أحياناً واضطررنا إلى التفاوض أحياناً أخرى لنصل إلى حلّ وسط. لم يكن شوارزكوف رجلاً يسهل التعامل معه، فما أكثر

الخلافات التي حدثت بيننا من وقت لآخر، ولكنها لم تكن لتدوم طويلاً. ثمّ أصبحنا صديقين نتبادل الاحترام.

هكذا سارت الأمور بيني وبين شوارزكوف على هذا المنوال، فطوال فترة الأزمة كان يحضر إلى مكتبي الساعة الرابعة من عصر كلّ يوم، فنجتمع لمدّة تتراوح بين ٤٥ دقيقة وساعة لمراجعة استعداداتنا للحرب ووضع الحلول المناسبة للمشاكل التي تعترضنا. وأثناء حديثنا كنا غالباً نتناول الكعك السعودي الذي كانت تعدّه لي عمّتي الأميرة نوف بنت عبد العزيز ونحتسي القهوة الخالية من السكر وهي إشارة صغيرة إلى ان كلينا يعاني من زيادة في الوزن.

ب - إنشاء القيادة الموازية: (قيادة القوات المشتركة)

بعد وصول القوات الأميركية والعربية إلى المملكة، ظهرت تكهّنات كثيرة في الصحافة العالمية حول مسألة القيادة والسيطرة؛ كانت وسائل الاعلام تريد أن تعرف من الذي سيصدر الأوامر. ومن الواضح أن فكرة القيادة الموازية استغرق فهمها بعض الوقت.

ولا غرابة في ذلك، لأن الفكرة نفسها كانت فريدة من نوعها. فلم تكن القوات الأميركية لتقبل أن تعمل تحت إمرة القيادة السعودية، وبالمقابل لم تكن القوات السعودية ولا العربية لتقبل بتنفيذ الأوامر الأميركية. لذلك كان المطلوب إيجاد صيغة جديدة للقيادة.

وكانت مهمة هذه القيادة التي تولى قيادتها الفريق خالد بن سلطان حلقة الوصل بين سلطات القيادة الوطنية السعودية وبين القوات العربية والصديقة بما في ذلك القوات الأميركية، وتتلخص مهمّة القيادة الموازية بأربعة محاور أساسية:

- **المحور الأول:** ذو طبيعة عسكرية ويقتضي بحشد القوات السعودية على الجبهة بمواجهة العراقيين خلال الفترة الفاصلة بين الغزو ووصول قوات التحالف. وقد تمركزت القوات السعودية في الخطوط الأمامية ثمّ جاءت القوات المصرية والسورية والقوات الأخرى لتتمركز في خط الدفاع الثاني على بعد ٥٠ كلم من الجبهة، بينما تمركزت الوحدات الأميركية بعد وصولها في الخطوط الخلفية.

وفور حصول الاجتياح وضعت الخطط الدفاعية وكانت قائمة في الأساس على القوات السعودية التي تمّ تعزيزها بعد فترة قصيرة بوحدات مصرية وسورية ومغربية. وبعد وصول القوات الأميركية والبريطانية والقوات الأخرى إلى المملكة باشرت القيادات المعنية بوضع خطة «درع الصحراء». وتمّ الاتفاق في صورة مشتركة على فكرة العمليات، واستخدام القوات، ومناطق المسؤوليات للوحدات والتشكيلات العربية والمتحالفة، وقواعد الاشتباك، وبرامج التدريب المشترك، إضافة لأمور أخرى. وكان على قائد القيادة الموازية، الأمير خالد بن سلطان، أن يتولى أمر وحدات وتشكيلات حوالي ٢٥ دولة من الدول التي وافقت على إرسال قوات إلى المملكة، بينما تولى الجنرال شوارزكوف قيادة قوات من ١٢ دولة. وبلغة الأرقام فإن عدد الجيوش التي كانت بإمرة الفريق خالد تعدّت الـ٢٠٠ ألف رجل تقريباً، بينما كان بامرة الجنرال شوارزكوف أكثر من نصف مليون جندي.

- **المحور الثاني**: كان مجال مسؤولية القيادة الموازية ينصب أيضاً على الامداد والتموين. إذ يلزم توفير الاحتياجات لقوات التحالف جميعها بدءاً من الطعام الساخن، مروراً بتأمين ١٠ آلاف شاحنة لنقل الجنود، انتهاءً بتجهيز بعض الوحدات التي وصلت إلى المملكة من بلادها، وليس لديها أكثر من الملابس التي كانت ترتديها.

وكانت مهام التموين والامداد لقوات التحالف تقع على عاتق الدولة المضيفة بشكل رئيسي وخاصة الطعام والشراب وأماكن الإيواء وخدمات أخرى كثيرة.

ومن أجل تسهيل ذلك طلب الأمير خالد بن سلطان صلاحيات استثنائية تمّ الموافقة عليها بالتعاون مع الوزارات والأجهزة الحكومية المختصّة.

- **المحور الثالث**: انصبّ هذا المحور على ضمان الانسجام السياسي بين أعضاء التحالف، نظراً لما لها من انعكاسات على العلاقات بين الوحدات والتشكيلات لمختلف الدول التي اجتمعت في المملكة. وقد بدا هذا الأمر من السهولة بحيث لم تحدث مشاكل تذكر في هذا المجال، ويعود الفضل في ذلك إلى الانسجام السياسي

الـذي سـاد عـلـى مسـتـوى رؤسـاء الـدول المشاركة بالتحالف.

- **المحور الـرابـع:** المسؤولية الرابعة والأخيرة للقيادة الموازية كما وصفها قائد هـذه الـقيـادة الأمير خـالـد:[١] «تلخّصت مسؤوليـتي الـرابعـة في حـمـايـة عـقـيـدتـنـا وسيادتنا وثقافتنا وتقاليدنا من استباحتها أو انتـهـاك حـرمتـهـا من جانب القوات التي قدمت لمساندتنا. كنت مسؤولاً أمام قادتنا وأمام المملكة كلّها، على أن تتم الأمور في النهاية بالصورة الصحيحة وبالأسلوب الذي يرضينا.

لذلك، كان ينبغي عليّ التأكّد من ان الجنرال شوارزكوف يتفهّم الظروف والقيود التي اعمل في إطارها. ولو لم أكن يقظاً تماماً لما يفعله هو وجنوده ولو لم أضع حداً لما قد يـحـدث مـن تجاوزات لأدّت الضـغـوط الـداخلـيـة إلى إنـهـيـار العلاقة بين المملكة والـولايـات المتحدة وبريطانيا وفرنسا. لقد كانت لدي خبرة كافية بالغرب وبالجيوش الغربية، وهذا ما جعلني أقدّر حاجاتها وأفهم أسلوبها في الحياة، ولكن في الوقت نفسه، كان من واجبي أن أقيم الحدود التي تفرضها عقيدتنا وتقاليدنا. كانت تلك الحدود بمثابة «خطوط حمراء» لا يمكن تجاوزها في أي حال من الأحوال، للحفاظ على وحدة البلاد وسلامتها.

ج - التدريبات المشتركة:

كـان مـن الضـروري لخلـق حـالـة مـن الانسـجـام بين الـقـوى الـعسـكـريـة المختلفة الآتية من بلدان مختلفة وثقافات مختلفة ومدارس عسكرية متباينة، إجراء تدريبات مشتركـة فـيـمـا بـيـنـهـا. وقـد جـرت هـذه التدريبات على مستوى لواء وكتيبة، وليس على مستوى سرية أو فصيلة.

ولـكـن المشـكـلـة كـانـت تـكـمـن في أن القوات السعودية ومعظم القوات العربية لم تـكـن لـهـا خبرة بالاسناد الجوي القريب. ورغـم ذلك أراد الأمير خـالـد أن تـكـون التدريبات واقعية وأقرب ما تكون إلى ظروف المعركة الحقيقية مع استخدام الذخيرة الحية.

---

(١) مقاتل من الصحراء، الأمير خالد بن سلطان، طبعة ١٩٩٥.

وقد اتخذت كافة الاحتياطات اللازمة لتفادي الخسائر البشرية تجنّباً لأية دعاية معادية قد تستغل هذا الأمر لتلفيق الأكاذيب والأقاويل مثل: «اشتباكات بين صفوف القوات المتحالفة، ظاهرة الانتحار، ظاهرة عدم الرغبة في القتال، الخ.».

وفي هذا المجال، أعطيت الأوامر إلى الطيارين بإلقاء قنابلهم على مسافة ٣٠٠م. إلى ٤٠٠م. من الحد الأمامي للقوات المتدرّبة. وقد تمّت التدريبات بكفاءة وسارت الأمور على ما يرام.

وباعتراف الأمير خالد بن سلطان، فقد ساهمت هذه التدريبات المشتركة بتقوية العلاقات الدفاعية بين الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية، لأن تلك العلاقات، كانت قبل حرب الخليج، متحفّظة تجنّباً لإثارة الرأي العام العربي بسبب الصلة الوثيقة بإسرائيل من قبل أميركا.

ومن ثمار حرب الخليج أن الشركات الأميركية البارزة والمعنية بشؤون الدفاع، وكذلك سلاح المهندسين الأميركي، قد قاما بدور رئيسي في بناء البنية الأساسية الدفاعية للمملكة.

د - الحماية المباشرة للقيادة في الرياض:

أبدى الجنرال شوارزكوف إلى الفريق خالد رغبته في نشر لواء أميركي في مدينة الرياض نفسها لحماية القيادة الأميركية تجنّباً لأي مشاكل أو مفاجآت غير سارة خاصة وان جيوش الرئيس العراقي لا تبعد عن الرياض سوى مسيرة بضعة أيام. وقد تمركز اللواء بالفعل في مزرعة تسمى «الثمامة» تبعد عن الرياض حوالي ٦٠ كلم، وهذه المزرعة كانت تابعة للملك خالد قبل وفاته ثمّ تحوّلت إلى منتزه عام بعد وفاته. وهي تتألّف من مباني عدّة وحدائق ومدرجاً صغيراً للطائرات ولا تبعد أكثر من نصف ساعة بالسيارة عن الرياض. وقد ظلّ هذا اللواء الأميركي في المزرعة حتى آخر الأزمة. وغادر أفراده الرياض بعد انتهاء الحرب من دون أن يطلقوا رصاصة واحدة.

وبالنسبة للحماية الشخصية للجنرال شوارزكوف، فقد كان الخوف من وقوع أعمال إرهابية بتحريض من العراق: كمائن سيارات مفخخة، عبوات ناسفة، هجومات انتحارية، دافعاً كبيراً لإحاطة نفسه بشبكة

من الأمان. فقد أحاط شوارزكوف نفسه بقدر كبير من احتياطات الأمن الظاهرة للعيان.

كانت في صحبته حضيرة من الجنود وعدد من رجال الأمن بالملابس المدنية يرافقونه أينما ذهب وأسلحتهم جاهزة على الدوام. فقد كان ينطلق عند خروجه من وزارة الدفاع في قافلة من السيارات المملوءة بالرماة المهرة. والغريب بالأمر ان هذا الأمر قد أثار حفيظة الأمير خالد بن سلطان الذي كان يتنقّل بحراسة اثنين فقط من جنوده، فخاف كما يقول في كتابه، ان ينظر الناس إلى الأمر وكأن الجنرال شوارزكوف هو القائد الفعلي للقوات المتحالفة، فشكّل جهازاً للحراسة الشخصية يماثل ما لدى شوارزكوف إن لم يكن يتفوّق عليه، حتى أنه أرسل بعضهم للتدرّب في الخارج على حماية الشخصيات. وفي هذا المجال يقول الفريق خالد بن سلطان «عندما شاهدني الناس وفي رفقتي تلك القوة المسلّحة المتطوّرة ظنوا أنني أسعى للتباهي والظهور، حتى قال بعضهم ومن بينهم عدد من ضباط أركاني: «لماذا يحتاج إلى عشرة رجال، خمسة في المقدّمة وخمسة في المؤخّرة وجميعهم مسلّحون بالرشاشات، للانتقال من مكتبه إلى غرفة العمليات. لقد فعلت ذلك لأني قدرت ضرورة ان يرى الجميع انني قائد لا يقل مكانة عن الجنرال شوارزكوف».

كما اتخذ شوارزكوف تدابير أمنية خاصة في مركز قيادته في وزارة الدفاع في الخارج والداخل وفي المصاعد وفي كلّ مكان. كما وضع فريقاً مشتركاً من الجنود الأميركيين والسعوديين في «الغرفة الحصينة» على عمق خمس طوابق تحت سطح الأرض أسفل وزارة الدفاع السعودية.

ورغم ان السعوديين عرضوا على شوارزكوف فيلا ضخمة وآمنة لإقامته الطويلة في الرياض، إلاّ أنه فضل الإقامة والنوم في غرفة صغيرة الحجم بسيطة الأثاث وتقع في جوار مكتبه في الطابق الرابع من الوزارة. في الواقع لقد كانت مخاوف شوارزكوف تتعدى ما يمكن ان يفعله صدام وقواته، فقد كان في داخله هاجس ردات الفعل السعودية المعادية لوجود قوات أجنبية في المملكة. وقد كانت قد وقعت في جدة حادثة حين تعرّضت

حافلة تنقل جنوداً أميركيين لوابل من النيران، مما أسفر عن إصابة اثنين من الجنود بجروح طفيفة.

ومن بين الأمور التي كانت موضع خوف من إثارة حساسيات بين القوات الأميركية والشعب السعودي أو استفزازات تؤدّي إلى حوادث، الاختلافات والتباينات في العادات والتقاليد والسلوك المتبع. فعلى سبيل المثال، تحتم تقاليد السعودية ارتداء المرأة الحجاب في الأماكن العامة والالتزام بمظاهر الحشمة والوقار. وليس ثمة مجالات تمارس فيها المرأة السعودية العمل سوى الطب والتعليم بالاضافة إلى أنه لا يسمح لهن بقيادة السيارات. فكيف إذاً التعامل مع عشرات الألوف من المجندات الأميركيات اللواتي قدمن مع القوات الأميركية.

كانت المجندات الاميركيات يعملن في مختلف المجالات: سائقات، فنيات، ممرّضات، ومسؤولات عن أعمال الامداد والتموين. وقد طلب الفريق خالد بن سلطان من الأميركيين ان لا يسمح للنساء بقيادة السيارات إلاّ بالزي العسكري وأثناء قيامهن بمهام عسكرية فقط. ولم تمانع النساء الأميركيات أو زميلاتهن البريطانيات بهذه القيود، لا بل كنّ متحمّسات لاحترام التقاليد السعودية.

كما ذكر الجنرال شوارزكوف في مذكراته أنه حاول يوماً إبلاغ السعوديين، وجرياً على العادة الأميركية، بمجيء الممثل الأميركي بوب هوب وفي صحبته الممثلة الأميركية بروك شيلدز ومجموعة من المغنيات والمشجعات من تكساس، للترفيه عن الجنود الأميركيين وتشجيعهم. فلم توافق المملكة إلاّ على الممثل بوب هوب، كما رفضت في البدء إعطاء تأشيرة دخول لابنته ثمّ عادت وتراجعت بعدما تبيّن ان الابنة هي في الخمسين من العمر.

ويسجّل الأمير خالد للجنرال شوارزكوف تفهّمه العميق لمبدأ عدم السماح تحت أية ذريعة بتناول المشروبات الروحية من قبل جنوده. لقد ذهب شوارزكوف أبعد من ذلك حيث منع هذه المشروبات حتى في المعسكرات المقفلة.

هـ - القوى المتحالفة:[1]

١ - القوات المصرية:

تعتبر مصر من أهم الدول العربية والإسلامية التي أرسلت قوات إلى المملكة. وقد أرسلت وحدات متقدمة من أفواج القوات الخاصة فور الإعلان عن الغزو. وبوصول هذه الوحدات جواً، تكون القوات المصرية من أولى القوات التي وصلت إلى الأراضي السعودية. غير أن تلك القوات كانت خفيفة التسليح ولم يكن باستطاعتها صد أي هجوم مدرّع. لذلك سوف تكلّف بالقيام بعمليات خلف خطوط العدو.

وبعد فترة وجيزة وصلت إلى المملكة الفرقة الثالثة مشاة آلية ولواء مدفعية ميدان، ثمّ تبعتها الفرقة الرابعة المدرّعة، وهي من أفضل الفرق في القوات المسلّحة المصرية. وقد كان على رأس القوات المصرية في السعودية اللواء أركان حرب محمد علي بلال خلال مرحلة الاعداد لعملية «درع الصحراء». ولم يبد قائد القوات المصرية أية اعتراضات للعمل تحت القيادة السعودية.

لم ترسل مصر وحدات جوية في صحبة قواتها البرية لتأمين الغطاء الجوي لتحرّكاتها. ويعود الأمر في ذلك إلى كثرة الاسراب الجوية التي وصلت من دول أخرى ومخافة من إحتمال وقوع مصادمات جوية ومشاكل في القيادة والسيطرة.

في هذه الأثناء وقبل البدء بالعمليات الحربية، وصل اللواء أركان حرب صلاح حلبي واستلم أمرة القوات المصرية في السعودية بدلاً من اللواء أركان حرب محمد علي بلال.

وقد جرى نقل القوات المصرية إلى المملكة بسفن أمنتها المملكة عبر البحر الأحمر على أن تجري حمايتها من قبل القوات الأميركية ضد أي هجوم عليها من قبل العراق أو إسرائيل وفق المخاوف التي أثارها المصريون. وقد حصل حادث أمني خلال عملية النقل، إذ تعرّضت إحدى السفن بعيد أقلاعها إلى نيران جوية تبين أن

(١) حرب الخليج، الملف السري، المرجع السابق.

مصدرها الطائرات الأميركية المكلّفة بالحماية وبنتيجة الخطأ. ومن الواضح أن الطائرات الأميركية فتحت النيران على السفن لعدم تمكّنها من تحديد هويتها، أو ربما أطلقت طلقات تحذيرية مما حمل السفن إلى العودة إلى مصر ولم تعاود رحلتها إلاّ بعد أيام ووصلت إلى ميناء ينبع في السعودية.

وقام الرئيس حسني مبارك بزيارة المملكة في ٢٢ تشرين أول لتفقد قواته.

٢ - القوات السورية:

أوفد الرئيس حافظ الأسد، بعد غزو العراق للكويت بوقت قصير العماد علي أصلان نائب رئيس الأركان السوري للعمليات ليناقش مع السعوديين ما يمكن أن تقدّمه سوريا لتعزيز دفاعات المملكة مع إبداء رغبة سورية بعدم العمل بالقرب من القوات الأميركية وبالأخص عدم العمل تحت الامرة الأميركية. فالقوات السورية تقبل بالعمل تحت أمرة قائد سعودي ولا أحد سواه.

وصلت وحدة من القوات الخاصة السورية إلى المملكة بعد فترة وجيزة من زيارة العماد أصلان. ثمّ تبعتها بأسابيع عدّة الفرقة التاسعة المدرّعة بعدما تأمن لها السفن وشاحنات النقل وأماكن الإيواء وبعض الاحتياجات الأخرى.

وقد أبحرت السفن التي تحمل القوات السورية تحت الحماية الجوية الأميركية ووصلت إلى ميناء نيبع في الرابع من تشرين الثاني ١٩٩٠. وقد كانت الدبابات التي تتألف منها الفرقة من نوع T-62 القديمة وليس T-72 الحديثة. ويعود السبب في ذلك إلى أن السوريين كانوا قد حشدوا فرقتين على الحدود العراقية لمواجهة أية مغامرة يمكن أن يقدم عليها العراقيون ضد سوريا نظراً لموقفها المساند للكويت.

وضعت الفرقة المدرّعة السورية، في بداية الأمر، غرب مشاة البحرية الأميركية (أي إلى ميسرتهم) التي كانت متمركزة بين الشمال والشرق.

وبعد ذلك بفترة وجيزة استبدل مكان التمركز وتبادلت الفرقة السورية مواقعها مع الفرقة المصرية التي كانت بعيدة عن القوات الأميركية فارتاح السوريون كما شعر الأميركيون براحة أكبر نظراً لسهولة التعامل

مع المصريين الذين أجروا تدريبات مشتركة مع الأميركيين، إضافة إلى ان الدبابات السورية تذكر الأميركيين بالدبابات العراقية التي يتحضّرون للانقضاض عليها.

كان على رأس القوة السورية في السعودية اللواء الركن علي حبيب الذي أصبح اليوم رئيس أركان الجيش السوري. وقد أبدى تحفّظه تجاه اشتراك القوات السورية بمحاربة العراقيين أو الدخول إلى الأراضي العراقية وهو يفضل أن تبقى مهمة السوريين الدفاع عن المملكة. ولذلك تمركزت تلك القوات في المنطقة الشمالية على بعد ٥٠ كلم من خط المواجهة حيث أعطيت مهمة دفاعية بحتة. وكانت القوات السورية على درجة عالية من التدريب والكفاءة ولديها أوامر صريحة بالقتال حال تعرّضها للهجوم وفقاً لشهادة الفريق الأمير خالد بن سلطان في كتابه «مقاتل من الصحراء». وتجدر الإشارة إلى أن السوريين شاركوا في تحرير الكويت ولكنهم لم يدخلوا الأراضي العراقية.

لم يحضر السوريون معهم طائرات، شأنهم في ذلك شأن المصريين، ولكنهم كانوا مزوّدين بصواريخ أرض - جو ومدافع مضادة للطائرات لتدافع بها عن نفسها ضد أي هجوم جوي عراقي محتمل.

٣ - القوات المغربية:

كانت القوة المغربية وقوامها ١٢٠٠ جندي من أولى القوات التي وصلت للمملكة وكان جنودها من أفضل الجنود المتمرّسين بحرب الصحراء. وقد خصصت لها نقطة دفاعية حصينة في السفانية بالقرب من رأس مشعاب، لتسيطر على طرق الاقتراب إلى الحقول النفطية.

عند التخطيط لعملية عاصفة الصحراء تقرر نشر بعض القوات في المواقع الدفاعية نفسها التي كانت تتمركز فيها القوات المعدّة للهجوم. وقد أسندت هذه المهمة إلى القوات المغربية حتى لا تضطر للدخول إلى الكويت.

٤ - القوات النيجيرية - السنغالية:

أرسلت النيجر والسنغال أيضاً وحدتين تتميزان بالانضباط الشديد بقيادة ضباط مدرّبين تدريباً عالياً. فالنيجر مثلاً أرسلت

٤٨١ رجلاً من جيشها الذي يبلغ عديده ٣٢٠٠ فرد. وخصصت لهذه الوحدة مهمة الدفاع عن نقطة حصينة بالقرب من مدينة حفر الباطن.

حرصت السنغال ذات الأغلبية المسلمة على الاشتراك بالدفاع عن المقدّسات الإسلامية رغم اشتراكها آنذاك بصراع دموي مع موريتانيا، جارتها بالشمال، والتي كان العراق يدعمها على ما يبدو. وهذا ما دفع رئيس هيئة الأركان في السنغال إلى الاعلان ان أمن المملكة من أمن السنغال.

أرسلت السنغال كتيبة واحدة من ٥٠٠ فرد مزوّدين بأسلحتهم الفردية فقط. وقد تمّ نقل الكتيبة بطائرتي بوينغ ٧٤٧، وخصصت لها الدفاع عن نقطة حصينة عند ميناء رأس مشعاب إلى جوار القوات المغربية وكان على رأس هذه الكتيبة العقيد محمد وكيتا.

ولسوء حظ السنغاليين، فإنه قبل انتهاء الحرب بوقت قصير، في ٢١ شباط ١٩٩١ أصاب صاروخ عراقي من نوع فروغ Frog النقطة الدفاعية الحصينة للقوة السنغالية بينما كان أفرادها مجتمعين في الصباح لاستلام طعامهم من إحدى الشاحنات، فأصيب ثمانية منهم بجروح. ولكن الحادثة الثانية كانت أفظع من الأولى حيث لقي ٩١ سنغالياً حتفهم عندما تحطّمت طائرة نقل من نوع C-130 هيركليز كانت تقلّهم من مكة المكرّمة بعد اداء فريضة العمرة. وبالتالي تكون السنغال قد تحمّلت من الخسائر في حرب الخليج ما لم تتحمّله دولة أخرى في التحالف.

٥ - القوات التشيكية - البولندية - البنجلاديشية - الباكستانية:

أرسلت تشيكوسلوفاكيا وحدة كيماوية قوامها ١٨٠ رجلاً، وكانت المملكة بأشد الحاجة إلى مثل تلك القوات نظراً لتهديدات العراق المستمرة باستخدام الأسلحة الكيماوية والتي سبق واستعملها ضد إيران والأكراد. وقد تمركزت تلك الوحدة شمال حفر الباطن. وحددت مهمتها بالآتي:

- مراقبة احتمال استخدام الغازات الحربية.

- انذار القوات عند استخدام الغازات.
- تحديد نوع التلوّث والمناطق الملوّثة.
- تطهير الأفراد الذي يتعرّضون لخطر الإصابة وكذلك المعدات والأرض.

أما بولندة فقد أسهمت بسفينة مستشفى وسفينة إنقاذ وفريق طبي قوامه ١٥٢ طبيباً وممّرضاً. وكان لفريقها الطبي فائدة عظيمة في مستشفى الملك خالد العسكري في حفر الباطن. وقد حلّوا مكان الكثير من الممرّضات الأجنبيات اللواتي كن يعملن في المستشفيات السعودية وعدن لبلادهن خوفاً من الحرب. كما أرسل المجريّون فريقاً طبياً قوامه ٣٨ شخصاً بينهم أطباء اختصاصيون مهرة.

من جهتها ساهمت بنجلاديش في مجال الإمداد والتموين وأرسلت وحدات كفوءة من وحدات الاسناد.

أما باكستان التي ما انقطعت يوماً عن تقديم المساعدة العسكرية للمملكة، فقد أرسلت لواء لتعزيز المواقع الدفاعية على حدود اليمن، ثمّ انتقل اللواء فيما بعد للتمركز في مدينة عرعر الواقعة في أقصى الشمال الغربي.

٦ - القوات البريطانية:

بلغ عديد القوات البريطانية التي وصلت إلى مسرح العمليات في المملكة حوالي ٤٥ ألف رجل عملوا تحت إمرة الجنرال الأميركي شوارزكوف. وكانت القوات البريطانية بأمرة الجنرال السير بيتر لابليير. وقد حدّد شوارزكوف للقوات البريطانية التي تمركزت في أقصى الشمال مهمّة الهجوم المساند للهجوم الرئيسي الذي سينفّذ من قبل القوات الأميركية. غير أن البريطانيين رفضوا أن يكون لهم دور ثانوي في مهاجمة العراق وطلبوا أن تشترك الفرقة المدرّعة البريطانية الأولى بالضربة الرئيسيّة في الهجوم. لقد أراد البريطانيون عندما حشدوا قوات بهذا الحجم والذي يعد أكبر حشد خارجي بعد الحرب العالمية الثانية، أرادوا أن يروا قواتهم كجزء من القوات الرئيسية المهاجمة. وأخيراً كسب السير بيتر معركته مع شوارزكوف وتحرّكت فرقته المدرّعة غرباً واشتركت في نهاية المطاف في الهجوم الرئيسي على الأراضي العراقية تحت السيطرة التكتيكية للفيلق السابع الأميركي.

وقد تمركزت الطائرات الانكليزية الحربية (التورنيدو) في مطار تبوك وقاعدة الرياض الجوية.

٧ - **القوات الفرنسية:**

أسهمت فرنسا في قوات التحالف بعدد ٥٤ طائرة مقاتلة من نوع جاكوار وميراج F1 وميراج ٢٠٠٠، وبعدد ٦٠ طائرة عامودية هجومية وبعدد من القطع البحرية، وبفرقة مدرّعة خفيفة مجهّزة بدبابات AMX-10RC مدولبة، وهي قوّة مدرّبة ذات خفة حركة عالية وتكلّف عادة بتوجيه ضربات سريعة، قوية ومفاجئة إلى أجناب ومؤخرة العدو. اسندت قيادة القوات الفرنسية وقوامها ١٦٥٠٠ رجل في مسرح العمليات إلى الفريق ميشيل روكجوفر؛ وللفرنسيين قصة طويلة مع حرب الخليج، إذ إن وزير الدفاع جان بيار شفنمان كان متعاطفاً مع العراق ومعارضاً للتعاون مع الولايات المتحدة الأميركية، وقد ذكر في مذكّراته أن الولايات المتحدة الأميركية إنما تعمّدت أن تدفع العراق لاحتلال الكويت بهدف التخلّص من الرئيس صدام حسين، وبذلك يصبح صدام بنظر شفنمان ضحية مؤامرة وليس معتدياً.(١)

لذلك فقد عارض وزير الدفاع الفرنسي آنذاك أي عمل هجومي على العراق، وظلّ يضغط من أجل إطالة المفاوضات مع بغداد حتى اللحظات الأخيرة، ثمّ أصرّ على أن يكون الهدف النهائي من الحرب هو الدفاع عن المملكة العربية السعودية. وعندما كانت قوات التحالف تضع اللمسات الأخيرة على خطة عمليات عاصفة الصحراء، اعترض شفنمان على الحملة الجوية الاستراتيجية المقترحة ضد الأهداف العراقية.

بعد نشر القوات الفرنسية ازدادت العلاقة توتراً بين وزير الدفاع شفنمان والرئيس فرنسوا متران الذي بدا متفهّماً، لا بل مقتنعاً منذ البداية ان الموقف قد يتطلّب حلاً عسكرياً. كان الوزير حريصاً على ألاّ تتخذ القوات الفرنسية مواقع قريبة من القوات الأميركية أو تشترك معها في القواعد الجوية أو تعمل تحت إمرتها، ومما زاد الأمر

---

(١) Jean Pierre Chevènement: une certaine idée de la republique m'amène à Paris, 1992.

تعقيداً إصرار شفنمان على ألاّ تتحرّك القوات الفرنسية في المنطقة من دون الرجوع إليه شخصياً في باريس.

إزاء ذلك ظلّت القوات الفرنسية في ميناء ينبع طوال ستة أسابيع تنتظر حل الإشكالات المذكورة أعلاه. ثمّ زار رئيس الأركان الفرنسي الجنرال موريس شميت المملكة السعودية وتوصّل مع القادة السعوديين إلى تمركز الفرقة المدرّعة الخفيفة في مكان صحراوي شمال طريق التابلاين، على مسافة ٧٠ كلم من مدينة الملك خالد العسكرية، في مسرح عمليات قيادة القوات المشتركة العربية بإمرة الفريق الأمير خالد بن سلطان بن عبد العزيز.

أمّا بالنسبة للطائرات الفرنسية فقد أعطيت مطاراً مدنياً صغيراً في الاحساء شرقي الرياض وجنوبي الظهران.

ظلّ وزير الدفاع الفرنسي على تحفّظه من الحرب، ولما أصبح من المتعذّر التوفيق بين آرائه وآراء حلفاء فرنسا وزملائه في الحكومة الفرنسية، آثر الاستقالة بعد وقت قصير من الحرب وحلّ مكانه بيار جوكس وزير الداخلية آنذاك.

و - الاعداد اللوجستي: الجيوش تسير على بطونها:

خلال المعارك الطاحنة التي دارت في شمالي افريقيا، بين رومل ومونتغمري، إبان الحرب العالمية الثانية، قيل إن الصحراء جنة رجل التكتيك وجحيم رجل الامداد والتموين: جنة رجل التكتيك لأن الصحراء المفتوحة كانت مثالية لمعارك الدبابات الكبرى التي نشبت بين الفيلق الافريقي والجيش الثامن؛ وجحيم رجل الامداد والتموين لندرة المياه والمسافات الطويلة والتغطية الجوية المكشوفة.

أمّا حرب الخليج، فكانت جنة لرجال التكتيك في قوات التحالف، ولم تكن جحيماً على الإطلاق، لرجال الامداد والتموين، بل كانت أيضاً جنة لهم وفق ما ورد في كتاب «مقاتل من الصحراء» للفريق خالد بن سلطان. فالإمدادات وفيرة والتموين سخي، و«هي الحرب الأولى في التاريخ التي لم يفقد الجنود خلالها وجبة طعام واحدة».

ويعود الفضل في نجاح عملية التموين والإمداد إلى الدولة المضيفة المملكة العربية

السعودية والأموال الضخمة التي رصدت لهذه الغاية.

لقد قدّمت المملكة الطعام على نفقتها لأكثر من ٧٥٠ ألف جندي. وكانت القوات الأميركية، وحدها، تتزوّد يومياً بمليوني جالون من المياه. كما بلغت كمية الوقود التي استهلكتها القوات الأميركية يومياً نحو ٤،٥ مليون جالون، أي ما يعادل حمولة ٨٥٠ صهريجاً. وقد قال الجنرال ويليام باجوينس رئيس الامداد والتموين الأميركي «كان يمكن أن نواجه وضعاً في غاية الصعوبة لو ان البلد المضيف كان فقيراً، أو معادياً، أو كليهما.

تشكّل فريق الإمداد والتموين من ١٣٠ ضابطاً بقيادة العميد عبد العزيز الحسين المسؤول عن القوات الغربية، والعميد سالم عويمر المسؤول عن تلبية حاجات القوات العربية والإسلامية.

أمّا التحديات التي واجهت هذين الضابطين فتمثّلت بالآتي:

- تحضير أماكن إيواء لأكثر من ٧٥٠ ألف جندي.
- توفير السفن والطائرات لنقل القوات أو بعضها من بلدانها إلى السعودية.
- توفير وسائل النقل البرية (شاحنات وغيرها) لنقل القوات من المطارات والموانىء إلى أماكن الإيواء.
- توفير المياه والطعام وطرق نقلها والوسائل.
- تأمين قطع الغيار والذخيرة لبعض القوات.
- تأمين الوقود والسائقين والعمال.
- تأمين الاتصالات.

ولو لم تكن المملكة العربية السعودية لديها الخبرة الكافية بالتعامل مع أكثر من مليون حاج يؤمونها سنوياً من جميع أصقاع العالم، لما تمكّنت من استيعاب مثل هذه الاعداد الغفيرة من القوات بيسر وسهولة.

بالاضافة للتموين والإمداد العسكري، كان على المملكة حلّ مشاكل إيواء وإطعام حوالي ٣٦٠ ألف كويتي لجأوا إلى المملكة ابان الغزو العراقي.

وقد فوّض الملك فهد الأمير سلطان عبد العزيز وزير الدفاع صلاحيات مالية واسعة لشراء كلّ ما هو ضروري لعملية الاسناد الاداري والمعيشي، وبدوره فوّض الأمير سلطان الفريق خالد بن سلطان، ابنه، بعضاً من هذه الصلاحيات. وقد عمل في حقل

الإمداد أكثر من ٦٠٠ متعهّد ومقاول رئيسي أو فرعي، كلهم من السعوديين.

وقد استخدمت وسائل عديدة لتأمين الاحتياجات منها: عمليات الشراء المباشرة، المناقصات السريعة والفورية، استدراج العروض. وقد تمت عمليات التأمين وتحقيق الاحتياجات من السعودية وبلدان مختلفة مثل الولايات المتحدة، باكستان حيث كانت أسعار بعض السلع أقل بكثير من أسعارها في المملكة (الخيام من باكستان، وخزانات الوقود المطاطية من الولايات المتحدة).

ومما زاد في أعباء المهام المطلوبة من المملكة القرار الاستثنائي والكبير الذي اتخذه الجنرال شوارزكوف بتخزين إحتياجات تكفي لـ٦٠ يوماً بدلاً من ٣٠ يوماً موضوع قراره الأول. ويقول الأمير خالد بن سلطان إن هذا القرار كلّف المملكة مليارات الدولارات. وربما لم يكن في حساب شوارزكوف ان العراق لن يستمر أو يصمد طويلاً في وجه القوات المتحالفة.

ولم يكن الجيش السعودي مستعداً لمثل هذا العبء الكبير في تأمين الاسناد، مما إضطرهم للاستعانة بخبرات من الخارج: ٥٠٠ رجل من الجيش المصري، سريتا اسناد من بنجلاديش وتقاضى الجنود المصريون والبنغلاديشيون رواتب كما لو كانوا سعوديين.

وطالما أن الجيش الرئيسي في التحالف كان الأميركيين، فقد تعهّد الملك فهد، في أوائل شهر أيلول ١٩٩٠ للأميركيين أن تقدّم المملكة للقوات الأميركية، على أراضي المملكة، كلّ ما تحتاج إليه من إعاشة، ووقود، ومياه، وإسكان، ووسائل نقل محلية، وتسهيلات ضرورية أخرى من دون أن تتحمّل الولايات المتحدة أية نفقات في هذا الصدد، وقد ترجم هذا التعهّد باتفاقية مكتوبة، تعهّد السعوديون بموجبها بدفع فواتير لقاء ما يؤمنه الأميركيون لصالح قواتهم. وقد دفعت المملكة أول فاتورة، بموجب هذه الاتفاقية، بلغت ٧٦٠ مليون دولار لتسديد نفقات الحكومة الأميركية في المملكة للفترة الممتدّة من آب إلى تشرين أول ١٩٩٠ (ثلاثة أشهر) أي ما يزيد على ٨ مليون دولار يومياً.

ونتيجة لذلك تقول المصادر العسكرية السعودية إن نفقات اسناد القوات العسكرية

المتحالفة جميعها، خلال الأزمة، بلغت عشرة مليار دولار، إضافة إلى مبلغ ١٤ ملياراً من الدولارات دفعتها وزارة المالية السعودية، في شكل مساهمة مباشرة، إلى وزارة الخزانة الأميركية، فضلاً عن ثلاثة مليارات ونصف المليار من الدولارات دفعت مباشرة إلى وزارات المالية لدول أخرى قدمت لمساندة المملكة، مثل بريطانيا وفرنسا ومصر وسوريا والمغرب والسنغال والنيجر وبقية الدول الأخرى؛ أي ما مجموعه ٢٧ مليار دولار ونصف.

لقد كان أمام المملكة خياران لتوفير الاحتياجات اللوجستية للحرب:

- أولهما، يستند إلى حالة الطوارىء المعلنة، ويقضي بمصادرة المباني والعربات والمعدات الهندسية والمواد الأولية الغذائية، وغيرها من الاحتياجات لمصلحة المجهود الحربي كما هو معمول به في دول كثيرة تواجه حالة الحرب.
- ثانيهما، إتاحة الفرصة للقطاع الخاص السعودي للاشتراك بتأمين متطلّبات التحالف على أسس تجارية.

وقد اختار الملك فهد الخيار الثاني لسببين: أولهما توفر السيولة النقدية في الخزينة وثانيهما وهو الأهم إنعاش الاقتصاد السعودي الذي كان يعاني الركود قبل الحرب، وقد سمح ذلك بالفعل بازدهار الأعمال التجارية وتحريك الاقتصاد السعودي وإنقاذ أكثر من ٤٠٠ شركة سعودية كانت تعاني مصاعب مالية. وبالعودة إلى سجلات إدارة التموين والامداد يتبيّن ان ٥٩٢ شركة سعودية حظيت بعقود لمصلحة المجهود الحربي، فضلاً عن آلاف الأفراد من المواطنين السعوديين الذين حققوا مكاسب مادية من تأجير منازلهم أو سياراتهم ومعداتهم.

لقد تمّ استخدام أكثر من ٣٠٠٠ صهريج لنقل مياه الشرب من محطات التحلية في الجبيل والخبر وغيرهما من الأماكن. وتعد محطات التحلية في المملكة الأفضل تقنية والأكبر سعة في العالم. ففي عام ١٩٧٠ كانت طاقة المحطات لا تتجاوز ٥ ملايين جالون في اليوم، وزادت عام ١٩٩٠ إلى أكثر من ٥٠٠ مليون جالون، وتقع أكبر هذه المحطات في الجبيل وهي مدينة صناعية

حديثة على ساحل الخليج وتصل طاقتها إلى ٢٤٠ مليون جالون يومياً.

بالإضافة إلى محطات التحلية، تمّ حفر عدّة آبار ارتوازية وأقيمت فوقها محطات تحلية صغيرة.

ولحل مشكلة الحرارة المرتفعة، زوّدت الوحدات في الميدان بالآلات لصنع الثلج، وخصصت عشر شاحنات تبريد لكلّ وحدة (كتيبة) لضمان إمدادها المستمر بالأطعمة الطازجة والمياه الباردة.

وقد تمّ التعاقد مع أكثر من ١٢٥ شركة سعودية لتأمين الأغذية إلى قوات التحالف. وتمّ أيضاً شراء الملايين من وجبات الطوارىء الناشفة التي وزّعت على الجنود بكميات كبيرة ومعظمها لم يستهلك.

كلّ هذه الأمور جعل المراقبين يقولون: «إنها من أكثر الحروب ترفاً على الإطلاق».(١)

التموين بالوقود:

كانت المملكة هي المصدر الأول للوقود لقوات التحالف. وقد شكّل مركز مختص لعمليات الوقود ضمّ ممثلين للقوات المسلّحة السعودية، ووزارة البترول والثروة المعدنية، وشركة أدامكو السعودية، وشركة سمارك، كما ضمّ المركز ممثلين للقوات الأميركية والبريطانية والفرنسية.

ونظراً لأهمية تأمين الوقود، فقد عززت الدفاعات الجوية على آبار ومصافي النفط لحمايتها من الهجمات الجوية، كما تمركزت حولها قوات من الحرس الوطني السعودي لحمايتها من العمليات الإرهابية.

وتحسّباً لأية عملية حربية قد تؤدي إلى إيقاف استخراج النفط وتكريره، فقد اشترت المملكة بترولاً بحوالي ٧٠٠ مليون دولار - وبخاصة وقود للمحركات النفاثة - وخزنت في البحر.

ولضمان استمرار تدفّق النفط من الآبار والمصافي إلى مستودعات التخزين، فقد تمّ التعاقد مع شركات أميركية لمد خط أنابيب بطول ٢٠٠ كيلومتر من مصفاة السفانية إلى مطار الملك فهد بن عبد العزيز في شمال الظهران، وخط أنابيب

(١) مقاتل من الصحراء: الفريق خالد بن سلطان. مرجع سابق.

آخر من السفانية إلى المستودعات في القيصومة بطول يزيد على ٥٠٠ كلم. كما تمّ استئجار أكثر من ٣٠٠٠ صهريج لنقل الوقود يومياً من المصافي في رأس تنورة والرياض وجدة وينبع والجبيل، إلى نقاط الوقود المتقدّمة حيث أقيمت خزانات تتراوح سعتها بين ١٠ آلاف و٢٥٠ ألف جالون. أما نقل الوقود إلى الوحدات الأمامية في مختلف مناطق القتال، فكان على مسؤولية الوحدات المختلفة لقوات التحالف.

وفي ختام الكلام عن الإمداد والتموين، لا بدّ من الإشارة إلى الأمور التالية:

١ - إنشاء عدد كبير من المهابط الجوية في المنطقة الشرقية، ومدينة الملك خالد العسكرية، تضاف إلى المطارات الواحدة والعشرين الموجودة.

٢ - تحويل الموانىء السعودية بمعظمها إلى موانىء عسكرية لاستقبال القوات والمعدات العسكرية.

٣ - استئجار ما لا يقل عن ٢٢ ألف عربة وأكثر من ٤٠٠٠ سائق مدني لتأمين نقل الجنود والمعدات من الموانىء والمطارات إلى أماكن التموضع (ناقلات دبابات - شاحنات مبرّدة - صهاريج مياه ووقود - شاحنات مسطّحة - جرافات - مقطورات - حافلات وعربات صغيرة لنقل الضباط وغيرها).

وفي خطوة ذكية من قبل القيادة السعودية لإحصاء السيارات على أنواعها في المملكة، تمّ الاعلان عن نية الحكومة بشراء أية سيارة مستعملة ودفع ثمنها كما لو أنها جديدة. فتدفّقت الآلاف من السيارات تمّ إحصاؤها، وشراء بعضها واستئجار البعض الآخر.

في شهر كانون الأول ١٩٩٠، أصدرت القيادة المشتركة تعليماتها بأن تكون البنية الأساسية للامداد والتموين بكامل تجهيزاتها مستعدّة في أماكنها اعتباراً من ١٥ كانون الثاني ١٩٩١، وهو التاريخ الذي حدّده مجلس الأمن كآخر مهلة لانسحاب العراق من الكويت قبل اللجوء إلى استخدام «كل الوسائل الضرورية» ضد العراق.

ز - خطة الحرب والعمليات لعاصفة الصحراء:[١]

في المبدأ، لم يكن الجنرال شوارزكوف حراً في قراراته. كانت لرؤسائه في واشنطن اليد الطولى في كلّ أمر من أمور الحملة العسكرية. فالتخطيط الاستراتيجي والخطة العامة، والجداول الزمنية، كانت تصاغ وتعد في البنتاغون من قبل الجنرال كولين باول رئيس هيئة الأركان العامة في الجيوش الأميركية. فهيئة الأركان العامة المؤلّفة من حوالي ١٦٠٠ ضابط أصبحت خلية نحل ليس لها عمل سوى التحضير للحرب.

فمنذ العام ١٩٨٦، وبمقتضى قانون «جولدووتر - نيكولاس لإعادة تنظيم شؤون الدفاع»، قلّصت صلاحيات رؤساء أركان الفروع الرئيسية للقوات المسلّحة الأميركية، ومنح رئيس هيئة الأركان المشتركة صلاحيات واسعة جداً، فأصبحت له السلطة الكاملة على الجهاز العسكري، وتقلّصت الضغوط التي كان يمارسها الكونجرس.

نجح باول، وهو سياسي مخضرم في الاستفادة من صلاحياته إلى أبعد حد. فبمقتضى هذا القانون، أصبح باول المستشار الأول والوحيد للرئيس الأميركي في الشؤون العسكرية. إلاّ ان ذلك لا يعني أن باول كان قادراً على الانفراد بالقرار. فالحقيقة أن الرئيس الأميركي ووزير الدفاع وباول كانوا يعملون معاً في فريق متفاهم. لذلك يمكن إيجاز الأمر بالقول إن الاستراتيجية العامة كانت تحدد في واشنطن، بينما توضع الخطط التنفيذية في الرياض.

وكما هو معلوم فإن أية خطة حربية لا يمكن وضعها إلاّ استناداً إلى المعلومات الاستخبارية، وكانت معظم هذه المعلومات ترد من واشنطن، من وكالة الاستخبارات المركزية. ولا يخلو الأمر من بعض المعلومات الطريفة التي كانت تصل من قبل بعض المنهزمين المضللين، ومنها على سبيل المثال، ان العراق يحضر لتلغيم بعض الجِمال بالمتفجّرات وإرسالها إلى صفوف قوات التحالف.

(١) مقاتل من الصحراء: المرجع نفسه.

إذن المعلومات ذات المصداقية التي كان يمكن الاعتماد عليها هي التي كانت مستقاة من صور الاقمار الصناعية، وطائرات التجسس، ومحلّلي الشيفرة، والقوات الخاصة العاملة وراء خطوط العدو. ومع بداية العمليات الحربية، يصبح الأسرى مصدراً مهماً للمعلومات الموثوقة.

وقد ظهر خلال الأزمة أن الأميركيين والعرب المشتركين في التحالف، كانوا يفتقرون إلى الاستخبارات البشرية، أي العملاء المتمركزين داخل الجهاز السياسي والعسكري في العراق.

ويعود السبب في حشد هذا العدد الضخم من الجنود والطائرات والأسلحة في مواجهة العراق إلى افتقار قوات التحالف إلى معلومات صحيحة وأكيدة حول أمرين: الأول القدرات العسكرية للعراق، والثاني إمكانية استخدام العراق للأسلحة الكيماوية، بالإضافة إلى أن حرب فيتنام كانت شبحاً دائماً أمام الأميركيين عند خوضهم أية حرب جديدة. وما يدلّ على ذلك هو ما قاله الجنرال شوارزكوف في مذكراته: «أن المشكلة الأساسية في فيتنام أنها استمرّت طويلاً. كنا نعتقد أن في وسعنا مزج الدبلوماسية بالقتال، وهذا أمر مستحيل. ولعلّنا استخدمنا تلك القوّة الضخمة في حرب الخليج لأننا كنا نحسب حساب الفشل. وقد تأثّرنا قبل بداية الحرب في الخليج بوصف الصحافة لنا بأننا غير أكفاء. قالوا إن معداتنا لا تعمل ورجالنا يخافون، وقادتنا العسكريين أغبياء، فكان علينا أن نثبت لهم العكس».

لقد اتسم اعداد الولايات المتحدة لخطة هجومية ضد العراق، منذ البداية بقدر من الحذر الزائد وتوصّلت المشاورات إلى وضع خطوط عريضة لهذه الخطة قائمة على أربعة مراحل:

١ - حملة جوية استراتجية على العراق والقوات العراقية في الكويت.
٢ - القضاء على قوات الحرس الجمهوري، القوات الأكفأ والأقوى في العراق.
٣ - عزل ميدان المعركة في الكويت.
٤ - شن الهجوم البري على الكويت والعراق.

وكانت هذه الخطة المبدئية هي نفسها التي تبناها الحلفاء في النهاية.[1]

ح - **حجم القوى البرية المشاركة:**

حشدت في مواجهة الغزو العراقي للكويت القوات البرية التالية:

- فيلقان أميركيان كاملان (الفيلق الثامن عشر المحمول جواً والفيلق السابع) وفيلق من المشاة البحرية الأميركية.
- فرقة مدرّعة بريطانية.
- فرقة فرنسية خفيفة.
- فيلقان عربيان مؤلّفان من:
  - فيلق مصري.
  - فرقة سورية.
  - ألوية سعودية.
  - ألوية خليجية.

مرتكزات الخطة:

على الرغم من أن الخطة العسكرية كانت غاية في التعقيد، إلاّ ان مفهومها الأساسي كان غاية في البساطة.

١ - تركّزت الخطة على إيهام العراق بأن الهجوم الرئيسي سيشن من الشرق، بينما ينفّذ الهجوم من الغرب، وهو الجنب الذي تركه العراق من دون حماية كبيرة. لقد كان من شأن عمليات الخداع التي نفذت أن تجبر القوات العراقية على البقاء متمركزة في جنوب شرقي الكويت، خشية هجوم برمائي تشنّه قوات المشاة البحرية على ساحل الكويت. وهذا ما نجح الأميركيون في ترويجه عندما نفّذوا تدريبات تجريبية على الانزال البحري في سلطنة عمان وصورته شبكة CNN، وتمّ تسريب خطط هذا الإنزال البحري إلى اليابان على أمل أن يلتقطها السفير العراقي في طوكيو.

٢ - كانت الخطة تقضي بأن تنطلق قوات التحالف البرية إلى مواقعها الهجومية تحت غطاء الحملة الجوية الاستراتيجية. ويكلّف الفيلق السابع الأميركي، الذي يضم أقوى الوحدات المدرّعة في العالم، بالاشتراك مع الفرقة الأولى المدرّعة البريطانية في الهجوم الرئيسي، مع هجمة مساندة إلى الغرب

(١) U.S. departement of defense; Final Report to Congress.

وثلاث هجمات مساندة إلى الشرق وفقاً لما يلي:

- الهجمة المساندة إلى الغرب:

ينفّذها الفيلق الثامن عشر المحمول جواً بالاشتراك مع الفرقة المدرّعة الفرنسية الخفيفة بهدف الالتفاف لمحاصرة القوات العراقية في مسرح العمليات في الكويت.

- الهجمات الثلاث المساندة إلى الشرق:

- الهجوم المساند الأول: في أقصى الشرق، تنفّذه القوات العربية المشتركة في المنطقة الشرقية.
- الهجوم المساند الثاني: في الوسط وتنفّذه قوات مشاة البحرية الأميركية.
- الهجوم المساند الثالث: تنفّذه القوات العربية المشتركة في المنطقة الشمالية إلى الغرب من مشاة البحرية الأميركية.

وكانت الغاية من الهجمات المساندة الثلاثة اختراق الدفاعات الحصينة، تدمير القوات العرقية ومنع انسحابها.

- احتلال الكويت:

أسندت مهمّة استعادة الكويت إلى القوات العربية في المنطقتين الشمالية والشرقية وفقاً للخطة التالية:

لقد قام العراقيون إثر الغزو بنشر عوائق كثيرة وكثيفة، كانت هناك خنادق مضادة للدبابات، وتحصينان ميدانية، وحقول الغام مختلطة مضادة للأفراد وللدبابات، وخنادق مملوءة بالبترول. وكانت الشواطىء على طول الساحل الكويتي مزروعة بالألغام ومحمية بالنيران. كما شكّلت المباني عوائق إضافية أمام تقدّم القوات المهاجمة. لذلك كان في الحسبان أن استعادة مدينة الكويت مشكلة معقّدة جداً، وإذا ما قرر العراقيون الصمود والتصدي والقتال، فلن تتحرر المدينة إلاّ بقتال متلاحم، من شارع إلى شارع، ومن بيت إلى بيت، ولذلك وضعت خطة لمواجهة هذا الاحتمال قضت بمحاصرة القوات العراقية داخل المدينة، لأسابيع عدّة بدلاً من اقتحامها، تجنّباً لآلاف الخسائر التي يمكن أن تقع في الأرواح بين العسكريين والمدنيين على حد سواء.



الفصل السادس

الهجوم الجوي والبري لتحرير الكويت

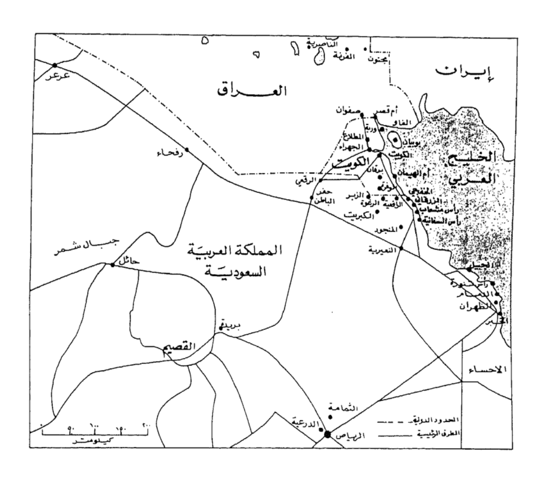
أولاً – الضربة الجوية الاستراتيجية[١]

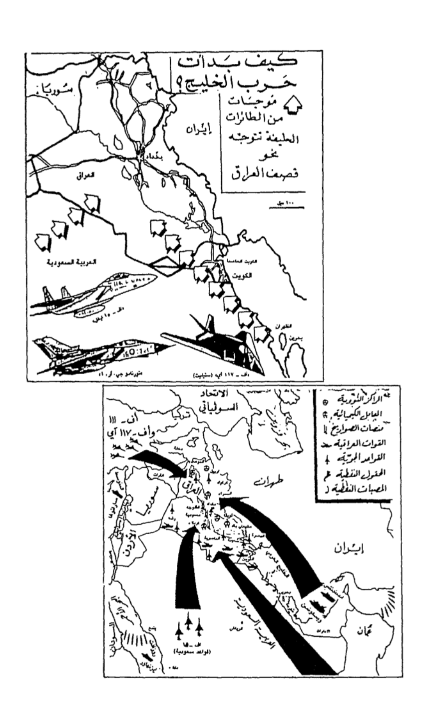
كان تدمير قوة العراق العسكرية، بفعل الضربة الجوية الاستراتيجية للتحالف في كانون الثاني ١٩٩١، أحد الأحداث المثيرة والرهيبة التي شهدها العقد الأخير من القرن العشرين. لقد أدرك التحالف، بطبيعة الحال، أن القوة الجوية وحدها تستطيع تحقيق النصر في الحرب، ومع نهاية شهر آب ١٩٩٠، بدأت مجموعة تخطيط خاصة تعد للحملة الجوية؛ وبدأت مراحل عملها في الطابق السفلي لمبنى قيادة القوات الجوية الملكية السعودية في الرياض. ونظراً إلى السرية التامة لعمل تلك المجموعة، فقد خضع الطابق كلّه لحراسة مشدّدة، وأطلق على الغرفة التي تعمل فيها اسم «الثقب الأسود» «Black Hole». وكان العمل المنوط بالمجموعة هو جمع وتصنيف كلّ المعلومات المتوافرة عن القدرة العسكرية للعراق، ثمّ وضع خطة لاستخدام القوة الجوية لشلّ قدرته على القتال في الساعات الثماني والأربعين الأولى من الحرب. ووضعت تحت تصرّف مجموعة التخطيط، أنواع رهيبة من الأسلحة، كان بعضها يستخدم للمرة الأولى.

كان من الضروري اتخاذ إجراءات أمن صارمة لكي يتحقق عنصر المفاجأة، يضاف إلى ذلك أن الولايات المتحدة

(١) مقاتل من الصحراء: الأمير خالد بن سلطان بن عبد العزيز، دار الساقي، بيروت ١٩٩٥.

مسرح عمليات حرب تحرير دولة الكويت




كيف بدأت
حرب الخليج؟
موجات من الطائرات الحليفة تتوجه نحو قصف العراق
سوريا
إيران
بغداد
العراق
العربية السعودية
الكويت
الاتحاد السوفياتي
تركيا
أف ـ 111
واف ـ 117 آي
المراكز النووية
المعامل الكيميائية
منصات الصواريخ
القوات العراقية
القواعد الجوية
الحقول النفطية
المصبات النفطية
طهران
العراق
سوريا
الأردن
إيران
عمان

الأميركية كانت تصرّ على السرية التامة، لأنها كانت ستضطلع بتنفيذ الجزء الأعظم من المهام الجوية. فمن بين الطلعات الجوية التي تمّت أثناء عاصفة الصحراء وعددها ١٠٨٠٤٣ طلعة، كانت نسبة ٨٣،٦٪ من نصيب القوات الأميركية، بينما كانت نسبة ٦،٥٪ من نصيب القوات السعودية الجوية، و٥،١٪ من نصيب القوات البريطانية، و٢،١٪ للقوات الجوية الفرنسية. وقد أسهمت دول أخرى بطريقة أو بأخرى في هذه الحملة، منها بلجيكا والمانيا والنروج وعُمان.

وهناك سبب آخر لتوسّل السرية، وهو أن الولايات المتحدة الأميركيةكانت تخطط لاستخدام ما في ترسانتها من تقنية حربية مثل:

المقاتلة F-117 ستيلث Stealth (الشبح) التي لا يكشفها الرادار، إضافة إلى الذخيرة الدقيقة التوجيه (PG.MS)، مثل الصواريخ من نوع كروز توماهوك (Toma Hawk Gruise) والأنواع الكثيرة من القنابل والصواريخ الموجّهة تلفزيونياً أو بأشعّة ليزر، وكذلك أجهزة الرؤية الليلية التي تعتمد على الأشعة تحت الحمراء، وعدد كبير من أنظمة الكترونية أخرى للاتصالات والمراقبة والقتال، بهدف التشويش على رادارات صدام، وقطع خطوط اتصالاته وشلّ دفاعاته بوجه عام.

كانت المعلومات التي ترد من الأقمار الصناعية جزءاً لا يتجزّأ من الاستعدادات للحملة الجوية وإدارتها الفعلية. فقد زوّدت الأقمار الصناعية قوات التحالف بالمعلومات اللازمة عن الأهداف العراقية، ومعلومات عن حالة الطقس، والإنذار بوقوع هجمات صواريخ سكود، ووفّرت لها إمكانات هائلة للاتصالات، ونفّذت الكثير من المهام الضرورية الأخرى. كما كانت الأقمار تشكّل أساس عمل «نظام تحديد المواقع» (GPS)، وهو جهاز صغير مكّن القوات البرية من الملاحة في الصحراء المستوية، الخالية من الهيئات الأرضية، أو عبر حقول الألغام العراقية بقدر فائق من الدقة.

كان أمراً طبيعياً أن تسيطر الولايات المتحدة على قيادة الضربة الجوية. لذا وافق أعضاء التحالف على أن يتولى الفريق «هورنر» الأميركي السيطرة على توجيه

العمليات لجميع طائرات التحالف، لتحقيق أكبر قدر من التجانس في إدارة العمليات الجوية.

أنيطت بالعميد بستر جلوسون مدير الخطط الجوية، مهمة صعبة هي الإشراف على أعداد «أمر العمليات الجوي اليومي (ATO). وهو وثيقة بحجم دليل الهاتف يشتمل على:

- تحديد إشارات الاستدعاء الجوي.
- الترددات اللاسلكية.
- توقيت الاقلاع.
- تعليمات التزويد بالوقود في الجو.
- الأهداف الأساسية والتبادلية المطلوب مهاجمتها.
- الذخيرة المناسبة لكلّ مهمة.

وذلك لأكثر من ١٠٠٠ طلعة يومياً كانت تصل أحياناً إلى ٣٠٠٠ طلعة أثناء الحملة البرية.

ولعلّ من أخطاء الرئيس صدام المميتة، أنه أعطى للجنرال هورنر وزملاءه فرصة ستة أشهر تقريباً لتدريب قواتهم واستكمال كلّ دقائق الضربة الجوية وجلب الطائرات المناسبة المتخصّصة لتنفيذ المهام المحددة.

كانت الحملة الجوية التي تمّت في كانون الثاني ١٩٩١ حدثاً رهيباً. إذ أخذت القوة العظمى الأميركية تستعرض عضلاتها، بمزج رهيب لتقنية عصر الفضاء مع الإرادة السياسية لاستخدام القوّة الهائلة المتفوّقة. وبدافع من الرغبة في التخلّص من شبح فيتنام، كان القادة العسكريون الأميركيون حريصين كلّ الحرص، على أن يعرضوا أمام العالم أجمع الأسلحة والمهارات التي اكتسبوها خلال الثمانينات.

على الرغم من القوة الهائلة للتحالف، كانت هناك لحظات معيّنة بدت فيها هذه القوّة موضع شك أو ضعف. ومن هذه اللحظات ما حدث قبل الحملة الجوية، إذ أفادت تقارير من الاستخبارات الأميركية أن عدّة طائرات عمودية اكتشفت وهي تعبر المجال الجوي السعودي. ثمّ تبيّن إنها طائرات عراقية، وأن الأميركيين تمكّنوا من إحتجازها على متن إحدى حاملات الطائرات، ودام هذا الوضع من المعلومات لمدّة ٢٤ ساعة، ثمّ ظهرت الحقيقة واتضح أن إحدى شاشات الرادار تعرّضت لخلل فني، وأن تلك الطائرات العمودية لم تكن سوى أوهام.

أ - انطلاق الحملة الجوية:

بعد مرور أكثر من ٢٤ ساعة على انتهاء المهلة التي حددتها الأمم المتحدة للعراق بيوم ١٥ كانون الثاني ١٩٩١، انطلقت الحملة الجوية في الساعات الأولى من صباح ١٧ يناير، وحدّدت الساعة صفر الساعة ٠٣٠٠ صباحاً (الثالثة صباحاً). ولكن الطلقة الأولى، في واقع الأمر، أطلقت قبل الساعة صفر بـ٢١ دقيقة، عندما قامت ثلاث طائرات عامودية من نوع Apache AH-64 مسلّحة بصواريخ HELLFIRE وصواريخ HYDRA، بتدمير محطة للإنذار المبكر على الحدود العراقية، فأحدثت فجوة في الدفاعات الجوية العراقية نفذت منها، بعد ذلك، طائرات التحالفات من نوع F-14 TOMCATSو EAGLES, F-15E.

في الدقائق الخمس والعشرين التالية، انطلقت موجات من طائرات Night- F-117 Hawk، من إنتاج شركة لوكهيد Lockheed. وهي طائرات لا يكتشفها الرادار، مزودة بقنابل موجّهة بالليزر. وكانت مهمتها مهاجمة القصر الرئاسي للرئيس حسين، بالإضافة إلى الملاجىء الحصينة لمقر قيادة القوات الجوية والدفاع الجوي، ومقاسم الهاتف، ورادارات الدفاع الجوي، ومراكز الدفاع الجوي.

استطاعت طائرات F-117 أن تفاجىء الدفاعات العراقية، وأن تلقي بقنابلها على الأهداف الحيوية بدقّة متناهية. ولم تصب طائرة واحدة من هذه الطائرات بالنيران العراقية طيلة فترة الحرب.

لم تنجح الرادارات العراقية في اكتشاف طائرات F-117 وهي في الطريق إليها. ولم يدرك العراقيون أن الحرب قد بدأت إلاّ بعد ان تساقطت القذائف على عاصمتهم، تدمّر المباني العائدة للقيادة وشبكات الرادار والقيادة والسيطرة.

وبعد أن أدّت طائرات F-117 مهمتها، جاء دور صواريخ توماهوك، وهي صواريخ طوافة، تضرب العمق، وتطلق من مسافات بعيدة، فتصيب أهدافها في المناطق ذات الدفاعات بدقّة متناهية. كانت تلك الصواريخ تطلق من ١٦ سفينة بحرية أميركية، إضافة إلى غواصتين، على مجمع الأسلحة الكيماوية في التاجي، ومقر قيادة حزب البعث، وقصر الرئاسة، ومحطات

توليد الطاقة الكهربائية، مما أسفر عن انقطاع التيار الكهربائي بشكل عام في البلاد. كما أصابت ستة صواريخ توماهوك وزارة الدفاع العراقية من بين ١٨٠ صاروخ أطلقت خلال الساعات الثماني والأربعين الأولى على أهداف حيوية عراقية.

جرت بعد ذلك خدعة تعد من أكبر عمليات الخداع في الحملة الجوية، إذ أدت الموجة الأولى من هجمات التحالف إلى تأهّب ما تبقّى من أسلحة الدفاع الجوي العراقي. فعندما اكتشف مشغلو الرادارات العراقية أعداداً كبيرة من الأهداف تنطلق نحوهم مرة أخرى، اعتقدوا انها موجة أخرى من طائرات التحالف. وفي محاولة يائسة لتحديد مواقع تلك الأهداف لكي تتعامل معها صواريخهم أرض جو، قام العراقيون بتشغيل راداراتهم بأقصى طاقاتها، فكشفوا بذلك عن مواقعها. ولكن الموجة الثانية لم تكن طائرات على الإطلاق، بل كانت طائرات بدون طيار تظهر على الرادارات وكأن هجوماً جوياً يقع. وبعد موجة الطائرات الوهمية، جاءت طائرات F-4 G Wild weasels وطائرات F-18 Harnets، وتركّزت مهمتها الأساسية على إسكات الدفاعات الجوية العراقية، وما ان بدأ تشغيل الرادارات العراقية حتى انقضت تشكيلات من تلك الطائرات لتدمّر العشرات من مواقع الدفاع الجوي باستخدام الصواريخ العالية السرعة، والمضادة للاشعاع، المعروفة باسم «هارم» «HARM». وتكرّر النمط التدميري نفسه تلك الليلة حول البصرة والكويت.

حاول العراقيون دفع بعض المقاتلات من نوع MIG-29 وميراج F-1 لاعتراض مقاتلات التحالف، ولكنها لم تحتمل المواجهة، إذ لم تكن قادرة على الاتصال بمراكز عملياتها على الأرض. كانت القوات الجوية العراقية كثيرة العدد ولكنها متخلفة أمام قوّة التحالف وتقنياته.

في صباح اليوم الأول من الحرب، لم تكن لدى العراق فرصة لالتقاط الأنفاس، إذ وصلت القاذفات B-52 العابرة القارات إلى أجواء المملكة، بعد رحلة استغرقت ١٧ ساعة من لويزيانا، وأطلقت ٣٥ صاروخ كروز على محطات الطاقة والمطارات والأهداف الحيوية الأخرى.

ب - طائرات الاواكس:[1]

من بين مختلف الأنظمة التي نشرها التحالف، يعد نظام الانذار المبكر أواكس «AWACS» أهمها على الإطلاق. وهذا النظام عبارة عن منصّة لإدارة المعركة، كانت تزود قادة التحالف بصورة جوية شاملة، يضاف إلى ذلك طائرات F-16 المتعددة الأغراض والتي كانت بمثابة العمود الفقري للقوات الجوية الأميركية. وبلغ عدد الطائرات التي اشتركت منها في عاصفة الصحراء ٢٥١ طائرة، كلّفت بمهمة مهاجمة مصافي البترول ومستودعاته، ومرافق النقل والمواصلات، ومواقع إطلاق صواريخ أرض - جو، وصواريخ سكود، والمطارات وملاجيء الطائرات، إضافة إلى فرق الحرس الجمهوري، وأهداف أخرى كثيرة. وكانت أكبر غارة لطائرات التحالف هي تلك الغارة التي نفّذتها ٥٦ طائرة F 16 على مركز البحوث النووية في بغداد يوم ١٩ كانون الثاني.

ومن العوامل الإيجابية التي كانت لمصلحة القوات الجوية المهاجمة:

- طبيعة الصحراء المنبسطة.
- القدرة على اختراق الدفاعات العراقية الجوية.
- القدرة للطائرات المستخدمة على تنفيذ خمس طلعات يومياً.
- استخدام الذخائر الدقيقة التوجية لتدمير آلاف الدبابات والدشم والملاجيء.

وبلغ عدد الطلعات الهجومية التي نفّذت ضد العراق ٢٠٠ طلعة في الساعة الأولى، و٩٠٠ طلعة في اليوم الأول، و٤٠٠٠ طلعة في الأسبوع الأول.

ج - الدفاع الجوي العراقي:

استطاع العراقيون، على مدى سنوات طويلة، وبمساعدة السوفيات والفرنسيين بناء شبكة دفاع جوي كثيفة ومتطوّرة وفعّالة. وكان ينظر إليها الخبراء على أنها توازي دفاعات حلف وارسو في اوروبا الشرقية وأنها واحدة من أقوى الدفاعات في الشرق الأوسط. ويقال إنه كان يضم ١٦ ألف صاروخ أرض - جو، و١٠ آلاف مدفع مضاد

---

(١) كارثة الصحراء وصناعة النصر، اللواء الركن عزيز الأحدب، طرابلس لبنان، ١٩٩١.

للطائرات، و ٧٠٠ مقاتلة. وقام الفرنسيون، الذين أدوا دوراً رئيسياً في بناء قوة العراق العسكرية، بربط شبكة الدفاع الجوي للعراق بنظام حديث للقيادة والسيطرة يسمى «كاري» «Kari». وقبل بداية الحملة الجوية، قامت استخبارات القوات الجوية والبحرية الأميركية بدراسة مفصّلة لنظام «كاري»، وحددت مراكز الإنذار المبكر ومراكز السيطرة الرئيسية فيه. وكانت تلك هي أولى الأهداف التي قصفت لأنه تمّ الاتفاق على أن تدمير نظام «كاري» أمر حيوي لنجاح حرب التحالف.

إذن تمّ تدمير معظم الدفاعات الجوية العراقية خلال ساعة واحدة. وبقي جزء من أسلحة الدفاع الجوي، المزوّدة بأجهزة تسديد بصرية، والتي تعمل ضد الأهداف التي تحلّق على ارتفاعات منخفضة لأنها لم تتأثر بالحرب الالكترونية الأميركية. وحققت هذه الأسلحة بعض الإصابات الناجحة بالفعل، إذ تمكّنت من إسقاط ست طائرات تورنيدو تابعة لسلاح الجو الملكي البريطاني، عندما كانت تنفّذ طلعات على ارتفاعات منخفضة، مستخدمة قنابل JP233 ضد القواعد الجوية العراقية ذات الدفاعات الكثيفة.

د - صواريخ سكود والمبارزة بينها وبين باتريوت:[١]

كانت صواريخ سكود هي السلاح الوحيد، في الترسانة العراقية، التي سببت إزعاجاً كبيراً لقوات التحالف، وهي صواريخ باليستية أرض - أرض، سوفيتية الصنع تستخدم أساساً ضد الأهداف المساحية (أهداف ذات مساحة واسعة). ومن المفارقات الغريبة لتلك الحرب، أن أسلحة التحالف الفائقة التقنية لم تفلح في التصدي لذلك السلاح ذي التقنية القديمة.

يبلغ مدى صواريخ سكود ٣٠٠ كيلومتر تقريباً، غير أن العسكريين العراقيين المهندسين أدخلوا تعديلات عليها إبّان الحرب العراقية الإيرانية، فانتجوا منها نوعين محليّين أبعد مدى، هما الحسين والعباس، بلغ مداهما ٦٠٠ كيلومتر. وتمّ التوصّل لهذه

(١) كارثة الصحراء: المرجع نفسه.

النتيجة بزيادة وزن الوقود الصاروخي وتقليل وزن الرأس الحربي، مما خفف من فعاليته وأضعف من دقته. وقد بلغ الخطأ المحتمل في المسافة حوالي ٣٠٠م، وبالتالي أصبح استخدام هذه الصواريخ موجهاً ضد المراكز السكانية أكثر من استخدامها ضد الهداف العسكرية.

أطلق الرئيس صدام حسين نحو ٢٠٠ صاروخ من نوع «الحسين» على المدن الإيرانية أثناء الحرب العراقية الإيرانية. وتسبب هذا القصف بهجرة أعداد كبيرة من سكان طهران إلى الريف. وأطلقت إيران، بدورها، صواريخ سكود على بغداد، ولكن اعدادها كانت أقل، وكذلك مداها.

ولمواجهة صواريخ سكود والطائرات التي تحلق على ارتفاعات متوسّطة وعالية، صنّعت أميركا صواريخ SAM-D وهو الجيل الأول لصواريخ «باتريوت». وبعد أكثر من عشر سنوات، أي بعد حوالي أيام من غزو الكويت، أرسلت الولايات المتحدة بطاريات باتريوت إلى المملكة العربية السعودية بهدف حماية منشأتها الحيوية، مثل مصافي البترول والمطارات والموانىء ومراكز القيادة.

وضع العراقيون في حساباتهم توريط إسرائيل في الأزمة بهدف استقطاب رأي عام عربي إلى جانبه وتحويل الأنظار عن الكويت وخربطة الأوراق والاهتمامات. ولذلك أطلق العراق في الساعات الأولى من يوم ١٨ كانون الثاني ١٩٩١، وهو اليوم الثاني للحرب، سبعة صواريخ سكود على تل أبيب وحيفا، أدت إلى جرح سبعة أشخاص، وفي اليوم التالي أطلقت أربعة صواريخ سكود أخرى على تل أبيب، ثمّ جاء دور المملكة العربية السعودية، حيث أطلق عليها عشرون صاروخ سكود سقطت في الرياض والظهران. وبلغ مجموع الصواريخ التي أطلقها العراق خلال الحرب ٨٨ صاروخاً، منها ٤٢ على إسرائيل و٤٣ على المملكة وثلاثة على البحرين.

وكما ذكرنا، صمم صاروخ باتريوت، في بداية إنتاجه، ليكون نظاماً مضاداً للطائرات، ثمّ أضيفت إليه بعد ذلك قدرة اعتراض الصواريخ البالستية.

وقد بلغ عدد الصواريخ باتريوت التي أطلقت في الليلة الأولى من مدينة الرياض ٣٣ صاروخاً، ومن المفارقات ان صواريخ

باتريوت كان يمكنها التعامل بدقّة مع صواريخ سكود الأصلية، السوفياتية الصنع، أفضل بكثير من تعاملها مع صواريخ سكود المعدّلة.

بعد نهاية الحرب، جرت مناقشات عدّة لتقييم أداء صواريخ باتريوت وتحديد نسبة نجاحها في اعتراض صواريخ سكود. فتبيّن أن اداء نظام باتريوت في اسرائيل لم يكن مرضياً، إذ ظهر دان شمرون، رئيس أركان الجيش الاسرائيلي، على شاشة التلفزيون أثناء الحرب، وذهب إلى حد القول إن نجاح نظام باتريوت ليس سوى «أكذوبة».

وثمّة سببان رئيسيان لفشل نظام باتريوت في إسرائيل.

أولهما: لأن الاسرائيليين كانوا مصممين على أن تكون لهم اليد الطولى في استخدام النظام. كانوا يريدون توجيه البطاريات بأنفسهم، وتشغيل النظام يدوياً. وربما كان الأفضل لو تركوا النظام يعمل آلياً، وتحت سيطرة أفراد الأطقم الأميركية المدرّبين الذين أرسلتهم واشنطن لهذه الغاية.

وثانيهما: هو ان ذلك النظام لم يكن مصمماً أصلاً لحماية المناطق السكنية الكبيرة، بل كان مصمماً للدفاع عن نقاط محدّدة (دفاع نقطة وليس دفاع منطقة)، مثل القواعد الجوية والمنشآت البترولية ومراكز القيادة.

رغم كلّ ذلك، وقعت حادثة، في الوقت الذي كانت الحرب تقترب من نهايتها، أظهرت بجلاء خطر صواريخ سكود. ففي ٢٥ شباط ١٩٩١ أصاب صاروخ سكود عراقي ثكنة للجنود الأميركيين في الظهران، قتل على أثرها ٢٨ فرداً وجرح ماية آخرون. وكانت تلك أكبر خسارة تكبّدتها قوات التحالف خلال الحرب.

لقد أدركت قوات التحالف، ومنذ بداية هجمات صواريخ سكود، ان السبيل الأمثل إلى وقف تلك الهجمات ليس تدمير الصاروخ في الجو، بل تدمير منصات إطلاقه على الأرض. ولكن المشكلة تمثّلت في تحديد أماكن تلك المنصات. كان هناك قمران صناعيان أميركيان للانذار ضد الصواريخ في وسعهما اكتشاف الوميض الناتج عن إطلاق سكود وإرساله المعلومات عن مكان القاذف خلال دقيقتين من الإطلاق. لكن القواذف المتحرّكة للصاروخ كانت تنطلق بأقصى

سرعتها بعد الإطلاق لتختبىء في أماكن بديلة. ولذلك لم ينجح التحالف في تدمير قواذف سكود إلاّ نادراً.

وفي عمليات اصطياد صواريخ سكود، انهزم التحالف بفعل ذكاء الأطقم العراقية، بالإضافة إلى الظروف الجوية. كان العراقيون يطلقون صواريخ سكود في الأحوال الجوية الرديئة فقط، عندما يكون سقف السحاب عند ارتفاع ٣٠٠٠ قدم أو أقل، مما كان يعيق اكتشاف هذه الصواريخ بدقّة.

وقد حاول أحد القادة السعوديين الذي عمل من قبل قائداً لوحدة صواريخ سكود لمدّة سنتين أن يكتشف أسلوباً ما لتحديد مواقع إطلاق الصواريخ وانقضاض الطائرات المقاتلة عليها في الدقائق القليلة التي تفصل بين إطلاق الصاروخ وإخلاء موقع الإطلاق، وفيما يلي إيجاز مجمل لحساباته، وقد وجد فيها الأميركيون بعض الفائدة.

١ - على افتراض أن العراقيين يحاولون ضرب أهداف في الرياض، فقد رسم شكلاً توضيحياً تظهر فيه المدينة في مركز قوس نصف قطره يساوي أقصى مدى لصواريخ سكود المعدّل، «الحسين» أو «العباس».

٢ - وبالدراسة الدقيقة للمنطقة المحيطة بمحيط القوس، تمكّن من تحديد مواقع الإطلاق المحتملة مع الأخذ بعين الاعتبار عوامل القرب من الطرق الصالحة للتحرّك والأماكن الصالحة للاختباء.

٣ - ونظراً لأن العراقيين لا يحرّكون ولا يستخدمون صواريخهم «الثمينة» إلاّ في الليل، خلص إلى ان الوقت المحتمل للاطلاق سوف يقع بين حلول الليل (الساعة ١٨،٠٠) وأول الضوء (السادسة صباحاً) فإذا أخذنا بعين الاعتبار الوقت المطلوب لتحريك القواذف وصواريخها تحت جنح الظلام من مكان اختبائها إلى موقع الاطلاق، ثمّ الإعداد لعملية الاطلاق، والوقت المطلوب لإخلاء موقع الإطلاق وتحرّك القواذف إلى مكان اختبائها مرّة أخرى، أمكنه أن يستنتج أن الوقت المتوقّع للاطلاق سوف يكون بين الساعة ١٩،١٠ و٤،٥٠، وفي الحقيقة لم يطلق صاروخ واحد خلال الحرب خارج هذين التوقيتين.

٤ - معلوم أن القواذف المتحرّكة يلزمها من ٧ إلى ١٠ دقائق لإخلاء موقع الاطلاق، بينما يحتاج قمر الانذار الأميركي المداري إلى دقيقتين لإرسال بيانات الإطلاق، وهذا يعني ان لدى التحالف بين ٥ و٨ دقائق لقصف مواقع الاطلاق قبل مغادرة القاذوف لها.

٥ - وهذا بدوره يعني أن القاذفات المقاتلة للتحالف لا بدّ ان تكون في الجو على بعد لا يزيد على ٥٠ - ١٠٠ كلم من مواقع الإطلاق، التي تمّ تحديدها ليتم تدميرها.

وقد أخذ الأميركيون بهذه الحسابات لتحديد فترة ومنطقة دوريات المقاتلات في الجو لتكون على أهبة الاستعداد للانقضاض على أهدافها.

هـ - هروب الطائرات العراقية إلى إيران:[١]

يوم ٢٦ كانون الثاني ١٩٩٠ هربت أولى الطائرات العراقية إلى إيران ووصل عددها إلى ٨٠ طائرة في اليوم الثالث. ثمّ حدث هروب جماعي في الفترة ما بين ٦ إلى ١٠ شباط ١٩٩٠ حتى وصل العدد إلى ١٣٥ طائرة. وكان بين الطائرات التي هربت مقاتلات جديدة من نوع Mig 29 وقاذفات من نوع Fencer للارتفاعات المنخفضة، وهي طائرة سوفيتية تضارع طائرة تورنيدو والطائرة F111.

توقّفت القوات الجوية العراقية عن الطيران تقريباً، بعد الأيام الثلاثة الأولى من الحملة الجوية، وأسقطت الطائرات القليلة التي غامرت بالاقلاع.

وقد طرحت أسئلة حول سهولة هرب الطائرات العراقية إلى إيران مخترقة أجهزة المراقبة على جميع الارتفاعات لطائرات الاواكس وطائرات البحرية الأميركية من نوع E-2C Haw Keyes، والمنصات الأخرى، فضلاً عن الرادارات السطحية على متن حاملات الطائرات. وطرحت بعض الإجابات على تلك الأسئلة:

١ - كانت قوى التحالف تتوقع قيام بعض الطائرات العراقية بالهرب إلى دولة

(١) حرب الخليج، الملف السري، المرجع السابق.

أخرى، ولكن الاحتمال الأكبر لاتجاه الهرب كان الأردن وليس إيران، نظراً للعلاقات المميّزة آنذاك بين العراق والأردن. وهذا ما جعل الدوريات الجوية الأميركية تترقّب جنوب بغداد وغربها وليس شرقها وشمالها.

٢ - قصر المسافة بين المطارات الإيرانية وقواعد انطلاق الطائرات العراقية مما جعل اعتراض الطائرات الهاربة متعذّراً دون انتهاك المجال الجوي الإيراني.

٣ - كانت الطائرات العراقية الهاربة تطير على ارتفاعات منخفضة جداً، ولكي تتمكّن الطائرات التابعة للتحالف من إسقاطها، كان لا بدّ أن تطير مثلها على علوّ منخفض، وذلك يجعلها عرضة للنيران الأرضية العراقية.

ثانياً - معركة الخفجي[1]

قبل بدء الحرب لتحرير الكويت، كانت بعض التساؤلات مطروحة:

- ما أثر الحملة الجوية في قدرة العراق على مواصلة القتال؟

- هل سيستخدم العراقيون الأسلحة الكيماوية؟

- هل سيكون في مقدرة الجيش العراقي جرّ التحالف إلى معارك برية قبل الضربة الجوية؟

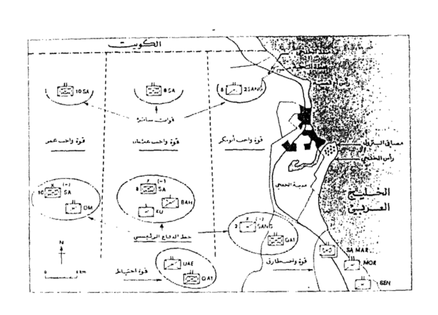
- هل بإمكان العراق إنزال خسائر كبيرة بالأرواح في صفوف قوات التحالف مما يؤثّر سلباً على أوضاع أنظمة الحكم والحكومات للبلاد المشتركة في التحالف؟

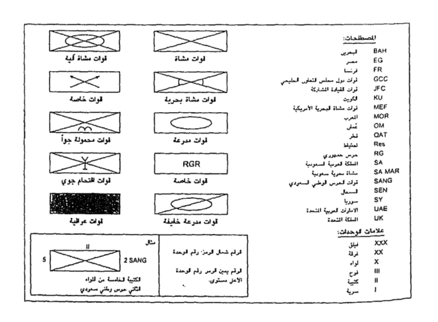
لم يكن في وسع أحد أن يعطي أجوبة شافية عن تلك التساؤلات. إلاّ أنه حصلت معركة قبل الحرب بقليل انتهت بإلقاء الضوء على الوضع الحقيقي للجيش العراقي.

ففي ليل ٢٩ - ٣٠ كانون الثاني ١٩٩٠، عبرت مجموعة قتال عراقية الحدود السعودية - الكويتية، وتحرّكت بمحاذاة الساحل وإحتلّت مدينة الخفجي. ولم يكن في المدينة آنذاك والتي تبعد عشرة

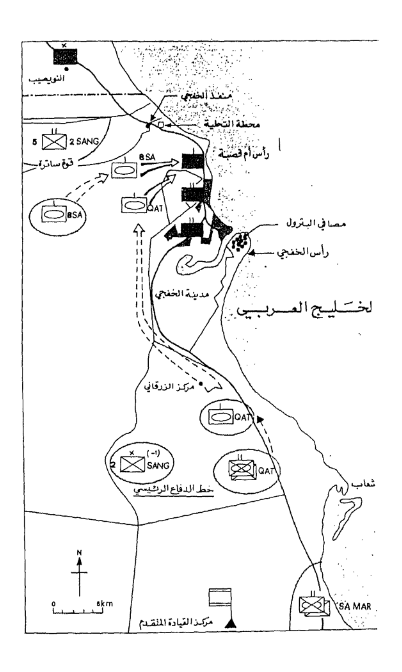
(١) مقاتل من الصحراء، المرجع نفسه.

الأوضاع الدفاعية للقوات المشتركة في المنطقة الشرقية قبل معركة الخفجي

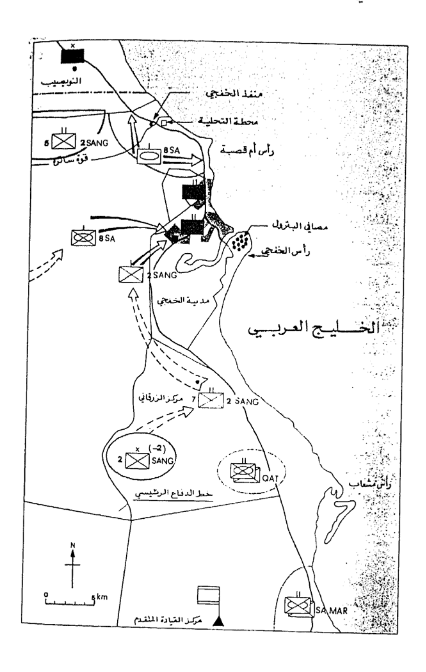




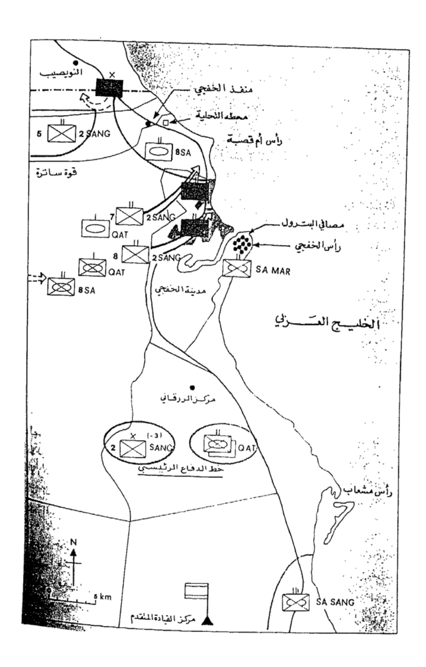
الاشتباك الأول: استطلاع قائد مركز القيادة المتقدّم وقطع الطريق إلى منفذ الخفجي
(سعت ١٢٠٠ - ١٣٠٠ يوم ٣٠ يناير ١٩٩١)



الاشتباك الثاني: عملية الإغارة (سعت ١٢٠٠ - ١٨٠٠ يوم ٣٠ يناير ١٩٩١)



الاشتباك الثالث: العملية الهجومية لتدمير القوات العراقية وتحرير مدينة الخفجي



كيلومترات عن الحدود أية دفاعات سوى بعض المخافر الأمامية مما جعل احتلالها أمراً سهلاً. رغم ذلك يمكن القول ان الرئيس صدام حسين كان يسعى لنصر أو نجاح في مكان ما وقد كان له ما أراد محققاً مفاجأة تكتيكية، وهذه هي المرة الثانية التي يكون زمام المبادرة فيها للعراق بعد استخدام صواريخ سكود.

يمثّل توقيت الهجوم على الخفجي أمراً له مغزاه. فالحملة الجوية كانت لا تزال قائمة منذ ١٢ يوماً، والاستعدادات للحرب البرية تمضي قدماً. فقد انتقل مئات الآلاف من المقاتلين التابعين للفيلقين الأميركيين السابع والثامن عشر إلى مواقع هجومية تحت غطاء الحملة الجوية. في الوقت ذاته، كانت الفرقة السادسة المدرّعة الخفيفة الفرنسية تتحرّك إلى أقصى الغرب من الجبهة، مع الإبقاء على خطوط إمدادها مفتوحة من ينبع. وإلى الغرب من القوات العربية المشتركة في المنطقة الشرقية، تقدّمت فرقتان من مشاة البحرية الأميركية بالتبادل وأعادتا تمركز نقاط إمدادهما من ساحل الخليج إلى قواعد جديدة على بعد ١٠٠ كيلومتر إلى الداخل، في منطقتي الكبريت والخنجر وكانت طائرات C-130 الضخمة تحلّق بلا توقف، ليلاً نهاراً، لنقل الجنود والإمدادات إلى مهابط ترابية أعدّت على عجل في قلب الصحراء.

ضمن هذا الإطار الزمني لتحرّك القوات التابعة لقوات التحالف، حدث الهجوم العراقي على الخفجي.

ما هو الهدف الذي كان يسعى العراقيون إلى تحقيقه من هذا الهجوم؟ لقد رأى بعض المحللين العسكريين في قوات التحالف، أن الهجوم ليس سوى مقدّمة لهجوم واسع النطاق ينوي العراقيون شنّه عبر وادي الباطن (الوادي الجاف الواسع الموازي للحدود الغربية للكويت مع العراق). إلاّ أن غياب الغطاء الجوي لدى العراقيين جعل ذلك أمراً مستبعداً.

تتمتع الطريق الساحلية التي تمرّ بالخفجي بأهمية استراتيجية بالغة. فهي تربط الكويت بالمملكة والبحرين (عن طريق الجسر الذي يربط الدمام بجزيرة البحرين) وقطر ودولة الإمارات العربية المتحدة ثم عُمان. كما ان السهل الساحلي والمياه الاقليمية المتاخمة

له، بما فيها من آبار للنفط وموانى، تعد المنطقة التي تستمد منها منطقة الخليج ثرواتها. وباحتلال الخفجي، أصبحت تلك المنطقة تحت التهديد المباشر، مما أشاع جواً من القلق في الرياض والعواصم الخليجية الأخرى.

لقد تبيّن فيما بعد أن هدف الرئيس صدام حسين من احتلال الخفجي كان جرّ التحالف إلى المعارك البرية قبل التدمير الكبير الذي سيصيب قواته تحت الضربات الجوية، وبالتالي استدراج قوات التحالف إلى مناطق القتل العراقية حول الكويت، وهو أسلوب أتقنه العراق خلال حربه الطويلة مع إيران.

إذاً وكما ذكرنا سابقاً، تبعد مدينة الخفجي حوالي عشرة كيلومترات عن الحدود مع الكويت على الساحل الشرقي للمملكة. وقد كان معظم السكان قد نزحوا عنها إلى أماكن أكثر أمناً داخل البلاد، ولم يبق فيها سوى بعض الموظفين وسرية من مشاة البحرية السعودية لحماية المنشآت الحيوية. ولقد ظلّت المدينة تتعرّض منذ بدء الحملة الجوية للقصف بالمدفعية والصواريخ كلّ يوم تقريباً. وبالإضافة إلى السرية السعودية المكلّفة حماية المدينة، كان يوجد إلى أقصى الشمال مركز حرس سواحل سعودي لا يبعد سوى ٨٠٠م. عن المواقع العراقية، وأثناء الأشهر الأولى للغزو، وقبل بدء الحملة الجوية، كان الجنود العراقيون يستحمون في مياه الخليج على مرأى من أفراد حرس السواحل السعوديين.

أما المهمة التي أنيطت إلى تلك القوات الساترة فهي مراقبة تحرّكات القوات العراقية، وفي حال أي هجوم، الانسحاب إلى الجنوب للالتحاق بمواقع القوات الرئيسية على بعد ٤٠ كلم من الحدود.

قبل الهجوم على مدينة الخفجي كان الأميركيون يرسلون دوريات استطلاع من مشاة البحرية لمراقبة الطريق الساحلية، ومن حين لأخر كان فيلق مشاة البحرية الأميركية يرسل طائرة بدون طيار (UAV) لاستطلاع التحرّكات القائمة على الجانب الكويتي من الحدود. ومنذ بدء الحملة الجوية، بدأت تقع بعض المناوشات الصغيرة وتبادل للقصف بنيران المدفعية والصواريخ ليلاً بين القوات العراقية والقوات السعودية.

بعد ظهر يوم ٢٩ كانون الثاني ١٩٩١ وردت إلى القيادتين الأميركية والسعودية تقارير تشير إلى تحرّكات عراقية مدرّعة على نطاق واسع على طول الحدود داخل الكويت. وفي وقت متأخّر من تلك الليلة، أبرق ضابط الاتصال الأميركي الملحق في مركز القيادة المتقدّم أن القوات العراقية، تساندها الدبابات والعربات المدرّعة، شنّت غارات عدّة، كلّ منها بقوّة كتيبة، إلى الغرب، في مواجهة المواقع الدفاعية لمشاة البحرية الأميركية في الوفرة والزبير والرغوة والرافعية، وانه يجري التعامل مع هذه القوات بنيران المدفعية والصواريخ والضربات الجوية. وتمّ تدمير آليات عراقية عدّة، وأن سبعة من مشاة البحرية قتلوا في أحد تلك الاشتباكات عندما أطلقت عربة مدرّعة أميركية النار على عربة أخرى عن طريق الخطأ.

عندما علم وزير الدفاع السعودي الأمير سلطان بن عبد العزيز أن القوات العراقية الآلية تتحرّك باتجاه الخفجي، طلب تدخلاً جوياً أميركياً لإيقاف تقدّمها، وتلقى تأكيدان من مشاة البحرية الأميركية أن طائرات عامودية من نوع Cobra، كوبرا في الطريق إلى أهدافها. ولكن هذا الأمر لم يحدث وقد برّر الأميركيون انه يتعذّر عليهم تدخّل القوات الجوية إلاّ بعد انسحاب مخفر حرس السواحل السعودي كي لا يطاله القصف. في هذه الأثناء كانت ٥٧ مدرّعة عراقية، بما في ذلك دبابات T.55 تتحرّك باتجاه مركز التحلية للمياه على المشارف الشمالية لمدينة الخفجي. وبعد إلحاح السعوديين قامت الطائرات الأميركية بقصف أرتال المدرّعات التي تركت الكويت لتعزيز القوات العراقية التي نجحت بالتمركز داخل مدينة الخفجي وتمّ تدمير أكثر من ٨٠ آلية عراقية.

مهاجمة الخفجي وتحريرها:

القوات المهاجمة تألّفت على الشكل التالي:

- كتيبتان من اللواء الثاني مشاة آلية تابعة للحرس الوطني السعودي (السابعة والثامنة).
- قوّة قطرية مكوّنة من سرية دبابات AMX، وسرية مشاة آلية، وفصيل صواريخ مضادة للدبابات.

- كتيبة مشاة آلية من اللواء الثامن من القوات البرية السعودية لتكون قوّة احتياط.

حدّدت ساعة الصفر الساعة الثامنة من صباح ٣١ كانون الثاني ١٩٩١، أي في الوقت الذي يكون فيه الجنود العراقيون ينتقلون من فترة الترويقة والنهوض إلى فترة الراحة الصباحية.

كانت معركة الخفجي قصيرة ولكنها شرسة. بدأ الهجوم عند الثامنة صباحاً كما ذكرنا، على محورين:

- المحور الأيمن: نفّذته الكتيبة الثامنة مشاة آلية حرس وطني مدعمة بسرية مشاة آلية قطرية

- المحور الأيسر: نفّذته الكتيبة السابعة مشاة آلية حرس وطني مدعّمة بسرية دبابات قطرية وفصيل صواريخ مضاد للدبابات HOT من قطر أيضاً. كان الهدف من الهجوم، التوغّل إلى عمق المدينة وتدمير التجمّعات العراقية الرئيسية فيها، بينما تتحرّك في الوقت نفسه، كتيبة مشاة بحرية سعودية على الطريق الساحلية بهدف منع أية تحرّكات عراقية باتجاه الجنوب.

حين اقتربت العربات المدرّعة التابعة للحرس الوطني من مدخل المدينة، تصدّى لها العراقيون بكثافة نيرانية من الدبابات والصواريخ. وطلبت القوات العراقية مساندة من لواء مدرّع موجود في الكويت، فتحرّك سريعاً باتجاه مدينة الخفجي. عندئذ صدرت الأوامر إلى كتيبة الدبابات من اللواء الثامن الآلي السعودي والتي اسندت إليه مهمة قطع طريق التعزيزات إلى الخفجي بالتصدي للواء المدرّع العراقي، وفي الوقت نفسه قامت طائرات التحالف بضربات سريعة ألحقت باللواء خسائر كبيرة وعادت العربات العراقية الناجية إلى الكويت دون أن تتمكّن من تنفيذ مهمتها بمساندة القوات الموجودة في الخفجي.

أصبحت الطريق ممهّدة أمام الكتيبتين السابعة والثامنة للتقدّم إلى الخفجي، وخاضتا معارك ضارية مع العراقيين من حيّ إلى حيّ ومن منزل إلى منزل.

خلاصة القول إن المعركة كانت شرسة، وخاضها العراقيون بشجاعة وأبدوا مقاومة عنيفة وكانت النتيجة مقتل ٣٢ جندياً عراقياً وجرح ٣٥ وأسر ٤٦٣ فرد، وفي المعدات

خسر العراقيون ١١ دبابة T 55 و٥١ ناقلة جند مدرّعة وتمّ الاستيلاء على ١٩ عربة أخرى.

وعلى الجانب السعودي كانت الخسائر ١٨ قتلوا و٢٣ جرحوا إضافة إلى أسر ١١ فرد. وخسر السعوديون ثلاثة دبابات وراجمة صواريخ وسيارتي إسعاف.

كانت تلك المعركة اختباراً صعباً إجتازته الوحدات السعودية والقطرية والقوات الجوية للتحالف وأضحت على أتمّ الاستعداد لإنجاز تحرير الكويت.

ثالثاً – الهجوم البري لتحرير الكويت

خلال فترة الحرب، كان العقيد شاكر إدريس، مدير الشؤون العامة في قيادة القوات المشتركة (القوات العربية وغيرها باستثناء الأميركية والانكليزية والفرنسية) بقيادة الفريق الأمير خالد بن سلطان، يصدر صحيفة يومية (نشرة) من أربعة صفحات تسمى «نشرة صوت المعركة» توزّع مجاناً في كلّ أنحاء المملكة.

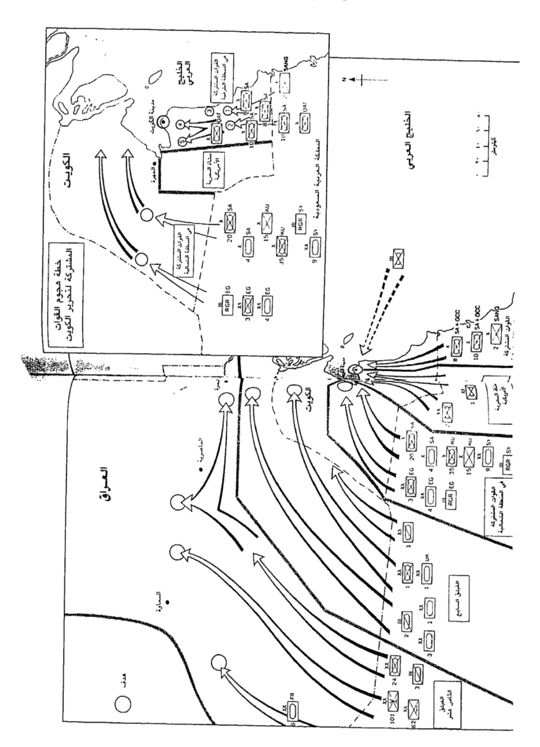
وعندما سأل الفريق خالد العقيد شاكر عن آخر مهلة للطبع أجابه أنها الساعة الواحدة صباحاً، فطلب إليه تأخير الطباعة حتى الرابعة وخمس دقائق. وفي الرابعة وخمس دقائق حضر العقيد شاكر إلى مكتب الأمير خالد الذي قال له: «إن الحرب البرية بدأت منذ خمس دقائق». كان ذلك اليوم ٢٤ شباط ١٩٩٠.

أ - التوقيت:

تمّ تحديد يوم ٢٤ شباط لبدء الحرب البرية بناءً لعدّة عوامل من أهمها:

- إن بيانات الارصاد الجوية كانت تشير إلى ملائمة الأحوال الجوية لتنفيذ الأعمال القتالية.
- الحاجة إلى استكمال نقل التعزيزات الأميركية من المسرح الأوروبي.
- حرص المملكة على إنهاء القتال قبل بداية شهر رمضان الذي يوافق ١٧ آذار من ذلك العام.
- إنهاء الحرب قبل فصل الصيف الحار جداً في المنطقة.

عاصفة الصحراء
العمليات البرية من ٢٤ - ٢٨ فبراير ١٩٩١



ب - تجهيز ميدان المعركة:

يستخدم العسكريون مصطلح «تجهيز ميدان المعركة» لوصف الإجراءات التي تتخذ لإضعاف قدرة العدو قبل الاشتباك معه. وفي حرب الخليج تمّت عملية تجهيز ميدان المعركة بتنفيذ العوامل التالية:

- حملة جوية استمرّت ٣٨ يوماً، استهدفت شلّ قدرات العراق على شن الحرب.
- عمليات نفسية، استهدفت تحطيم الروح المعنوية للجنود العراقيين وتثبيط عزيمتهم على القتال.
- تنفيذ عمليات خداعية، استهدفت إخفاء استعدادات التحالف لعملية «الخطاف الأيسر» وإقناع العراقيين بان الهجوم الرئيسي سوف يشن بمحاذاة الساحل، وفي اتجاه الكويت مباشرة، يسانده هجوم برمائي من الخليج تنفّذه مشاة البحرية الأميركية.
- إعادة تمركز قوات التحالف قبل عملية الالتفاف العميق من جهة الغرب.

لقد بات واضحاً، أن قوّة العراق قد استنفذت، وقواته المسلّحة قد أنهكت بفعل القصف الجوي الذي لم يسبق له مثيل. فقد الاتصال بين القيادة والوحدات التي أصبحت معزولة. كما تمّ تدمير المعدات والمؤن والأسلحة والجسور وسكك الحديد مما انعكس سوءاً كبيراً على خطوط التموين والامداد كما أفاد الجنود الفارون والأسرى ان الروح المعنوية للجنود العراقيين كانت في الحضيض وان فرق الإعدام تضاعفت لمنع الهرب والفرار.

ومع اقتراب موعد المعركة البرية، بدأ السؤال، الذي كان يشغل قوى التحالف، يصبح أكثر إلحاحاً وأهمية: هل يقدم العراق على استخدام الأسلحة الكيماوية؟ فاعتباراً من العام ١٩٩٠ أصبح العراق يمتلك القدرة على إنتاج آلاف الأطنان من المواد الكيماوية سنوياً، ولديه الوسائل اللازمة لحملها وإطلاقها بواسطة قنابل الطائرات وقذائف المدفعية. كما سبق للعراق أن استخدم غاز الأعصاب والغازات الحارقة في آخر الأعمال الهجومية على إيران عام ١٩٨٨.

من هنا، بادرت قوات التحالف للتزوّد بالألبسة الواقية وحقن «أوتروبين» المضادة لغازات الأعصاب، وجرت تدريبات كثيرة على الأعمال الوقائية ضد الأسلحة

الكيماوية والغازات. ويقول الفريق خالد بن سلطان إن «الألبسة الواقية من الغازات التي ارتداها الجنود كانت خير واقٍ من البرد، فالطقس في شتاء ١٩٩١ كان بارداً ورطباً بشكل غير مألوف، كما أعانت هذه الألبسة على الوقاية من الدخان والتلوّث الناجمين عن آبار البترول الكويتية المحترقة».

ج - الحرب النفسية: [١]

من العمليات النفسية التي نفّذت لتحطيم الروح المعنوية للقوات العراقية، إنشاء عددٍ من المحطات الإذاعية تدار بواسطة جماعات المعارضة العراقية، وتشرف عليها الاستخبارات السعودية. واكتسبت إحدى تلك المحطات، التي كانت تبثّ من الرياض، شهرة شعبية واسعة. ووافقت سوريا على إقامة محطة تقوية لإسماع صوتها غرب العراق، كما أنشئت محطات تقوية أخرى حول العراق: في البحرين وتركيا وعلى الساحل شمالي الجبيل. ولكن تبيّن فيما بعد أن القوات العراقية وحتى مجموعات الشعب العراقي كانت تفتقد إلى أجهزة راديو لالتقاط البث الدعائي.

ما يمكن قوله إن أفضل الأساليب النفسية التي استخدمت، كانت المنشورات التي أسقطت بالملايين فوق العراق والكويت. كان بعضها يحدد للجنود العراقيين المواقع التي ينوي التحالف قصفها، ويطلب منهم الفرار. وكان بعضها الآخر يطلب منهم الابتعاد عن معداتهم المزمع تدميرها. وكانت المنشورات كلّها تحثّهم على الاستسلام.

لقد أعدّ الأميركيون في البداية، بعض المنشورات من دون العودة إلى قيادة القوات المشتركة العربية، لكن الأعضاء العرب ضمن فريق العمليات النفسية انتقدوا تلك المنشورات، إذ كانت تتضمّن قدراً كبيراً من التهديد، ولا تنسجم لهجتها أو مضمونها مع النخوة العربية والكرامة والعاطفة، وبالتالي كان لهذه المناشير آثار سلبية جداً. وبعد تدخّل قيادة القوات المشتركة اقتنع الأميركيون بتعديل اللهجة وأدخلوا عبارات

(١) الغزو العراقي للكويت، عالم المعرفة، عدد خاص ١٩٩٥، الكويت ١٩٩٦.

الترحيب الحار الذي سيحظى به الجنود الذين يتركون مراكزهم ويلجأون إلى قوات التحالف. وقد استجاب عدد كبير من الجنود لهذه النداءات وعوملوا معاملة حسنة مطابقة لما جاء في المناشير، وقدّمت لهم الرعاية الصحية والطعام والشراب، والأهم، الأمان.

أما عمليات الخداع التي استهدفت توجيه أنظار العراقيين إلى طرق الاقتراب الجنوبية والشرقية للكويت، بدلاً من الصحراء الممتدة في الجهة الغربية التي تركت دون دفاعات، فكانت من تدبير الأميركيين وحدهم. وكانت فعالة إلى أقصى حد، إذ اشتملت على قيام قوات خاصة بتحرّكات خداعية في وادي الباطن، وهو الوادي الواسع الذي يسير بمحاذاة حدود الكويت الغربية مع العراق. كما بثّت تسجيلات صوتية لضوضاء تحرّك دبابات في منطقة الطريق الساحلية لإيهام العراقيين بأن فرق المشاة البحرية الأميركية لا تزال متمركزة هناك، بالإضافة إلى القصف البحري لساحل الكويت ونشاطات مساندة تهدّد البصرة. وفوق ذلك كلّه كانت هناك حشود استعراضية لمشاة البحرية الأميركية في عرض البحر، بما يوحي أن هجوماً برمائياً يوشك أن يقع.

كانت الدفاعات العراقية ثابتة ومحصّنة بشكل واضح في إتجاه الجنوب والشرق. وبدا واضحاً اقتناع العراقيين أن التحالف سيهاجم في اتجاه الطريق الساحلية ووادي الباطن، بالإضافة إلى الهجوم من اتجاه الخليج. وكان تثبيتهم في هذه البقعة والمواقع أحد الأهداف التي كنا نسعى إلى تحقيقها ضماناً لنجاح الخطة. فمن مجموع ٤٣ فرقة عراقية في مسرح العمليات الكويتي، كانت ست فرق تتولى الدفاع عن المخرج الشمالي للوادي، وعدد آخر مماثل للدفاع عن طرق الاقتراب المؤدية إلى الطريق الساحلية. واتخذت ١٢ فرقة أخرى مواقع حصينة دفاعية على الساحل في مواجهة البحر، فيما تمركزت الفرق المدرّعة الاحتياطية في العمق خلف الخطوط الدفاعية الحصينة، على أهبة الاستعداد لتنفيذ هجمات مضادة في اتجاه تلك المواقع.

ومما ساهم في خداع العراقيين أيضاً إعلان القادة السعوديين السياسيين والعسكريين

أن المعركة الأساسية سوف تكون على الأراضي الكويتية، لا العراقية. ولم يكن الهدف من تلك التصريحات خداع العراقيين فحسب، بل طمأنة القوات العربية إلى أنها لن تتحوّل إلى قوات احتلال للعراق، وكان ذلك في الأصل من الشروط التي وضعتها سوريا ومصر بعدم الدخول إلى الأراضي العراقية لأسباب قومية وغيرها.

كانت المرحلة الأخيرة من تجهيز أرض المعركة هي إعادة تمركز قوات التحالف البرية. وتمّ ذلك تحت ستار الحملة الجوية. فانتقل أكثر من ٢٥٠ ألف جندي أميركي وبريطاني وفرنسي، ومعهم نحو ٦٠ ألفاً من الآليات المجنزرة والمدولبة، مع كلّ ما يلزم من الإمدادات، إلى مواقع هجومية في الغرب بعيداً عن الخطوط الدفاعية العراقية الحصينة على الحدود الكويتية السعودية.

نشرت تلك القوات في مواقعها الهجومية على جبهة التحالف التي بلغ طولها نحو ٥٠٠ كلم من اليسار إلى اليمين، على النحو التالي:

- في أقصى الجناح الأيسر، تمركزت الفرقة السادسة المدرّعة الخفيفة الفرنسية، التي تميّزت بخفّة الحركة والمرونة كما ظهر ذلك جلياً حين كانت هذه الفرقة تنفذ التدريبات المشتركة مع القوات العربية. وضعت هذه الفرقة تحر إمرة الفيلق الثامن عشر الأميركي المحمول جواً. كانت إحدى مهام تلك الفرقة حماية الجانب الأيسر للفيلق ١٨.

وقد تكوّنت القوّة الضاربة للفيلق ١٨ من:

- الفرقة ٨٢ الخفيفة الحركة المحمولة جواً.
- الفرقة ١٠١ اقتحام جوي.
- الفرقة ٢٤ مشاة آلية ذات القدرة القتالية العالية والتي كانت ملحقة عليه.

د - مهمة الفيلق ١٨:

حدّدت مهمّة الفيلق بالتوغل في عمق الأراضي العراقية من الغرب، بهدف السيطرة على خطوط المواصلات العراقية بمحاذاة نهر الفرات، وعلى وجه الخصوص الطريق السريعة رقم ٨، ومحاصرة القوات العراقية في مسرح العمليات الكويتي.

- في وسط الجبهة، تمركزت الفرق المدرّعة والفرق المشاة الآلية التابعة للفيلق السابع

الأميركي، تدعمها الفرقة الأولى المدرّعة البريطانية. وقد بلغ مجموع الدبابات في تلك الفرق ١٣٠٠ دبابة. وهو أكبر تجمّع للدبابات في تاريخ الحروب.

وكان مقرراً أن تندفع تلك القبضة الحديدية، شمالاً في اتجاه العراق ثمّ تستدير شرقاً في شكل خطاف لتطوّق قوات الحرس الجمهوري العراقي وتدمّرها.

- استفاد الفيلقان، السابع والثامن عشر، من نظام «تحديد المواقع» GPS للملاحة عبر الصحراء الخالية من المعالم والهيئات الأرضية. وهذا النظام عبارة عن جهاز صغير يمكنه تحديد المواقع، ليلاً نهاراً، بدقّة فائقة عن طريق المعلومات التي يتلقاها من الأقمار الصناعية.

- وفي الجانب الأيمن من مسرح العمليات، وإلى الجنوب والجنوب الغربي مباشرة من الكويت، تمركزت القوات العربية في المنطقتين الشرقية والشمالية على التوالي، كما كانت فرقتان من مشاة البحرية الأميركية مدعمتان بلواء مدرّع تتمركزان بين المنطقتين. وكانت القوات العربية في المنطقة الشمالية تتكوّن من:

- فيلق مصري - فرقة سورية - وحدات خاصة مصرية وسورية - لواءان من القوات البرية السعودية - لواء كويتي.

أما القوات المتمركزة في المنطقة الشرقية فكانت تتكوّن من:

- لواء من الحرس الوطني السعودي - لواءان من القوات البرية السعودية - وحدات من قطر وعمان والبحرين والإمارات العربية المتحدة والكويت.

هـ - مهمة القوات المشتركة المدعّمة بمشاة البحرية الأميركية:

حدّدت هذه المهمّة كالآتي:

اقتحام الخطوط الدفاعية العراقية وتدميرها، وتحرير مدينة الكويت. وكانت أمام تلك القوات تحصينات مصممة على غرار تلك التي انشأها العراق في حربه على إيران وأفاد منها إلى حدّ بعيد. كان يواجه القوات على طول الحدود حزامان دفاعيان، أحدهما بعمق ٥ - ١٠ كلم داخل الكويت، والآخر على بعد نحو ٢٠ كلم. وكان كلّ حزام يتألّف من عدة نقاط دفاعية حصينة خلف موانع قوية من الأسلاك الشائكة،

والخنادق المضادة للدبابات والخنادق المملوءة بالبترول وحقول الألغام التي يتراوح عمقها من١٠٠م. إلى ٢٠٠م. وقد اعتمدت الاستراتيجية العراقية على استدراج القوات المهاجمة إلى مناطق قتل بين الحزامين الدفاعيين، في الوقت الذي تكون فيه القوات المدرّعة الاحتياطية جاهزة لشنّ الهجمات المضادة على تلك القوات التي تنجح في اختراق الحزام الأول.

و - حرب المعلومات قبل بداية الهجوم:(١)

بدا واضحاً أن العراقيين لم تكن لديهم أية معلومات عن كيفية وطبيعة إنشاء قوات التحالف. ففي غياب قواتها الجوية فقدت القوات العراقية عيونها التي تبصر بها، حتى أنها لم تكشف التحرّكات الكبيرة في اتجاه الغرب على طريق التابلين، التي لا تبعد سوى بضعة كيلومترات عن الحدود العراقية.

في بداية الأزمة حاول العراقيون إرسال عملاء لهم إلى داخل المملكة العربية السعودية ضمن قوافل اللاجئين الكويتيين. كما ظلّ العميد «محمد جاسم الحبش»، الملحق العسكري العراقي في الرياض يمارس مهامه حتى أواخر آب ١٩٩٠، شأنه شأن الملحقين العسكريين الأردني واليمني. وقد كان الملحق العسكري العراقي ذكياً جداً وقد نصح القيادة في بغداد بعدم إطلاق الرهائن الغربيين وتوزيعهم على المواقع الاستراتيجية في البلاد. ولو أن الرئيس صدام عمل بهذه النصيحة لكان شنّ الحملة الجوية الاستراتيجية أمراً صعباً من الناحية السياسية. كما عمل الملحق العسكري الأردني إلى جانب زميله العراقي لجمع المعلومات عن قوات التحالف، وهذا ما حدا بالقيادة السعودية إلى إبعادهما عن البلاد.

من جهة أخرى ورغم الكمّ الكبير من المعلومات التي كانت لقوات التحالف عن العراق وقواته، إلاّ أنه كان هناك خلاف في تقدير عدد القوات العراقية الموجودة في مسرح العمليات في الكويت. وكان ذلك

(١) مقاتل من الصحراء، المرجع نفسه.

مثار خلاف ونقاش حتى بعد انتهاء الحرب. فقد قدّرت مصادر الاستخبارات ذلك العدد بـ٥٤٧ ألفاً. وقد إستقت هذه المعلومات نتيجة عملية حسابية: ضرب عدد الفرق العراقية التي كانت موجودة على المسرح الكويتي في عدد الأفراد المفترض أن تضمهم كلّ فرقة. غير أن الأبحاث والدراسات التي تلت الحرب، أشارت إلى أن تلك التقديرات كان مبالغاً فيها إلى درجة كبيرة. وان عدد القوات العراقية عند بداية الحرب البرية لم يكن يزيد على ١٨٣ ألفاً. وقد توصّل إلى هذا الرقم وزير الدفاع الأميركي «ليس اسبين» Les Aspin بالطريقة التالية:

- العدد المقدّر وفقاً للظروف الطبيعية هو ٥٤٧٠٠٠ جندي وضابط، يطرح من هذا الرقم:
- ١٨٥٠٠٠: انخفاض العدد في الوحدات العراقية قياساً على الاعداد الأساسية.
- ١٥٣٠٠٠: حالات فرار من صفوف القوات العراقية.
- ١٧٠٠٠: جريح جراء المعركة الجوية.
- ٩٠٠٠ : قتيل جراء الحرب الجوية أيضاً.

ز - فتح الثغرات في حقول الألغام:

كانت القوات العربية المشتركة تعاني نقصاً كبيراً في معدات إزالة الألغام وفتح الثغرات، بينما كانت قوات المشاة البحرية الأميركية في كامل تجهيزاتها. نتيجة لذلك عرض الجنرال شوارزكوف على قيادة القوات العربية المشتركة أن تتقدّم مشاة البحرية أولاً فتفتح الممرات في الدفاعات العراقية لتمهّد إلى تقدّم القوات العربية. غير ان القيادة المشتركة رفضت ذلك مصممة أن تكون القوات السعودية في الطليعة. وقد خصصت لهذه المهمة كتيبتان سعوديتان من المهندسين العسكريين. وقد أمضت هاتان الكتيبتان أسابيع طويلة، في الصحراء، في التدريب تحت ظروف واقعية أقرب ما تكون إلى الظروف الحقيقية، بما في ذلك التعامل مع الألغام الحية والشراك الخداعية. وتمّ بناء الموانع على غرار تلك التي يتحصّن فيها العراقيون، وأجرت القوات تدريبات على عبور تلك الموانع مرتين نهاراً ومرة في الليل. ولتدعيم فريق فتح الثغرات، ألحقت كتيبة مهندسين سورية على القوات السعودية. قبل أيام من بدء الحملة البرية، تحرّكت قوات

مشاة البحرية الأميركية، في اتجاه الغرب واتخذت مواقع هجومية أقرب إلى قاعدة أحمد الجابر الجوية في الكويت، إذ كانت هذه القاعدة الجوية من اولى الأهداف المخصصة لها. وقد نتج عن هذا التحرّك نشوء ثغرة عرضها ٤٠ كلم بين الجانب الأيمن لقوات مشاة البحرية والجانب الأيسر للقوات العربية المشتركة في المنطقة الشرقية.

ولما كانت تقارير الاستخبارات متضاربة عن حالة الدفاعات الأمامية للقوات العراقية، ومدى التدمير الذي أصابها نتيجة الضربة الجوية، فقد تقرر، قبل بدء الهجوم بأربعة أيام، دفع دورية قتال قوية من الدبابات والمدفعية والقوات الخاصة والمهندسين العسكريين إلى المواقع العراقية الأمامية. اصطدمت الدورية بحقول ألغام ومصائد دبابات على بعد ١٢ كلم داخل الكويت. وعلى الرغم من تعرّض الدورية لنيران المدفعية، فقد تمكّن أحد المهندسين العسكريين ومعه فصيل من ٣٠ فرد، من رفع الألغام يدوياً ونجحوا في فتح ثغرة عرضها ٣٠م. بعمق ١٥٠ متراً تقريباً. والتقطت تلك القوة «فيلما» للموقع قبل عودتها ومعها ٧٠ لغماً. وفي اليوم التالي تمكّنت دورية استطلاع أخرى من فتح ثلاث ثغرات وعادت إلى مواقعها ومعها ٦٠٠ لغم. لقد ثبت أن رفع الالغام يدوياً هو أكثر فعالية من إرسال طائرات B 52 مثلاً، لقصف حقول الألغام بالقنابل، إذ إن القصف كان يؤدي أحياناً كثيرة إلى دفن الألغام أو إظهارها ولكنه لا يفجرها في كل الحالات.

في تلك الأثناء، نجحت إحدى الوحدات، أثناء تنفيذ عملية استطلاع، في الاستيلاء على «النويصيب»، وهو مركز حدودي كويتي مقابل الخفجي. وكانت تلك أول أرض كويتية تتحرر من الاحتلال العراقي.

ح - مراحل الحرب البرية:

لم تعبر قوات التحالف إلى الأراضي الكويتية المحتلة في تزامن واحد. إذ تمّت الحرب البرية على مراحل متتابعة.

بدء القتال البري:

عند الرابعة من صباح ٢٤ شباط ١٩٩١، بدأت قوات مشاة البحرية الأميركية إلى

الغرب من القوات العربية، فتح الثغرات في الدفاعات العراقية. في الوقت نفسه تمكّنت القوات العربية المشتركة في المنطقة الشرقية من فتح ستة ممرات في الدفاعات العراقية جنوبي الكويت، بينما تقدّم اللواء الثاني من الحرس الوطني السعودي بقيادة العقيد تركي عبد المحسن الفرم على الطريق الساحلية إلى الخفجي بمهمة الدفاع عن المدينة. وكانت كتيبة من مشاة البحرية السعودية، بقيادة العقيد عمار القحطاني، تتولى حماية الجانب الأيمن للقوات المشتركة العربية المواجه للخليج. وعلى بعد ٥٠٠ كلم في الجناح الغربي من الجبهة، اندفعت الفرقة السادسة المدرّعة الخفيفة الفرنسية، والفرقة ٨٢ المحمولة جواً، والفرقة ١٠١ اقتحام جوي، إلى الأمام في حركة التفاف لتقطع خطوط المواصلات على نهر الفرات وتقطع طريق الهرب على العراقيين.

لقد كان مقرراً أن يبدأ الهجوم الرئيسي في وسط الجبهة بالفيلق السابع الأميركي والفرقة الأولى المدرّعة البريطانية، بعد ٢٤ ساعة من بدء الهجوم البري، أي في اليوم القتالي الثاني، أو اليوم الثاني للقتال، متزامناً مع هجوم القوات المشتركة في المنطقة الشمالية، أي القوات المصرية والسورية والسعودية والكويتية.

اخترقت القوات المشتركة في المنطقة الشرقية، ومشاة البحرية الأميركية إلى الغرب منها خط الدفاع العراقي الأول بسرعة كبيرة دون أن تواجهها مقاومة تذكر. وأصبحت القوات في مواجهة الخط الدفاع الثاني، محصورة بين الخطين، وبالتالي كانت تخشى أن تصبح هدفاً للمدفعية العراقية أو الهجومات المضادة بهدف تدميرها.

وكان السؤال الذي طرح نفسه: هل تواصل القوات تقدّمها وتهاجم خط الدفاع الثاني؟ كانت الإجابة على السؤال تعتمد بشكل رئيسي على مدى توافر المساندة الجوية.

في مثل ذلك الوقت من السنة، تهب الرياح عادة من الشمال الغربي باتجاه الجنوب الشرقي وتكون السماء صافية. لكن المطر فاجأ الجميع وانهمر بغزارة يوم الهجوم، وتلبّدت السماء بالغيوم. يضاف إلى ذلك، أن سحب الدخان السوداء التي كانت تتصاعد من آبار البترول الكويتية

حدّت من مدى الرؤية الأفقية إلى ١٠٠ متر فقط.

وفجأة تغيّر اتجاه الريح، وبدأت تهب من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي، وتحسّنت الرؤيا الأفقية بشكل ملحوظ خلال ساعة واحدة. وبدأت طائرات التحالف تشنّ هجمات مكثّفة على المواقع العراقية.

تقدّمت القوات المهاجمة ونجحت في اقتحام خط الموانع الثاني، قبل حلول ظلام اليوم الأول من القتال. ورغم تعرّضها لنيران المدفعية، فإن عدداً كبيراً من الجنود العراقيين استسلموا، وجرت عدّة معارك محدودة، وفي منتصف ليل الخامس والعشرين من شباط، أمر الرئيس صدام حسين قواته بالانسحاب من الكويت. لقد بدا واضحاً أن الحملة الجوية التي استمرّت ٣٨ يوماً قد أتت ثمارها وأحدثت تدميراً كبيراً في صفوف القوات العراقية.

بعد ذلك، تقدّمت القوات العربية المشتركة وقوات المشاة الأميركية البحرية إلى الكويت على نحو سريع فاق كلّ التوقعات. وأربكت تلك السرعة الجدول الزمني المقرر للحملة البرية. فقد كان مقرراً أن يشن الفيلق السابع الأميركي الهجوم الرئيسي في اليوم الثاني للقتال، متزامناً مع هجوم القوات المصرية والسعودية والكويتية في المنطقة الشمالية. وإزاء سرعة التقدّم، كان لا بدّ من ضغط الجدول الزمني الأساسي. وكان رأي الجنرال شوارزكوف أن يبدأ الهجوم الرئيسي فوراً حتى يتمكّن التحالف من استغلال النجاح الذي يتحقق.

لذلك تغيّر توقيت الهجوم الرئيسي من الرابعة من صباح ٢٥ شباط إلى الرابعة من عصر ٢٤ شباط، ولكن هذا التغيير لم يبدّل شيئاً، لم تتمكّن القوات من استعجال شنّ الهجوم وتقديمه إثنتا عشرة ساعة.

على جبهة الكويت، تمكّنت فرقة المشاة البحرية الأميركية، قبل فجر ٢٧ شباط من السيطرة على مطار الكويت بعد معركة حامية، ثمّ تحرّكت لتأمين منطقة المطلاع التي تشرف على الطرق المؤدية إلى خارج الكويت. وفي وقت متأخر من صباح ذلك اليوم، وبعد أن خلت مدينة الكويت من القوات العراقية، دخلت القوات المشتركة

في المنطقة الشمالية مدينة الكويت من جهة الغرب، دون أن تعترضها أية مقاومة، ثمّ التقت بالقوات المشتركة في المنطقة الشرقية التي حققت أهدافها جنوب المدينة. وكانت المقاومة العراقية في تلك المنطقة معدومة. وقد تمكّنت القوات المشتركة من أسر أكثر من ٢٥ ألف جندي عراقي بينما وقع في أيدي قوات التحالف أكثر من ٩٠ ألف مقاتل.

أما على الجانب الأيسر من الجبهة، فقد نفّذ الأميركيون والفرنسيون والبريطانيون هجوماً تحوّل في حقيقة الأمر إلى تمرين واسع النطاق ضد الجيش العراقي.

فعلى سبيل المثال، اندفعت الفرقة ١٠١ اقتحام جوي، وتسمى «النسور الصارخة» نحو نهر الفرات وقامت بأكبر عملية نقل جوي بالطائرات العامودية يشهدها التاريخ العسكري. كما كان القائد الفرنسي الفريق روكجوفر أول قائد ميداني في العصور الحديثة يأخذ أسرى بنفسه؛ فعندما كان عائداً من إحدى جولاته الاستطلاعية في طائرة عامودية، شاهد مجموعة من الجنود العراقيين يلوحون بالرايات البيضاء، فهبط بطائرته وقَبل استسلامهم وأخذهم أسرى في الطائرة. دخلت القوات المشتركة مدينة الكويت، ترافقها قوات المقاومة الوطنية الكويتية، التي ظهرت علناً على مسرح الاحداث بعد رحيل العراقيين، وسط هتافات وتصفيق السكان.

صباح ٢٨ شباط، أي خامس يوم الحرب، أصدر الرئيس بوش قراره بوقف العمليات العسكرية، قبل أن تحسم قوات التحالف الأمر لصالحها مئة بالمئة، حيث كانت المعارك مع فرق الحرس الجمهوري العراقية غير منتهية بعد.

توقف القتال، ولم يكن انتصار الحلفاء كاملاً، فعلى الرغم من ان الفيلق الثامن عشر الأميركي تحرّك مسرعاً، إلاّ أنه لم يتحرّك بالسرعة الكافية. كما أن الفيلق السابع لم ينجح في استكمال تدمير الحرس الجمهوري. ونتيجة لكلّ ذلك، نجح ١٠٠ ألف من الجنود العراقيين، وبينهم وحدات كاملة من الحرس الجمهوري، بالفرار إلى البصرة، ومن ثمّ من طريق شط العرب إلى القرنة.

ط - تقييم الحملة البرية:

كانت الحرب البرية أسهل بكثير مما أعدّ لها. فلم يكن هناك وجه للمقارنة بين القوات على الجانبين: كان في الجانب العراقي مجندون تجنيداً إلزامياً، وغير مدرّبين، ويتمركزون في مواقع دفاعية ثابتة دون غطاء جوي. أمّا على الجانب الآخر، فكان الجيش الأميركي، بأحدث وأقوى تشكيلة تضم محاربين أشداء ومدرّبين ومجرّبين بالاضافة إلى أنظمة متطوّرة من الأسلحة والمعدات، مثل طائرات أواكس وقاذفات ستيلث، وصواريخ توماهوك وعربات القتال برادلي ودبابات M1A1 ونظام تحديد المواقع .G.P.S وغير ذلك.

على الجانب العراقي، ونتيجة للضربة الجوية المستمرّة على مدى ٣٨ يوماً، غدت خطوط الامداد مقطوعة، وأضحت البنية الأساسية للاقتصاد العراقي محطمة.

على الجانب الآخر لم تتأثر عمليات حشد القوات ونشرها وطرق الامداد باية عمليات عدائية، كانت عمليات التفريغ من الموانىء تتم بيسر وسهولة بفضل المعدات الحديثة المتوافرة وعدم قدرة القوة الجوية العراقية على التحرّك لمهاجمة قوات التحالف في العمق.

بعد جلاء آخر جندي عراقي عن الكويت، تمركزت القوات السعودية على الحدود الغربية للكويت لحمايتها وبقيت هناك ٧ أشهر. كما كلّفت بعض القوات السعودية، بناءً لطلب من أمير الكويت بحماية بعض المنشآت الكويتية الحيوية، مثل مطار الشعيبة ومحطة التحلية الرئيسية ومحطّة الطاقة الكهربائية الرئيسية.

بعد ذلك، شكّلت فرقة هندسية كويتية بإشراف السعوديين، وزودت بالمعدات اللازمة لإزالة الألغام والقذائف التي لم تنفجر.

انتهت حرب الخليج الثانية بانتهاء الحملة البرية التي استغرقت ١٠٠ ساعة. وبهذه الحرب انتهى احتلال العراق للكويت، وقضت على الأحلام التوسعية للرئيس العراقي باتجاه دول الخليج، وأفقدت العراق القدرات العسكرية الكبيرة التي كان يتمتع بها ويوظّفها في تخويف جيرانه.

في الثامنة من صباح يوم ٢٨ شباط ١٩٩١، أصدر الرئيس بوش أوامره بوقف

العمليات العسكرية؛ وكان ذلك إيذاناً بنهاية رسمية للعمليات العسكرية في حرب الخليج الثانية.

وقد فاجأ الأميركيون بتوقيت وقف النار والعمليات الحربية، الجميع، خاصة وأن وحدات من الحرس الجمهوري ما زالت على قدراتها، ولم يتم الدخول إلى بغداد العاصمة.

ولقد عزا بعض المراقبين أسباب عدم متابعة القوات الأميركية تقدّمها إلى الأمور التالية:

١ - إبقاء العراق على حد أدنى من القدرات العسكرية للدفاع عن نفسه ضد إيران، وهو ما ترجم بالسماح للوحدات العسكرية المأسورة بالعودة إلى العراق مع أسلحتها.

٢ - رغبة الأميركيين على المحافظة على بعض الوحدات العسكرية في الجيش العراقي لتمكينها من القيام بانقلاب عسكري للإطاحة بالرئيس صدام حسين.

٣ - عدم تكبيد العراقيين خسائر فادحة، بعد تحرير الكويت، لعدم إثارة الرأي العام العالمي، والمحافظة على رأي عام عربي متعاطف مع قوات التحالف.

٤ - رغبة الدول العربية المشاركة مع قوات التحالف، وشروط بعضها، باقتصار العمليات العسكرية على تحرير الكويت دون احتلال العراق، وخاصة دون دخول قوات التحالف إلى العاصمة بغداد.

ولكن وقف العمليات الحربية من جانب قوات التحالف، لم يمنع حدوث بعض الاشتباكات، والتي كان أخطرها ما حدث صباح اليوم الثاني من شهر آذار، عندما هاجمت وحدات من الفرقة ٢٤ مشاة آلية الأميركية رتلاً عراقياً بالقرب من حقول بترول «الرميلة»، ودمّرت أعداداً كبيرة من العربات المدرّعة وقطع المدفعية العراقية.

رابعاً - ترتيبات نهاية الحرب

أ - اجتماع صفوان:

بعد توقف العمليات العسكرية، عقد اجتماع عسكري، في الثالث من آذار ١٩٩١، في مهبط للطائرات في مدينة صفوان

في العراق والتي تبعد حوالي ثمانية كيلومترات عن الحدود الكويتية.

ضمّ الاجتماع عن الجانب الأميركي الجنرال شوارزكوف، وعن جانب القوات العربية المشتركة الفريق خالد بن سلطان، وعن الجانب العراقي، الفريق سلطان هاشم أحمد نائب رئيس الأركان العراقي، والفريق صالح عبود محمود، قائد الفيلق العراقي الثالث.

استقبل الوفد العراقي على بعد نحو ثلاثة كيلومترات خارج صفوان. وحضر في عربات عسكرية مدولبة (HUMVEES) ترفع علم جمعية الهلال الأحمر، وتحت حراسة أميركية مشدّدة مكوّنة من عربتي قتال مدرّعتين BRADLEY ودبابتين M1A1، فيما حلقت فوق رؤوسهم طائرتان عاموديتان من طراز Apache. وقد خضع الضابطان العراقيان إلى التفتيش عن أسلحة فردية وسارا بين صفين من الكلاب المدرّبة على كشف المتفجّرات.

جلس الفريق خالد بن سلطان والجنرال شوارزكوف جنباً إلى جنب حول طاولة من الخشب الأحمر، وجلس أمامهما، على الطرف الآخر من الطاولة، الضابطان العراقيان ومترجمهما بالزي العسكري الشتوي الأخضر الداكن. أوضح الفريق العراقي سلطان هاشم أحمد ان التدمير الذي أصاب الجسور والطرق حال دون حضور أعضاء الوفد الآخرين.

جلس خلف الجنرال شوارزكوف جميع قادة قوات التحالف وكبار الضباط الأميركيين. فكان من الجانب البريطاني الجنرال السير بيتر دي لابليير، وعن الجانب الفرنسي، الجنرال مايكل روكجوفر، واللواء صلاح حلبي من مصر، واللواء علي حبيب من سوريا، واللواء جابر الصباح من الكويت، بالإضافة إلى قادة آخرين من إيطاليا وكندا ودول مجلس التعاون الخليجي وبلدان أخرى.

بدا واضحاً منذ بداية الاجتماع، أن الوفد العراقي كانت لديه تعليمات بأن يكون ليّن الجانب، ترجمها رئيس الوفد العراقي الفريق سلطان بالقول: «إنه مخوّل ومكلّف بجعل الاجتماع ناجحاً يسوده التعاون التام».

جرت المحادثات انطلاقاً من وثيقتين: شملت الوثيقة الأولى البنود المبدئية

للاجتماع، وقد أبلغت بها الحكومة العراقية بواسطة الأميركيين في الأول من آذار. أمّا الوثيقة الثانية فهي قرار مجلس الأمن رقم ٦٨٦ نفسه الذي صدر مساء الثاني من آذار، أي قبل الاجتماع بساعات قليلة، بأغلبية أحد عشر صوتاً مقابل صوت واحد هو صوت كوبا، وامتناع ثلاثة دول عن التصويت، هي الصين والهند واليمن. وكان القرار يلزم العراق بأمور عدّة منها:

- وقف الأعمال «العدوانية والاستفزازية» من جانب قواته، بما في ذلك هجمات الصواريخ وتحليق الطائرات المقاتلة.
- تسمية قادة عسكريين للاجتماع إلى نظرائهم من قوات التحالف لاتخاذ الترتيبات العسكرية لوقف الأعمال «العدوانية» في أسرع وقت ممكن.
- اتخاذ الترتيبات اللازمة لوصول اللجنة الدولية للصليب الأحمر إلى جميع أسرى الحرب فوراً وإطلاقهم تحت رعايتها، إضافة إلى إعادة جثث القتلى.

وفي الخطوط العريضة لهاتين الوثيقتين، كان مسار المباحثات معروفاً ومتوقعاً إلى حدّ كبير، إلاّ أن موضوعاً مهمّاً طغا على السطح فجأة ولم يكن مدرجاً على جدول أعمال الاجتماع وهو موضوع الأسرى.

لقد اختار الجنرال شوارزكوف ان يبدأ المباحثات بمناقشة موضوع أسرى الحرب.

قال: «أول موضوع نريد مناقشته هو موضوع أسرى الحرب، نريد منكم الأمور التالية: أولاً، السماح للجنة الدولية للصليب الأحمر الدولي بالاتصال الفوري بأسرانا المحتجزين لديكم».

أبدى الفريق سلطان موافقته الفورية على طلب شوارزكوف وقال «سيتم تنفيذ ذلك»، وأردف قائلاً: «كانت تلك وستظل نية العراق».

أثار بعد ذلك الجنرال شوارزكوف، موضوع ترتيبات الافراج عن أسرى الحرب جميعهم على الفور، وبالطريقة التي يراها الصليب الأحمر مناسبة: «اننا مستعدون لبدء إطلاق أسرى الحرب على الفور، وفي المكان الذي تختاره لجنة الصليب الأحمر.

بعد ذلك أثيرت قضية الأسرى المدنيين الكويتيين المحتجزين في العراق.

قال الفريق خالد بن سلطان السعودي: «اني أتحدّث عن ٥٠٠٠ كويتي أو أكثر

أخذوا عنوة من الكويت، ما هو وضعهم؟ هل هم أسرى أم لا؟

أجاب الفريق سلطان العراقي بأنه سيوافي المجتمعين بالأعداد الكاملة لأسرى الحرب الكويتيين. ثمّ قال: «عندما بدأت الحرب، اختار كثير من الكويتيين من أصل عراقي الذهاب إلى العراق، لذلك بالنسبة إلينا، سوف يطلق جميع الأسرى، أما الكويتيون المقيمون في العراق، فالأمر يعود إلى رغبتهم بالبقاء أو المغادرة».

قال الفريق خالد: «لا بدّ من إحصاء كلّ الكويتيين المقيمين في العراق، ثمّ تتولّى لجنة دولية مسألة التحقق من رغبتهم في العودة أو البقاء.

ولكن، وكما هو معروف الآن، فإن تسوية أمر الكويتيين المدنيين لم تتم بصورة نهائية ولا يزال موضوعهم يتابعه الكويتيون مع العراقيين والجهات الدولية حتى اليوم.

بعد اجتماع صفوان مباشرة، بادر العراقيون إلى إطلاق أكثر من ألف معتقل، كما سمحوا للجنة الدولية للصليب الأحمر بزيارة وتسجيل وإحصاء عدد كبير من المعتقلين، وقد بلغ عدد المفرج عنهم نهائياً من مدنيين وأسرى حرب أكثر من ٦٥٠٠ كويتي، كما نجح الكثير من المعتقلين الآخرين بالهرب من معتقلاتهم، في الأسابيع التالية، خلال الفوضى التي نجمت بعد اندلاع التمرّد في جنوب العراق وعادوا إلى بلادهم سيراً على الأقدام.

ولكن وحتى كتابة هذه السطور، ما زال نحو ٦٠٠ كويتي في عداد المفقودين وهو عدد كبير نسبة إلى عدد سكان الكويت، ويعتقد ان بعضهم قد قضى نحبه.

على الجانب الآخر، ذهل الوفد العسكري العراقي عندما أخبر ان لدى قوات التحالف أكثر من ٦٠ ألف أسير عراقي. وقام الوفد العراقي بتسليم الجانب الآخر خرائط بحقول الألغام في الكويت والمياه المحيطة به، وأعطوا تعهّداً قاطعاً بعدم استعمال صواريخ سكود.

من جهة أخرى، جرت مناقشة ضرورة الفصل بين القوات الأميركية والعراقية في الخطوط الأمامية تجنّباً لأية اشتباكات في المستقبل. وكان الفريق سلطان حريصاً على تأكيدات بأن الخط الذي اقترحه الجنرال شوارزكوف للفصل بين القوات يجب ان

يكون لمسافة ١٠٠٠م. من كلا الجانبين وأن لا يكون خطاً دائماً، بمعنى أن لا يكون له أي علاقة بترسيم الحدود. وأكد الجنرال شوارزكوف للوفد العراقي أن القوات المتحالفة لن تبقى بشكل دائم داخل الأراضي العراقية، بعد توقيع قرار وقف إطلاق النار.

خلال المباحثات، سأل الفريق سلطان هاشم إذا كان بإمكان الطائرات العامودية العراقية التحليق في سماء العراق، بحجّة نقل بعض المسؤولين الحكوميين من موقع لآخر بسبب تدمير معظم الجسور والطرق.

أجابه شوارزكوف قائلاً: «ما دامت تلك الطائرات لن تحلّق فوق مواقعنا فلا مانع من ذلك على الإطلاق. إننا نسمح بتحليق الطائرات العامودية، وهذه نقطة مهمة وأريد تسجيلها في محضر الاجتماع، يسمح للطائرات العراقية العامودية فقط، من دون الطائرات المقاتلة أو القاذفات، بالتحليق فوق العراق».

وعاد الجنرال شوارزكوف للتأكيد على هذه النقطة: «سأصدر تعليماتي إلى قواتنا الجوية بألاّ تطلق النار على أية طائرة عمودية تحلّق فوق العراق، في ما عدا المنطقة التي نتمركز فيها حتى ولو كانت الطائرات مسلّحة، أمّا إذا كانت تحلّق فوق منطقتنا، فمن الأفضل ألاّ تكون مسلّحة، وأن تحمل علامات مميّزة برتقالية اللون على جانبيها كإجراء أمني إضافي».

ولا يخفى على أحد، أن هذا التنازل المهم كانت له عواقب وخيمة، لا سيما على أهل البصرة وجنوب العراق، الذين وجدوا أنفسهم في مواجهة مدافع الطائرات العامودية، عندما أعلنوا تمرّدهم بعد إنتهاء الحرب بفترة قصيرة.

هناك فرضية وردت في مقالة(١) نشرتها إحدى الصحف الأميركية، تقول إن شوارزكوف سمح للعراقيين باستخدام طائراتهم العامودية المسلّحة اعتقاداً منه أن وحدات الطائرات العامودية يمكن أن تقود انقلاباً على الرئيس صدام حسين. ولكن صحة هذه الفرضية لم تثبت لاحقاً.

استغرقت مباحثات صفوان، التي عقدت في الثالث من آذار، ساعتين، من الحادية

(١) Laurie Mylroie, "Iraq's Real coup. washington post, June 28, 1992.

عشـرة والـنصـف صـبـاحـاً إلى الـواحـدة والنصف ظهراً. انتهى الاجتماع ولم يوقع العراق أية وثيقة رسمية. ونالوا حق تحليق طائراتهم العامودية المسلّحة فوق العراق، مما أثـار الشـكـوك والـتسـاؤل عـنـد الـقـادة الـعسـكـريين الـعـرب الـذيـن حضـروا الاجـتـمـاع، وعـلـى وجـه الخصـوص، السعوديين والكويتيين.

ب - هدوء العاصفة:

مع انتهاء الحرب، بدأت عملية تفكيك الآلة الحربية الضخمة لقوات التحالف.

لقد سبق للرئيس بوش ان تعهّد للملك فـهـد بمغـادرة الـقـوات الأميركـيـة ومعـداتها الحربية المملكة العربية السعودية فور انتهاء الحرب. وكـان الأميركـيـون حـريصين عـلى الوفاء بوعدهم. غير أنهم كانوا بحاجة كبيرة للمساعدة السعودية لتنظيم رحلات العودة، مثلما كانوا محتاجين إلى تلك المساعدات في عمليات تنظيم وصول القوات ونشرها في المسرح.

غـادرت الـقـوات الأميركـيـة المملـكـة في أعداد هائلة، وصلت إلى ٥٠٠٠ فرد تقريباً كلّ يوم، أي ما يزيد على ٤٠٠ ألف خلال ٩٠ يوماً، وربما كانت تلك أسرع عمليات رحيل نفّذتها القوات الأميركية من منطقة صراع في تاريخها العسكري.

لقد استخدم لهذا الغرض أكثر من ٤٠٠ سفينة ضخمة، ذات مساحات واسعة تسمح بتحرّك العربات والمعدات داخلها بسهولة.

وإذا عـدنـا قـليـلاً إلى الـوراء في الـتـاريـخ الـعسـكـري، نـرى ان الجيـوش الأميركـيـة خـلـفت وراءهـا، في نـهـايـة الحرب الـعـالمية الثانية، الكثير من معداتها الحربية في المانيا، ولم تأخذ معها إلاّ القليل. أما في الحرب الكورية، فلم يكن لدى القوات الأميركية هناك الاّ قدر قليل من القوات والعتاد. أمّا في فـيـتـنـام، ولأن الأميركـيين غـادروها عـلى عـجـل، فـقـد خـلـفـوا وراءهـم عـتـاداً يـقـدر بمليارات الدولارات مكدّساً في المخازن، بما في ذلك دبـابـات وقـطـع مـدفـعـيـة وعـربـات نـقـل مجنزرة وورش كاملة وغير ذلك.

ولعلّ حرب الخليج هي أول حرب في التاريخ الأميركي يتم فيها إخلاء كلّ الجنود وأغلب العتاد من مسرح العمليات. بينما بيع الفائض من مختلف الأصناف بكميات

كبيرة في مزادات علنية قرب قاعدة الملك عبد العزيز الجوية في المنطقة الشرقية.

وقد أطلق على عمليات الاخلاء والعودة اسم عملية «وداع الصحراء». لقد إنتهت الحرب ولدى المملكة العربية السعودية مخزون هائل من الخيم والحرامات والملابس والعربات من كلّ نوع وطراز، فضلاً عن قطع الغيار والمولدات، وقد أعطيت التعليمات باهداء هذه المعدات إلى القوات العربية التي شاركت في مساندة المملكة. كما أخذت تلك القوات قسماً من المعدات العراقية التي استولى عليها التحالف. وفي عملية تقييم للاخلاء، تبيّن أن اعتناء القوات العربية بالمعدات وتدابير الأمان كانت أفضل بكثير من قوات التحالف. وقد أشار الخبراء الذين كلفوا بالتفتيش على المواقع أن القوات العربية لم تخلف طلقة واحدة حية وراءهم. بينما أشارت التقارير الخاصة بقوات التحالف ومواقعها العثور على كميات كبيرة من الذخيرة الحية، تركت من دون حراسة، ومنها ذخيرة دبابات وقذائف مدفعية وصواريخ راجمات، حتى انه عثر على بعض الأسلحة الفردية وذخيرتها.

بعد انتهاء الحرب، استغرق الأمر عامين أو أكثر من العمل الشاق واجاد وإنفاق عشرات الملايين من الدولارات لرفع مخلّفات الحرب من مناطق الرعي شمالي المملكة، حفاظاً على سلامة وأمن المواطنين ومواشيهم.

أما الفارون من الجيش العراقي، والذين التحقوا بالمملكة خلال الحرب وبعدها، فقد عوملوا كلاجئين وليس كأسرى حرب، وأمن لهم المسكن المريح وراتباً شهرياً ورعاية خاصة. وقد استفاد السعوديون من هؤلاء الفارين في مجال المعلومات، وبفضل هذه المعلومات تمكّن السعوديون من رسم صورة أكثر دقة للقوات العراقية.

وبالنسبة لأسرى الحرب، فقد شيّدت المملكة معسكرات تتسع لمائة ألف رجل. فأقيم معسكر في النعيرية، وآخر قريب من حفر الباطن. أمّا المعسكر الثالث فأقيم على مشارف الارطاوية في منطقة منعزلة بعيدة عن المدينة الرئيسية، وهو أكبر المعسكرات حجماً ويتسع لنحو ٤٥ ألف رجل. وقد كان الأمر يستلزم شق الطرقات إلى تلك المعسكرات وتعبيدها، ونصب الخيم،

وتخزين المواد الغذائية، وتأمين المياه إليها بواسطة الصهاريج. وأسندت قيادة كلّ معسكر إلى ضابط سعودي برتبة عميد، كما أوكلت مهمّة الاشراف على جميع معسكرات الأسرى إلى اللواء حاتم عبدالله العكاسي الذي كان يرأس قسم شؤون اللاجئين والأسرى في قيادة القوات المشتركة. وفي نهاية الحرب كان لدى التحالف أكثر من ٦٠ ألف أسير عراقي، أعلن ١٤ ألف منهم عدم الرغبة في العودة.

وعندما وقع التمرّد في جنوب العراق ومعظم سكانه من الشيعة في آذار ١٩٩١، أي بعد أيام من نهاية الحرب، لجأ الآلاف إلى الكويت والمملكة هرباً من بطش القوات العراقية، ولجأ بعضهم إلى القوات الأميركية التي كانت ما تزال متمركزة في العراق. وقد بلغ عدد اللاجئين في صفوان ٦٥٠٠ شخص، وأكثر من ٧٠٠٠ في السّادة، وهي منطقة تقع إلى أقصى الغرب من صفوان. ومع انسحاب القوات الأميركية، كان أكثر من ٢٥ ألف عراقي ينزح عن العراق بعد الحرب إلى المملكة والكويت. وقد أكرم السعوديون هؤلاء اللاجئين وبدأ سيل الإغاثة يتدفّق إليهم ليخفف من معاناتهم: مئات من الأغنام كلّ يوم، شاحنات محمّلة بالفواكه والخضراوات، عشرات الآلاف من قوارير المياه، أدوات المطبخ، حليب للأطفال، ملابس، بطانيات، أغطية، فرش، أثاث، ملابس داخلية، ولقد قامت هيئة الإغاثة الاسلامية، وهي منظّمة عالمية مقرّها الرياض، بجهد كبير لمساعدة اللاجئين. كما تمّ استئجار فندق في الرياض لإقامة اللاجئين عند مجيئهم إلى العاصمة لمراجعة المستشفيات أو السفارات أو الدوائر الحكومية للمراجعة بشأن أهاليهم المفقودين.

وكان بين اللاجئين حوالي ٢٥٠ مهندساً و١٠٠ طبيب وعدد كبير من كبار الموظفين المدنيين والدبلوماسيين والمدرّسين وأصحاب المصانع والمحافظين.

الأمير خالد بن سلطان قائد القوات المشتركة يودّع الجنرال شوارزكوف:

في نيسان ١٩٩١، جرت مراسم الوداع بين الجنرالين اللذين قادا حرب الخليج، الجنرال شوارزكوف قائد القوات الأميركية وقائد

قوات التحالف، والأمير خالد بن سلطان، قائد القوات العربية المشتركة. كانت حفلة الوداع مؤثّرة على الرغم من بساطتها. وقد وصف الجنرال شوارزكوف الأمير خالد «بالخادم المخلص للمملكة» وقلّده وسام الاستحقاق من درجة القادة. وسلّمه كلمة خاصة من الرئيس بوش تمتدح دوره القيادي في تحقيق النصر. كما قلّد الأمير خالد الجنرال شوارزكوف وسام الملك عبد العزيز من الدرجة الأولى، وهي المرة الأولى التي يتقلّد فيها هذا الوسام الرفيع ضابط غير سعودي.

بعد انتهاء الحرب مباشرة، تقدّم الفريق خالد بن سلطان باستقالته من الجيش بسبب يعلّله في كتابه مقاتل من الصحراء: «... وكان من غير المقبول أن أعود إلى موقعي القديم في المؤسّسة العسكرية (سلاح الدفاع الجوي)، بعد أن توليت أضخم وأكبر المسؤوليات، فأصبح من جديد، تحت قيادة ضباط، كانوا بالأمس، وخلال الحرب، تحت قيادتي ويأتمرون بامرتي. كما أن هناك دافع آخر جعلني اتجه إلى التخلّي عن القيادة بعد تحمّل المسؤولية وإنجاز المهمة، وهو ان تكون تلك سابقة عزّ لن يوجد لها مثيل في العالم الثالث، حيث يتشبث الناس بالمناصب والالقاب، فلا يتخلّون عنها، إلاّ بعد عشرات السنين».

ثمّ يتابع قائلاً: «في ٢٧ مايو ١٩٩١، رفعت خطاباً إلى خادم الحرمين الشريفين، القائد الأعلى للقوات المسلّحة السعودية، أطلب إليه الموافقة على إحالتي إلى التقاعد. كان أصعب قرار اتخذته في حياتي. كنت أضحي بكلّ ما ناضلت من أجله، وأنا لا أزال في ريعان الشباب، إذ كنت لا أتجاوز الثانية والأربعين، وأترك رفاقي الذين أمضيت معهم أحلى سني عمري. وأضع نهاية لحياتي العسكرية التي طالما عشقتها وعشتها بكلّ جوارحي».

في الرابع والعشرين من أيلول ١٩٩١، صدر مرسوم ملكي قضى بترقية الفريق خالد إلى رتبة فريق أول وإحالته إلى التقاعد. وأعلن ذلك رسمياً في وسائل الإعلام.

خامساً – الدروس المستفادة من حرب الخليج الثانية

يجمع الخبراء العسكريون على ان حرب الخليج الثانية فريدة من نوعها، فهي لا تشبه،

مـن قـريب أو بـعـيـد، تـلك الحروب أو الصراعات التي اندلعت في المنطقة في العقود الماضية. فهي لا تشبه الحرب العراقية - الإيرانية، أو الحروب في القرن الافريقي، أو في جنـوب السـودان، أو اليـمـن، أو يوغوسلافيا. ثم إنها لا تشبه الحروب التي دارت بين اسرائيل والعرب في ١٩٦٧، ١٩٧٣، ١٩٨٢، أو الانتفاضة العسكرية في الأراضي المحتلة.

حرب الخليج الثانية ليست حرباً تقليدية، كانت شيئاً مختلفاً تماماً، ففي جانب التحالف، نجد القوى الرئيسية قوى عظمى، والأسلحة المتقدّمة التي تمّ نشرها، مثل الأقمار الصناعية، والطائرات المتسللة التي لا يكتشفها الرادار، وصواريخ كروز التي تنطلق من الغواصات، وغير ذلك من أسلحة متطوّرة ومعدات حديثة، كلّ ذلك لا نجده إلاّ عند القوى العظمى.

أما على الجانب الآخر، فكانت إمكانات العراق لا تتعدى إمكانات وقدرات دولة في العالم الثالث، تكدّست لديها، نتيجة حربها مع إيران، آلة حربية ضخمة ولكن تقليدية، غير متقدّمة، وبالتالي كان الصراع غير متكافىء على جميع الأصعدة: عدد القوات، التدريب، الأسلحة، التكنولوجيا، والروح المعنوية والحافز إلى القتال.

الدرس الأول: شروط التدخّل العسكري لقوى الغرب:

لا يمكن النظر إلى غزو العراق للكويت كأنموذج للتهديدات في المستقبل بالنسبة لدول الخليج، كما لا يمكن النظر إلى حرب الخليج الثانية كأنموذج لحل الأزمات. فغزو الكويت قرار يمكن اعتباره قراراً شخصياً أو فردياً أكثر من اعتباره قرار استراتيجي، والأمر متعلّق بشخصية الرئيس صدام حسين أكثر ممّا هو متعلّق بنزاعات حدودية أو تضارب مصالح، أو تنافس إقتصادي. ويمكننا القول إنه لو لم يكن هناك شخص كالرئيس صدام، لكان الغزو بعيد الاحتمال.

وبالنسبة إلى هذا التدخّل الضخم من قبل قوات التحالف، فإن تكراره أمر صعب إلاّ إذا تهدّدت مصالح الدول الكبرى، لأن ذلك فقط يجعل من هذا التدخّل أمراً ممكناً. أمّا القول بأن الدول العظمى تتدخّل

عسكرياً لتحرير دولة احتلّت من قبل دولة أخرى، فهذا تبسيط للموضوع، ولولا البترول من جهة، وإسرائيل من جهة ثانية، وإيران من جهة ثالثة، لما تحرّك الغرب بهذه القوة وبهذا التصميم في هذه المنطقة.

الدرس الثاني: أخطاء الرئيس العراقي في تقدير الموقف السياسي:

أخفق الرئيس صدام حسين في إدراك الأهمية الاستراتيجية التي يوليها المجتمع الغربي للاستقرار في منطقة الخليج التي تشكّل المورد الرئيسي للبترول إليها. وهناك سوابق سياسية وتاريخية كان ينبغي على الرئيس صدام أن يأخذها في الحسبان: ففي العام ١٩٦١، عندما هدّد الرئيس العراقي عبد الكريم قاسم باحتلال الكويت، دفعت بريطانيا، وكانت القوة المسيطرة آنذاك في الخليج، بقواتها إلى المنطقة، لإحباط المحاولة، وبعد ذلك بوقت قصير، استبدلت القوة البريطانية بقوّة مشتركة من جامعة الدول العربية تحت قيادة ضابط سعودي، هو العميد عبدالله عبد العزيز العيسى. وكان هذا الانتشار العسكري يعني بالدرجة الأولى تصميم بريطانيا والدول العربية على عدم المس بأمن الخليج أو إخلال التوازن فيه.

وهناك مثال آخر غاب عن بال الرئيس صدام حسين أيضاً، وذلك عندما قامت الولايات المتحدة الأميركية بنشر قطعها البحرية لحماية ناقلات البترول الكويتية في المراحل الأخيرة للحرب العراقية الإيرانية. وهذا يدلّ على تصميم الولايات المتحدة على ضمان تدفّق البترول، وحرية الملاحة واستقرار الأنظمة السياسية في الخليج.

الدرس الثالث: سوء تقدير العراق للموقف العسكري:

لم يكن للقيادة العراقية صورة دقيقة وصحيحة عن القدرات العسكرية لقواتها المسلّحة. ففي العام ١٩٦٧، كان الرئيس المصري جمال عبد الناصر يتلقّى تقارير مبالغ فيها من المشير عبد الحكيم عامر، القائد العام، عن الاستعداد القتالي للقوات المسلّحة المصرية وقدرتها على تلقي الضربة الأولى الاسرائيلية، مما أدّى إلى تلك الهزيمة الكبيرة لمصر في مواجهة إسرائيل.

صحيح أن القوات العراقية كانت تعتبر احتلال الكويت نزهة وهكذا كان، ولكن المستغرب هو عدم الانسحاب العراقي من الكويت، حتى بعد ان تأكد للعراقيين جدية الدول العظمى في قرار نشر القوات في السعودية بهذه الضخامة. فهل خدع الرئيس صدام حسين؟ هل خدع أولاً من قبل الأميركيين عندما أشارت له السفيرة الأميركية في بغداد غلاسبي، ان اهتمامات الولايات المتحدة ليست منصبّة الآن على منطقة الخليج، بل على التغييرات المرتقبة في الكتلة الشرقية وهذا ما فسّره الرئيس صدام حسين بأنه ضوء أخضر أميركي لغزو الكويت.

وهل خدع ثانياً من قبل معاونيه العسكريين على قدرة القوات العراقية المحتلّة للكويت من إنزال خسائر كبيرة في صفوف قوات التحالف مما يجبرها على الانسحاب من المنطقة خوفاً على أرواح جنودها؟

لا شك أن تقدير الأخطار المحتملة وتقديم المشورة الصادقة والدقيقة إلى القيادة السياسية أمران في غاية الأهمية، وهما غالباً ما يغيبان في بلد تتركّز فيه السلطة في جميع جوانبها في شخص واحد. إن الديموقراطية هي الحل الأنسب والأفضل لتجنيب البلاد ويلات الحرب المدمّرة وتوجيه الخيارات دائماً إلى الحوار والدبلوماسية والسياسة لحلّ المشكلات العالقة.

الدرس الرابع: ضرورة إلمام القيادات العسكرية بالأمور السياسية:

من البديهي أن الجيش يجب أن يكون دائماً بعيداً عن السياسة والسياسيين، ويجب أن يبقى فوق الصراعات الداخلية والنزاعات المحلية السياسية، ويجب أن يكون تحت أمرة القيادة السياسية.

غير أن الأمر لا يمنع من أن يكون الضباط خاصة على إلمام كامل بالأمور السياسية، ولا سيما على مستوى القيادة العليا. إن تقدير الموقف السياسي بدقّة يسمح بتجنّب التهوّر والانزلاق نحو الأخطار والمراهنات الخاطئة.

ان العلاقة بين السياسة والحرب يجب أن تكون علاقة وثيقة. فعندما كتب العسكري البروسي والمفكّر الاستراتيجي، «كارل ڤون كلوزفيتز»، في أوائل القرن التاسع عشر، أن

الحرب امتداد للسياسة ولكن بوسائل أخرى، كان يقصد ان الدول تلجأ إلى الأعمال العسكرية لتحقيق أهداف سياسية.

من هنا فإن تدريب نوعية جيّدة من القادة تصلح لقيادة قوات كبيرة، ويكون لديها إلمام تام بالأمور السياسية، إلى جانب إتقان فن الحرب، ضرورة أساسية شرط أن لا يفهم من ذلك أنه دعوة للعسكريين لإقحام أنفسهم في الممارسات السياسية.

الدرس الخامس: أهمية تأييد المجتمع الدولي:

لقد أضحى متعذّراً في عقدنا الأول من القرن الواحد والعشرين، خوض حرب، حتى في أقصى بقاع العالم، ناهيك عن منطقة شديدة الحساسية مثل منطقة الشرق الأوسط، من دون أن تؤخذ مصالح المجتمع الدولي في الحسبان. فقد يتوقّف النصر أو الهزيمة في حرب ما على تأييد المجتمع الدولي لطرف دون الآخر. لذا، كان لزاماً على القادة السياسيين أن يسعوا دائماً إلى كسب التأييد الدولي وإقناع الرأي العام العالمي بعدالة القضية.

غير أن هذا الأمر بدأ بالانحسار مع بداية تكوّن النظام العالمي الجديد الذي أصبح أحادياً لصالح الولايات المتحدة الأميركية التي هيمنت على الأمم المتحدة ومجلس الأمن والمجتمع الدولي. والمثال الواضح لهذا الأمر، ما حصل مؤخّراً في العراق، في العام ٢٠٠٣ عندما تمّ غزوه واحتلاله بناء لحجج وذرائع تبيّن فيما بعد أنها غير صحيحة. لقد كان للمجتمع الدولي رأي حاسم في ظلّ الثنائية التي كانت قائمة، امّا بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، وعدم تكوّن قوّة بديلة عنه لا في اوروبا ولا في الصين، فإن العالم بكامله أصبح مرتهناً لمشيئة الولايات المتحدة الأميركية.

الدرس السادس: دور أجهزة الاستخبارات:

يقول ماوتسي تونغ «اعرف نفسك واعرف عدوّك أيضاً، لأن المعرفة الثانية تحقق لك في كلّ مائة معركة مائة انتصار».

عندما بدأ العراق يحرّك قواته في اتجاه الجنوب، ظنّ العرب وحتى الغرب، ان

العراق يمارس ضغوطاً على الكويت لتدفع فدية الحرب الايرانية - العراقية والبالغة عشرة مليار دولار. كما ظنّ الجميع أن الأمر لا يعدو كونه مناورة سياسيّة، حتى أن أجهزة الاستخبارات الأميركية والانكليزية والتي تعد الأقوى في العالم، وقعت هي أيضاً في الفخ وقالت إن «الرئيس صدام يراوغ لا أكثر ولا أقل».

وبعدما رصدت الأقمار الصناعية الأميركية معدات للعبور مع القوات العراقية، استنتج البعض أن هدف العراق يمكن أن يكون الجزيرتان اللتان تعوقان المدخل البحري إلى ميناء «أم قصر» العراقي. خلاصة القول إن أحداً من الاستخبارات الغربية أو العربية، لم يتوقّع أن العراق سيحتل الكويت بالكامل. كان التحالف يعرف الكثير عن العراق، قدراته العسكرية، مواقع قواته، الأهداف الحيوية الاقتصادية وشبكات الاتصالات وغيرها، الاّ ان تلك المعلومات لم تخلُ من بعض الثغرات الخطيرة. فالأميركيون لم يكن لديهم الفهم التام والالمام الكامل بتكتيكات التشكيلات العراقية ولا بعديدها الحالي المغاير كلياً عن الاعداد الأساسية. ولعلّ السبب في التقديرات الأميركية المبالغ فيها عن حجم القوات العراقية في الكويت وقدراتها، يرجع إلى عدم الإلمام الكافي بأسلوب نشر تلك الوحدات الصغيرة وتمركزها على الأرض. كان هناك إخفاق في إدراك ان معظم الفرق العراقية لم تكن في كامل قواتها (عدداً وعدّة). ولو توافرت لقوات التحالف المعلومات الكافية والوافية عن مساحة مناطق التجمّع وأسلوب انتشار الوحدات العراقية لخلصت إلى ان مسرح العمليات في الكويت لم يكن يتسع لهذه الفرق كلّها، كما اعتقدت مصادر الاستخبارات الغربية.

وتعكس محاولات اصطياد صواريخ سكود مثالاً آخر على وجود الثغرات الاستخبارية لدى قوات التحالف. كانت الولايات المتحدة تعرف الخصائص العامة لصاروخ سكود، ولكنها لا تملك خبرة مباشرة بأسلوب استخدامه. فلم يكن الأميركيون يعرفون مثلاً أن القاذف السكود يمكن ان يخلي موقعه خلال سبع دقائق من عمليات الاطلاق. لقد كانت حسابات

الأميركيين أن وقت المغادرة لا يمكن ان يقل عن ٣٠ دقيقة.

الدرس السابع: أهمية الامداد والتموين:

لا يمكن في حال من الأحوال، التخطيط لعمليات عسكرية أو تنفيذها دون نظام للامداد والتموين (اللوجستية) يكون فعالاً قبل المعركة وخلالها. وعلى كلّ دولة معرّضة لخطر خارجي، أن تحتفظ بمخزون حرب احتياطي من الاحتياجات. وعلى القطاعات العسكرية والقيادات العليا، أن تبقى على صلة وثيقة بالقطاعات الاقتصادية المدنية لتتمكّن من تحديث معلوماتها في شأن المخزون من الموارد الوطنية المتوافرة. وبصفة عامة، لا بدّ من اعداد الدولة بأسرها للدفاع عن جميع القطاعات الاستراتيجية والحيوية من الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية. وعند تنفيذ مشاريع صناعية أو مشاريع هندسية مدنية يجب مراعاة الاعتبارات العسكرية، وأن تكون متفقة مع خطة إعداد الدولة للدفاع.

الدرس الثامن: المعدّلات والنسب:

تعدّ حرب الخليج فريدة من نوعها في التاريخ، وعمليات الإمداد والتموين التي أنجزت خلالها قد لا تكون مقياساً لما يمكن أن تكون الحاجة إليه في الصراعات المستقبلية، كما لا يصلح أخذ معدلات الاستهلاك ونسب الخسائر مؤشراً إلى ذلك الغرض. فبسبب الوفرة الزائدة في جميع الأصناف، كان معدّل الاستهلاك مرتفعاً جداً وبشكل ملحوظ في الإعاشة والمياه والذخيرة والوقود. فكميات الوقود والذخيرة التي استهلكت في الحملة الجوية والتي استمرّت ٣٨ يوماً يعجز عن تصوّرها الخيال. وفي المقابل كانت الخسائر في صفوف قوات التحالف، والتي تقدّر بـ٠,٠٤٪ منخفضة بشكل مذهل بسبب إنسحاب العراقيين قبل إتمام الهجوم. لذلك لا يمكن استخلاص نتائج واقعية من تلك المعدلات والنسب يمكن التعويل عليها في التخطيط المستقبلي.

الدرس التاسع: أهمية عمليات الخداع في الحرب:

الخداع الناجح يعتمد على استراتيجية

شاملة متكاملة، تعمل في تناغم وتناسق على كلّ المستويات الاستراتيجية والعملياتية والتكتيكية. غير أنه من الأفضل الاّ يعرف قادة الوحدات على المستوى التكتيكي الذين سينفّذون العمليات الخداعية انها خطط للخداع، حتى تظهر عملياتهم كعمليات قتال فعلية وحقيقية. وهذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكن إقناع العدو أنه يواجه تهديداً حقيقياً على هذه الجبهة أو تلك.

حقق العراق نجاحاً كبيراً في عمليات الخداع والاخفاء والتمويه، مما يشير إلى تأثّره بالتكتيك السوفياتي للخداع المعروف باسم ماسكاروفكا Maskarovka، وأظهرت القوات العراقية مهارة فائقة في بناء الأهداف الهيكلية التي خدعت قاذفات التحالف في بعض الأحيان، وجعلتها تنفّذ عمليات قصف مكثّفة على أهداف غير حقيقية. لقد أدت الأهداف الهيكلية المصنوعة من الخشب والورق المقوى دوراً كبيراً في حماية قواذف سكود المتحرّكة، كما اكتشفت أيضاً أهداف هيكلية للدبابات والطائرات.

وفيما يتعلّق بالخداع الاستراتيجي، استطاع العراق أن يفاجىء العالم كلّه باحتلاله دولة الكويت، بدلاً من احتلاله واحدة أو اثنين من الجزر الصغيرة المواجهة لميناء «أم قصر». ومن جانبها نجحت قوات التحالف بإيهام العراقيين بأن الهجوم الرئيسي سوف يشنّ من الشرق بدلاً من الغرب.

الدرس العاشر: دور العمليات النفسية:

لقد مارس التحالف عمليات نفسية أدّت إلى خفض الروح المعنوية للقوات العراقية التي تأثّرت أيضاً بالضربة الجوية الكبيرة التي استمرّت ٣٨ يوماً. ومن شأن العمليات النفسية، إذا ما أتقن تنفيذها، أن تقلل من الخسائر، وهذا ما حصل في حرب الخليج حيث أدّت المنشورات التي قذفت بها قوات التحالف إلى فرار قسم كبير من الجنود العراقيين. كما أدى الاعلام الذي نقل صورة واقعية عن حجم قوات التحالف وضخامة الأسلحة والمعدّات، إلى إضعاف إرادة القتال عند العراقيين الذين قاتلوا

بمعدات وأسلحة لا يمكن مقارنتها بما لدى قوات التحالف من تكنولوجيا حديثة ومتطوّرة.

الدرس الحادي عشر: الكفاءة بدلاً من الولاء لاختيار القادة:

إن بناء جيش محترف يتمتع بكفاءة ومهارة وتسليح جيّد وتدريب مكثّف يبقى هو الأساس لمواجهة التحديات والأخطار المحدقة. وهذا ما أكّدته حرب الخليج. إن التحدّي الذي تواجهه دول العالم الثالث في الوقت الحاضر هو بناء جيش محترف حقاً، جيش يتم التعيين فيه والانتقالات والترقيات على أساس الاستحقاق والكفاءة والجدارة، ولا شيء غير ذلك. جيش يتم التركيز فيه على التدريب والمهارة، بالإضافة إلى التقاليد والأخلاق العسكرية، كالانضباط والطاعة والولاء للوطن وليس للزعيم أو الرئيس. إن اعتماد الولاء للسلطة أو النظام، وتقدّمه على الكفاءة في اختيار القيادات العليا في القيادة المركزية أو التشكيلات القتالية الكبرى، من شأنه تغييب قيادات كفوءة وقادرة على إحراز النصر في المعركة.

الدرس الثاني عشر: الجيش القدوة للدول الصغيرة:

ان الدول التي لا تسمح قدراتها الاقتصادية أو البشرية في إعداد جيش كبير وقوي، لديها الحل الأنسب المتمثّل بإنشاء وحدات صغيرة العدد نسبياً، خفيفة الحركة، جيّدة التسليح والتجهيز، عالية التدريب، لديها القدرة على التحرّك السريع والضرب العنيف، وتكون بمثابة نواة لأية قوة تتم تعبئتها عند الأزمات. كما لا بدّ في هذه الحالة من بناء قوات خاصة متميّزة لتنفيذ عمليات تخريب أو جمع معلومات في الخطوط الخلفية للعدو. الخلاصة ان الاقدام على إنشاء قوّة عسكرية ضخمة في البلدان الصغيرة التي لا تستوعبها لا يقل خطأ أو خطورة عن الاحتفاظ بقوة عسكرية صغيرة الحجم. أن بناء القوة العسكرية يتعلّق بأمور ثلاثة يجب مراعاتها: القدرات البشرية، القدرات الاقتصادية، الأخطار المحدقة.

الدرس الثالث عشر: أهمية التكنولوجيا في الحروب المستقبلية:

حرب الخليج، أو حرب التكنولوجيا الحديثة، هي سمة حروب المستقبل، عندما

تكون الدول العظمى، مثل الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، أحد أطراف تلك الحرب. لقد استعملت في حرب الخليج آخر الابتكارات العلمية في مجال السلاح والعتاد وأمضى الخليج أكثر من ثمانية أشهر حقل اختبار التكنولوجيا العسكرية:

أمثلة:

الطائرة المشوش فاتحة المعابر الجوية:

الإجراءات الالكترونية المضادة ECM Electronic counter measures أصبحت جزءاً لا يتجزّأ من العتاد الحربي الذي يجب أن يواكب كلّ عمليات الطيران في الحرب.

قبل أية غارة جوية على العراق، كانت طائرات سلاح الجو الأميركي وسلاح البحرية تطير نحو أهدافها حاملة معها معدات متطوّرة جداً للتشويش وجعل الرادارات العراقية عمياء. هذه العمليّة أمّنت ممرات جوية أمنة وخالية من أي تدخّل للصواريخ أرض - جو من طراز سام وغيرها. لقد نفذت هذا النظام الجديد من التشويش طائرات F4 Wild weasel.

دور طائرات الاواكس والأقمار الصناعية:

أتبع الحلفاء تكتيكاً جديداً لغاراتهم للمرة الأولى في تاريخ الحروب تعطى من خلاله معظم المعلومات عن الأهداف للطيارين من الجو بواسطة الأقمار الصناعية وطائرات الاواكس. يمكن تلخيص التكتيك الجديد بالآتي:

١ - مراقبة طائرات الاواكس والأقمار الصناعية للتحرّكات العراقية وتوجيه الطائرات المغيرة نحو أهدافها بدقّة.

٢ - مهمات التزوّد بالوقود جواً يسمح بشن غارات بعيداً عن القواعد الجوية لهذه الطائرات.

٣ - توجيه القنابل بواسطة اللايزر مما أدى إلى دقّة شبه كاملة لإصابة الأهداف بفعالية كبرى.

٤ - استعمال الصواريخ توما هوك toma hawk ذات شعاع عمل يصل إلى ١٣٠٠ كلم يمكن إطلاقها من البر والبحر.

٥ - استعمال الصواريخ باتريوت لمقارعة الصواريخ سكود.

استعمال قنبلة (Fuel Air Explosive) FAE:

يعتبر بعض الخبراء أن هذه القنبلة يمكن أن تكون السلاح المطلق ضد تحصينات خطوط الدفاع المطورة. تعمل هذه القنابل على نشر سحابة من الوقود المتبخّر، في الهواء، على مساحة تمتد على مئات الأمتار المربّعة ويؤدّي انفجارها إلى حرق كلّ جزئيات الاوكسجين وبالتالي القضاء على الحياة داخل التحصينات.

استعمال طائرات الاواكس: (Awacs)
Airborne warning control system

طائرات تحمل على متنها راداراً فعالاً يسمح برصد كلّ حركة جوية على بعد مئات الكيلومترات وتستطيع تزويد الطائرات المغيرة بالمعلومات اللازمة عن الأهداف المنوي قصفها.

استعمال طائرات الشبح: F-117 A
Stealth

طائرة تحلّق دون سرعة الصوت، مزوّدة بقنابل ذكية وصواريخ، ملقّبة بالطائرة الخلسة لأن تركيبها وتكوينها تجعل الرادارات العدوّة عاجزة عن رصدها. نشرت عشرون طائرة من هذا النوع في السعودية وقواعد أخرى لقوات حلف شمالي الأطلسي في تركيا. أطلقت هذه الطائرات الضربة الأولى، مدمّرة الرادارات ومراكز قيادة النظام العراقي المضاد للطائرات في ليلة الأربعاء - الخميس (اليوم الأول من الهجوم).

استعمال الصواريخ Toma hawk البعيدة المدى:

نصبت على متن سفن البحرية الأميركية في الخليج. وقد نشرت الولايات المتحدة ٦٠٠ صاروخ من هذا النوع. يمكنه أن يزوّد بحشوة كلاسيكية وزنها ٥٠٠ كلغ، أو كيماوية أو نووية.

يتميّز التوماهوك بدقّة بالغة، إذ يحلّق على علو منخفض ٣٠م. فوق سطح الأرض بعد أن يجتاز آلاف الكيلومترات. يبلغ مداه ١٥٠٠ كلم.

استعمال الصاروخ باتريوت - MIM 104 Patriot:

صاروخ مضاد للطائرات، يستطيع إصابة

أهدافه على ارتفاعين: عال ومنخفض وقد ظهر للجيش الأميركي أن هذا الصاروخ المصمم أصلاً لمواجهة الطائرات، يستطيع اعتراض الصواريخ البالستية التكتية مثل صواريخ سكود، وكانت النتائج متواضعة.

استعمال صواريخ سكود من قبل العراق Scud:

روسي الصنع، أرض - أرض، طوله ١١م، قطره ٨٥ سم، وزنه ٦٣٠٠ كلغ، مداه ٣٠٠ كلم وقد أدخل العراقيون على هذا الصاروخ تعديلاً بحيث أصبح مداه ٦٠٠ كلم ولكن مع انخفاض في دقته. هناك ثلاثة أنواع من الصواريخ: Scud A,B, and c.

القمر الاصطناعي KH-12:

آخر نموذج من أقمار التجسس الاصطناعية. ذات رصد بصري، قادر على تمييز الأشياء بفارق بعض السنتيمترات. مجهّز بمحرّك يسمح له بتعديل ارتفاعه ومداره لإعطاء أفضل النتائج.

القسم الثالث

حرب الخليج الثالثة : الغزو الدولي للعراق

٢٠٠٣ – ؟

الفصل السابع

أسباب اندلاع الحرب وتجميع القوى

أولاً – أسباب اندلاع حرب الخليج الثالثة:

أ - الإبقاء على القوة العسكرية للعراق بعد نهاية حرب الخليج الثانية:

بعد نهاية حرب المئة ساعة البرية من حرب الخليج الثانية، احتفل الأميركيون بما بدا أنه انتصار غير عادي. رغم ذلك، ظلّ القادة الأميركيون غير واضحين بشأن أهدافهم لعراق ما بعد الحرب. كانوا أخفقوا في القضاء على فرق الحرس الجمهوري التي انطلقت فوراً للقضاء على المتمرّدين في الجنوب، ومعظمهم من الشيعة، وكانوا غير متأكدين من عدم تهديد حلفائهم في المستقبل. لقد تمكّن جهاز الرئيس صدام حسين من امتصاص الهزيمة العسكرية غير المكتملة، وأظهر قوة لا غبار عليها في العمليات العسكرية في الجنوب واستعاد مكانة العراق في الشرق الأوسط.

بالنسبة إلى نظام حزب البعث في العراق، فإن فشل الولايات المتحدة الأميركية في إتمام نصرها، يبدو أمراً غير قابل للتفسير. ان الأكثر وضوحاً من وجهة نظر العراقيين هو أن الأميركيين، وبالرغم من تفوّقهم التكنولوجي لم يكونوا راغبين في إنهاء الجيش العراقي.

لقد قرّر الاستراتيجيون الأميركيون في واشنطن ان تتوقف الحرب البرية بعد ١٠٠ ساعة من انطلاقها فقط؛[1] ولم يبد

---

(١) مقاتل من الصحراء، خالد بن سلطان بن عبد العزيز، دار الساقي، بيروت ١٩٩٥.

الجنرال شوارزكوف أية معارضة. لقد كان واضحاً أيضاً حتى للمراسلين في الرياض أن القوات الأميركية لم تقطع طريق الانسحاب أمام الحرس الجمهوري إلى البصرة.

المهم أنه عندما توقف القتال من دون إسقاط نظام حزب البعث الحاكم في العراق برئاسة الرئيس صدام حسين، قال هذا الأخير أمام شعبه وباقي العالم العربي، إن العراق هو الذي ربح الحرب وليس الولايات المتحدة الأميركية.

الأغرب من كلّ ذلك، أنه خلال توقيع اتفاق وقف إطلاق النار (وليس الاستسلام)، رأى الجنرال شوارزكوف ان لا سبب يمنع القادة العراقيين من استئناف تحليق مروحياتهم المسلّحة في سماء العراق، بسبب تدمير الطرقات والجسور. وقد قيل يومها إن السبب الحقيقي إفساح المجال أمام القوات العراقية بالقيام بانقلاب عسكري ضد الرئيس صدام حسين، مما يتيح التخلّص منه من جهة ومن دون إضعاف العراق أو تدميره من جهة ثانية.

لذلك وفور توقّف الحرب البرية، دعا الرئيس بوش المواطنين العراقيين إلى الثورة والإطاحة بنظام الرئيس حسين. ولما استجاب سكان الجنوب، وخاصة في البصرة، وسكان الشمال، وخاصة الأكراد، وقاموا بالتمرّد، هاجمتهم القوات العراقية بقوة ولم يحصل المتمرّدون على أي عون من القوات الأميركية.

استعاد الرئيس صدام حسين قوته إلى حدّ كبير بعد الحرب، لأن آليات السيطرة المتوفّرة لكلّ من الحكومة وحزب البعث ظلّت سليمة.

وبسبب امتلاك صدام وأعوانه للبنية التحتية السياسية والقوة العسكرية والتصميم الحاسم على البقاء في السلطة، هاجمت الدبابات والمروحيات وناقلات الجند المدرّعة حشود الجماهير الساخطة، فقتل منهم المئات، وتدخّل الأميركيون في الشمال لحماية الأكراد، ولكن ليس قبل ارتكاب المذابح بحقهم. أمّا في الجنوب كان الأميركيون يخشون من انبعاث نفوذ الإيرانيين وتأثيرهم في المنطقة في حال ساعدوا الشيعة في انتفاضتهم ضد الحكم،[1] ذلك أن ذكريات

(١) حرب العراق، تاريخ عسكري ميداني، وليامسون موراي وروبرت سكايلز، الدار العربية للعلوم ٢٠٠٥.

الرهائن الأميركيين الذين احتجزوا لمدّة ٤٤٤ يوماً في طهران بقيت تلاحق صانعي السياسة الأميركية.

ب - عدم جدوى العقوبات الاقتصادية على العراق:

في فترة ما بين الحربين تابع العراق سياسة المواجهة الخارجية، بشكل مباشر فيما يتعلّق بالعقوبات الاقتصادية المفروضة عليه من قبل الأمم المتحدة، وبشكل غير مباشر فيما يتعلّق بالولايات المتحدة، فقد تشجّع صدام بسبب طريقة الرئيس بوش الأب وخليفته الرئيس كلينتون المتذبذبة وغير الحاسمة.

بعدما تأكّد فشل العراقيين في التمرّد والإطاحة بالنظام، حاولت إدارة الرئيس بوش الأب اتباع سياسة الاحتواء. وتضمّنت هذه السياسة عقوبات لمنع العراق من إعادة بناء قواته المسلّحة وعزله اقتصادياً عن بقية العالم. ولم تكن العقوبات صارمة تماماً. فقد انساب النفط العراقي إلى أسواق أساسية عبر الأردن، وبالمقابل تسرّبت البضائع الغربية إلى العراق، وبالتالي لم يتأثّر بهذه العقوبات.

وفوق ذلك، عرضت الأمم المتحدة مشروع بيع النفط مقابل الغذاء والمعدات الطبية على المسؤولين العراقيين. وبينما كان الشعب العراقي يغرق في فقر مدقع، فقد رفض الرئيس صدام هذا الأمر في البداية متذرّعاً بالأسباب التالية:

١ - إن برنامج التبادل هذا سيسمح للأمم المتحدة بالتدخّل في الشؤون الداخلية العراقية.

٢ - ان موت أطفال عراقيين من جرّاء حرمانهم الحليب والدواء من شأنه كسب العراق عطفاً دولياً هو بأشد الحاجة إليه لفكّ عزلته الدولية.

٣ - المعلومات السرية التي وصلت إلى المسؤولين العراقيين بإمكانية إلغاء العقوبات الاقتصادية على العراق في وقت قريب.

في العام ١٩٩٦، وبشكل مفاجىء، قبل الرئيس حسين المشروع المذكور، والذي بموجبه تسمح الأمم المتحدة للعراق ببيع ما قيمته بليون دولار تقريباً في الشهر في السوق الحرة. وجرّاء ذلك، تدفّقت المساعدات الإنسانية على العراق، ولكن بدل أن تسلك

هذه المساعدات اتجاه المواطنين، كانت تذهب إلى حسابات المسؤولين في النظام الحاكم. علاوة على ذلك كان موظفوا الأمم المتحدة يتعرّضون لمضايقات مستمرّة وأحياناً للخطر والتهديد المباشر. في هذه الأثناء، دخلت مبالغ نقدية كبيرة ناتجة عن بيع كميات كبيرة من النفط في السوق السوداء إلى صناديق الرئيس صدام مباشرة، استخدم قسماً منها لشراء ذخائر وأسلحة في السوق السوداء.

ج - اتهام العراق بامتلاكه سلاح الدمار الشامل:

إن امتلاك العراق لأسلحة كيماوية (غازات سامة وغيرها) لا يرقى إليه أي شك وقد استعمل الجنود العراقيون هذه الأسلحة ضد الأكراد في تمرّدهم وكذلك ضد الشيعة في الجنوب، مما تسبب بوقوع آلاف الضحايا.

أما بموضوع الأسلحة النووية، فقد تكوّنت لدى الولايات المتحدة الأميركية معلومات استخباراتية عن امتلاك العراق لسلاح نووي، أو أنه يسعى جاهداً لامتلاكه. ولم تكن الاستخبارات هي الوحيدة التي أوهمت بأن برنامجاً لأسلحة الدمار الشامل كان يعدّ في العراق، بل تكوّنت قناعة لدى قيادة الجيش الأميركي بذلك، الأمر الذي دفع بالجنود لاتخاذ تدابير حماية صارمة ضد هجوم كميائي أو بيولوجي أو نووي محتمل.[1]

في صيف العام ٢٠٠٢، أي بعد مضي أقل من عام على أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١، بدأت إدارة الرئيس جورج بوش جمع الحلفاء لردع الرئيس صدام لمرّة أخيرة. بالنسبة للقادة الأميركيين وتلك الدول الراغبة في المشاركة، فإن أكثر ما دفعهم لاستخدام القوّة ضد العراق كان التهديد المحتمل لأسلحة الدمار الشامل.

قبل حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١، كان المجتمع الدولي قد امتلك أدلّة حاسمة على أن العراق متورّط في برنامج هائل يهدف إلى تطوير أسلحة بيولوجية وكيماوية. وبعد انتهاء الحرب، اكتشف مفتّشو اليونسكوم (لجنة

(١) IRAK, Histoire d'un désastre, Ignacio Ramonet, Galilée 2005.

الأمم المتحدة الخاصة) أدلة قوية على أن العراق كان على وشك امتلاك ترسانة نووية عندما غزا الكويت. ويمكن أن تكون الحملة الجوية التي استمرّت ٣٨ يوماً، بالإضافة إلى عمليات التفتيش التي تلت، قد أخّرت البرنامج النووي العراقي إلى حدّ كبير.

إن أكثر ما كان يخيف المجتمع الغربي، وبخاصة الولايات المتحدة الأميركية هو احتمال تمرير الأسلحة الكيماوية أو البيولوجية أو النووية من العراق إلى بعض التنظيمات المتطرّفة لاستخدامها ضد الولايات المتحدة أو غيرها من الدول. وقد أطلق على هذه الظاهرة المخيفة اسم «تحالف دولة مارقة مع تنظيم متطرّف» والدولة المارقة (Etat voyou) هي الدولة التي تعادي الغرب وتملك سلاحاً نووياً أو هي في طريقها لامتلاكه مثل: كوريا الشمالية، إيران، العراق وغيرها من الدول.

ومعلوم اليوم، أن المفتشين الدوليين الذين دخلوا العراق بناء لقرارات الأمم المتحدة للتفتيش عن الأسلحة الممنوعة لم يتوصّلوا إلى أية نتيجة. ومعلوم أيضاً أن القوات المتحالفة التي دخلت لم تعثر على شيء. وقد شكّلت لجنة تحقيق من قبل الكونغرس للبحث في الموضوع وتبيّن أن العراق خال من الأسلحة ذات الدمار الشامل. وقد دفع رئيس الاستخبارات الأميركية CIA. جورج تينيت ثمن تلك المعلومات المغلوطة وتقدّم باستقالته من مركزه.

د - أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١:

قام أتباع أسامة بن لادن في ١١ أيلول ٢٠٠١، بقيادة ثلاث طائرات نفاثة إلى ثلاثة من رموز القوة الأميركية: برجَيْ مركز التجارة العالمية والبنتاغون. أما الطائرة النفاثة الرابعة فكانت تستهدف على الأرجح إما البيت الأبيض أو مبنى الكابيتول، وتحطّمت في بنسلفانيا حين حاول الركاب استعادة السيطرة على الطائرة ولكن دون جدوى.

عند ذلك تغيّرت اللعبة، فلأول مرة منذ حرب العام ١٨١٢ يتعرّض مواطنو الولايات المتحدة ورموزها لهجوم فوق الأراضي الأميركية. كان هناك الشيء القليل لربط العراقيين بهذا الحدث، بينما هناك الكثير لربط هذا العمل بطالبان في أفغانستان

وبشبكة أسامة بن لادن، ناهيك عن وجود هذا الأخير هناك.

أجبرت أحداث ١١ أيلول الأميركيين على إعادة تقييم فهمهم للعالم الخارجي. انه «صراع الحضارات» بين أجزاء من العالم الإسلامي والغرب، كما صرّح بعض الاستراتيجيين الأميركيين. وليس لهذا الصراع علاقة بالفقر: فالطيارون الانتحاريون كانوا قد جاؤوا من طبقات عربية متوسّطة وكانوا يتمتعون ببعض الامتيازات المادية.

ولولا أحداث ١١ أيلول، لما استطاع الرئيس بوش وأعوانه كسب تأييد الأميركيين لشن الحرب على العراق.

إن المشكلة الضاغطة التي واجهت الولايات المتحدة الأميركية بعد ١١ أيلول كانت كما يلي:

ما طبيعة العمل الذي يجب القيام به لمكافحة الإرهاب حول العالم؟ إن إطلاق صواريخ كروز ضد أهداف غير مؤكّدة، مثل معسكرات تدريب الارهابيين في أفغانستان لا يعالج التهديدات أو يمتص النقمة التي قامت بفعل هجمات القاعدة القاتلة. إن تحضير ردّ سريع كان صعباً بالتحديد لأن الارهابيين المسؤولين لا يمثلون دولة أو حكومة، بل هم يدينون بالولاء لفرد ولمعتقداته المتطرّفة. إن أسامة بن لادن ومساعديه الرئيسيين قد اختفوا في دولة أفغانستان المحكومة من الطالبان.

إن الهجوم الذي قام به متشدّدون إسلاميون متشدّدون كان نتيجة خطأ أميركا، كما قال العديد من الغربيين، وإن تدخّل أميركا في أفغانستان سيقود إلى مستنقع فيتنام آخر. في الطرف الآخر جادل البعض بأن على الولايات المتحدة أن ترد على الفور في اجتياح شامل لأفغانستان.

الناصحون الأكثر تعقّلاً في إدارة بوش اختاروا طريقاً وسطاً وذلك باستخدام مركّب دقيق من الدبلوماسية، وقوات العمليات الخاصة، وقدرات دقيقة لمهاجمة مؤيّدي طالبان، وأخيراً بالاستخدام الحر للأموال والأسلحة للتوصل إلى تعاون رجال القبائل الأفغانية.[1] ونتيجة لذلك، أطاحت الولايات

(١) حرب العراق، تاريخ عسكري ميداني، وليامسون موراي وروبرت سكايلز، الدار العربية للعلوم، ٢٠٠٥.

المتحدة الأميركية بنظام طالبان، ودمّرت شبكة القاعدة بقوة وقسوة، رغم ان العمليات لم تؤدِ إلى القبض على بن لادن أو قتله.

إن الربط بين أحداث ١١ أيلول وغزو العراق ليس سهلاً للفهم أو القبول به. ولكن مما لا شك فيه أن الولايات المتحدة كانت بحاجة إلى نفي السمعة الدولية لحالة التردد التي يتخبّط بها رؤساء أميركا إزاء أحداث كبرى تطال المصالح الحيوية فيها. إن تدمير نظام الرئيس صدام حسين، في حملة عسكرية قصيرة وسريعة تقدم فرصة لتحذير الآخرين بأن من يهدّد مصالح الولايات المتحدة سيدفع ثمناً باهظاً.

لذلك بدأت أميركا، وإدارة بوش خاصة، بتأسيس تحالف أقوى من التحالف الذي أقامه الرئيس بوش الأب عام ١٩٩١. وقد انضمّت بريطانيا إلى الولايات المتحدة بقوة، في ظلّ تردد فرنسا وألمانيا.

كان الموقف الفرنسي متوافقاً مع الاداء الماضي لتلك الدولة في التعامل مع العراق. إن الفرنسيين هم الذين عدّلوا قرارهم في وقت مبكر من الثمانينات من القرن العشرين لتزويد العراق بتكنولوجيا لإنتاج أسلحة متطوّرة ومنها أسلحة نووية بزعم أن اسرائيل امتلكت سلاحاً نووياً. فكيف يدخل الفرنسيون المعركة ضد العراق لأنه يمتلك سلاح الدمار الشامل.

إن قرار بريطانيا بربط نفسها بالولايات المتحدة عكس عدداً من المخاوف أحدها أن العراق قد يستخدم أسلحة الدمار الشامل ضد جيرانه، أو قد يعمد إلى تسليمه إلى منظّمات متطرّفة على عداء مع الغرب (تنظيم القاعدة مثلاً).

في وقت مبكر من شهر كانون الثاني ٢٠٠٣، تدفّقت القوات الأميركية والبريطانية بسرعة كبيرة على الخليج. والهدف كان واضحاً: ستجعل من غزو العراق إنذاراً صارخاً إلى أولئك الذين يتجاسرون على تهديد مصالح أميركا الحيوية في أي مكان من العالم.

هـ - مشروع «الشرق الأوسط الجديد»:

يوجد نظريتان، ضمن إطار فكرة الشرق الأوسط الجديد، لأسباب غزو العراق إحتلاله:

النظرية الأولى:[1] أميركية وتهدف إلى إحداث تغيير في الشرق الأوسط باتجاه الديموقراطية. وهنا تظهر أميركا وكأنها صاحبة رسالة عالمية لتعميم الأنظمة الديموقراطية وتصديرها إلى حيث يمكن، وبالطريقة التي تراها مناسبة. وأول انموذج كان الانموذج السوفياتي الذي تهاوى بسرعة تجاوزت الوقت المحدد، ومن دون إطلاق أية رصاصة وتسبب بانهيار منظومة دولية حكمت العالم لأكثر من نصف قرن، فتكرّست الولايات المتحدة زعيمة وحيدة للعالم كلّه، بعدما كانت تتزعّم فقط العالم الحر.

يقوم مشروع الشرق الأوسط الجديد على فكرة إن أفضل حلّ لمشكلة الإرهاب في العالم، وفي الشرق الأوسط بالتحديد، هو تغيير الأنظمة الدكتاتورية التي تشكّل بيئة صالحة ومشجّعة لنمو الإرهاب، وبالتالي يمكن القول إن قرار غزو العراق اتخذ بتاريخ ٢١ تشرين الثاني من عام ٢٠٠١، أي بعد ٦١ يوماً على أحداث ١١ أيلول، و١١ شهراً على استلام الرئيس جورج بوش الابن مهامه في البيت الأبيض.

في هذا اليوم، أي في الواحد والعشرين من شهر تشرين الثاني، عقد مجلس الأمن القومي «National security Concil» اجتماعاً في البيت الأبيض، حضره إلى جانب الرئيس وأعضاء إدارته، نائب الرئيس، وزير الخارجية، وزير الخزانة، وزير الدفاع ورئيس أركان الجيوش الأميركية، ومدير وكالة الاستخبارية المركزية CIA، بالإضافة إلى كونداليزا رايس، مستشارة الرئيس للأمن القومي.

في بداية الاجتماع، التفت الرئيس باتجاه السيد دونالد رمسفيلد، وزير الدفاع، وسأله: هل لديكم خطة عسكرية خاصة بالعراق؟ وقبل أن يجيب رامسفيلد تابع الرئيس قائلاً: يجب درس الوسائل الواجب اعتمادها لحماية أمن الولايات المتحدة، حتى ولو اقتضى الأمر إزاحة صدام حسين.

بعد أحداث ١١ أيلول، ورغم ثبوت الأدلّة على تورّط شبكة القاعدة بزعامة

(١) Williamson Murray, Golf War Air Power Survey, 2003.

أسامة بن لادن، ظلّ الرئيس جورج بوش يسأل معاونيه: هل تدرسون وتحققون فيما إذا كان للرئيس صدام حسين علاقة بالأحداث التي جرت في ١١ أيلول.

النظرية الثانية: يتبناها خصوم أميركا،(١) ويقولون إن أهدافاً اقتصادية وراء اجتياح العراق، ويعتبرون نائب الرئيس ديك تشيني، المسؤول الأول عن التحريض لغزو العراق. وهو الذي أوحى للرئيس بضرورة إزاحة الرئيس صدام حسين لأسباب مختلفة، إنه الشيطان الذي يوسوس في صدر الرئيس، وهو الذي تولى السلطة خلال أحداث ١١ أيلول عندما كان الرئيس مختبئاً في مكان ما.

ديك تشيني، صاحب نظرية سيطرة أميركا على العالم، كان وزيراً للدفاع في ولاية الرئيس بوش الأب من عام ١٩٨٨ ولغاية ١٩٩٢. وقد طلب في ذلك الوقت من مساعده بول وولغويتز، الذي أصبح في العام ٢٠٠١، مساعداً لرونالد رمسفيلد، أن يؤسّس لاستراتيجية جديدة عسكرية لدرء الأخطار الجديدة التي تهدد أميركا.

الفريق الذي شكّله الرئيس جورج بوش الابن للعمل معه فور انتخابه، يتألّف من:

- اليمين الديني الذي يطرح تصوراً مسيحياً جديداً للمجتمع.
- المحافظون الجدد.

ويأتي على رأس هذا الفريق كلّ من نائب الرئيس ديك شيني، ومساعد وزير الدفاع، بول وولفوتيز. وتقوم نظريتهم الجديدة التي جاهروا بها بعد أحداث ١١ أيلول، على أن العراق هو أخطر من تنظيم القاعدة، لأن العراق دولة ولديها جيش وأموال باهظة من عائدات النفط، بالإضافة إلى عشرات المختبرات المخصّصة للأبحاث ومصانع لإنتاج أسلحة الدمار الشامل.

وأول فكرة انتشرت لإمكانية امتلاك العراق سلاحاً نووياً كان مصدرها ديك تشيني. وقد جاء ذلك في خطاب ألقاه في ٢٦ آب ٢٠٠٢، وأعلن خلاله، أن العراق يمكن أن يكون الهدف الثاني للولايات

(١) IRAK, Histoire d'un disastre, Ignalio Ramonet, Galilée, 2003.

المتحدة بعد أفغانستان، وأن العراق يملك سلاحاً نووياً يمكن أن يستعمله ضد أصدقاء الولايات المتحدة وحلفائها.

ديك تشيني، هو صاحب نظرية الخطر الكبير الذي يمكن ان ينشأ من جراء تزاوج تنظيم متطرّف مع دولة مارقة،[1] وهو صرّح أكثر من مرة ان تنظيم القاعدة يتلقى دعماً كبيراً من العراق وكلاهما حاقد على أميركا، وكما ذكرنا سابقاً، فإنه رغم تأكيد وكالة الاستخبارات أن شبكة القاعدة هي وراء جريمة ١١ أيلول، فإن ديك شيني وبول وولغويتز يقولان، ان العملية الإرهابية التي جرت هي على درجة عالية من التنظيم والتعقيد لدرجة أنه لا يمكن لتنظيم منفرد أن ينفّذها من دون مساعدة دولة ما، وهذه الدولة هي بدون شك العراق.

بالإضافة إلى ما تقدّم، فإن دولاً أخرى دكتاتورية غير العراق، لم يهتم لها الأميركيون بعد أحداث ١١ أيلول، ولم توجّه إليها أصابع الاتهام. فما هي إذن الأسباب الحقيقية وراء توريط العراق تمهيداً لغزوه؟ وما هي الدوافع التي جعلت فريق الرئيس الأميركي يحصر إتهامه بالعراق، وبالعراق فقط؟ خاصة وأن الولايات المتحدة الأميركية لم تتوان خلال السنوات الثمانية التي سبقت أحداث ١١ أيلول عن تقديم الدعم للعراق، رغم العقوبات الاقتصادية المفروضة عليه.

فخلال الأعوام الممتدّة من ١٩٩٥ ولغاية ٢٠٠٠، وعندما كان ديك تشيني مديراً عاماً لشركة هالي بيرتون البترولية، لم تتردّد هذه الشركة من تنفيذ عقود مع العراق وكذلك مع دول أخرى متهمة من قبل الكونغرس الأميركي بانتهاك حقوق الإنسان (ليبيا، إيران، أندونيسيا).

ففي عددها الصادر بتاريخ ٢٧ تموز ٢٠٠٠، كشفت جريدة نيويورك تايمز، أن الشركة التي يديرها ديك تشيني، باعت العراق مواداً مختلفة بمبلغ ٧٣ مليون دولار.

وخلال الغزو الأميركي للعراق، استفادت الشركات التالية من تزويد الولايات المتحدة باحتياجاتها العسكرية:

---

(١) IRAK, Histoire d'un disastre. مرجع سابق.

- La United Technology باعت لوزارة الدفاع الأميركية معدات عسكرية بمبلغ ٤ مليار يورو (هليكوبتر).
- La Général Dynamic باعت البنتاغون بمبلغ ٩ مليار يورو (صواريخ وسفن حربية).
- La Northrop Grumman باعت البنتاغون بمبلغ ١٢ مليار يورو (طائرات F18 وF14).
- La Raytheon (صواريخ باتريوت وتوماهوك) بمبلغ ١٢ مليار دولار.
- بوينغ Boeing: (هليكوبتر أباتشي وB52) بمبلغ ١٨ مليار يورو.
- Lock heed Martin (طائرات هرقيل C130) بمبلغ ٢٥ مليار دولار.

وبالتالي يكون البنتاغون قد اشترى معدات حربية من الشركات الستة المذكورة أعلاه بمبلغ إجمالي قدره حوالي ٨٠ مليار دولار.

بالإضافة لذلك فإن التقديرات الأولية لإعادة بناء البنية التحتية للعراق نتيجة الحرب تبلغ مئة مليار دولار، ومن المحتمل أن تعطى الأفضلية للشركات الأميركية والعالمية التي تمتّ بصلة إلى الفريق الداعم للرئيس بوش، والشركات التي موّلت حملته الانتخابية.

ومن الأمثلة على ذلك:

- عيّن الرئيس جورج بوش الجنرال المتقاعد «غاي غارنر»، صديق الفريق المكوّن من المحافظين الجدد حاكماً على العراق، وكان في الوقت نفسه مديراً لشركة إنتاج أسلحة متفرّعة عن شركة Raythem التي استفادت بمبلغ ١٢ مليار دولار مبيعات أسلحة.

- سمّت الولايات المتحدة، ومن دون استدراج عروض، شركة Kellog Browm and Root، المتفرّعة عن شركة Halliburton التي يترأسها ديك شيني، لإطفاء حرائق أبار النفط في جنوب العراق بمبلغ ١،٨ مليار دولار.

ثانياً – القوات المشتركة بالتحالف والقوات العراقية

أ – قوات التحالف البرية:

مع بداية القرن الواحد والعشرين كانت القوات الأميركية قد خضعت لتغييرات

مهمّة على صعيد التنظيم،[1] ووصف بعض المنظرين هذه التغييرات بالثورة في الشؤون العسكرية. ومهما يكن من أمر فإن القوات الأميركية حاربت عام ٢٠٠٣ بشكل مختلف عما فعلت عام ١٩٩١. ولكن ما الذي اختلف وما هو الشيء الذي بقي على حاله؟

على صعيد القيادات العملانية، لم يتغيّر الكثير بين الحربين. ففي القيادة العامة للعمليات العسكرية، كان هناك القيادة المركزية للولايات المتحدة (Centcom) بقيادة الجنرال طومي فرانكس، صاحب الخبرة التي تربو على ٣٤ عاماً في الجيش.

ومثلما حصل مع شوارزكوف في حرب الخليج الثانية، كان لفرانكس قادة مساعدون من سلاحي الجو والبحر، ولكن بما أنه كان مسؤولاً في الوقت نفسه عن الحرب في أفغانستان، فقد كان قائد الجيش الثالث ديفيد ماكيرنان قائداً لقوات فرانكس البرية في حرب العراق، بينما قام الجنرال شوارزكوف بهذه المهمة بنفسه. ونظّم ماكيرنان اندفاع الفيلق الخامس عبر الصحراء إلى الغرب من الفرات، وفرقة المشاة البحرية الأولى عبر البر العراقي بين نهري دجلة والفرات، في طريقهما إلى بغداد.

كقائد لجيوش البر (CFLCC) أثبت ماكيرنان أنه خيار مهم. فبالإضافة لامتلاكه غريزة الأمور العملانية، فقد كان قد خدم كقائد لقوات حلف الناتو السريعة الحركة. لقد لعب دوراً مهماً ورئيسياً في تخطيط تحرّك الناتو إلى كوسوفو في أواخر التسعينات من القرن الماضي.

تمتع ماكيرنان باحترام مرؤوسيه. وبشكل مخالف لبعض الجنرالات، كان مستعداً لأن ينصت إليهم. كان المسؤولون البريطانيون ينادونه ببساطة الجنرال ديف. كان يمتلك سمعة ممتازة كمحارب وهو المتطلّب جداً لتدريبات واقعية وقاسية للوحدات التي تعمل تحت أمرته.

أحد رؤسائه وضع له في دفتر تقديراته ما يلي:

---

(١) حرب العراق، تاريخ عسكري وميداني. مرجع سابق.

«محترف، بلغ الكمال إلى حدّ بعيد، غير سياسي، يتعامل مع التوتر بشكل جيد غير مضطرب ويبحث دائماً عن خيارات. يعظ دأماً بالنظر إلى المهمة الأعلى والوحدات المجاورة. يبحث دائماً عن أربعة أشياء: كيف يمكن لي ان أؤذي العدو الآن؟ - كيف يمكن للعدو أن يؤذيني الآن؟ - كيف يمكن لي أن يؤذيني العدو في المستقبل؟ - كيف يمكن له أن يؤذيني في المستقبل؟».

كقائد على المستوى العملاني، كان على ماكيرنان ان يقرر إلى أي مسافة يجب أن يصل الاندفاع المدرّع عبر الصحراء، متى يعبر الفرات، كيف ينظّم وينسّق تقدّم قوات المشاة البحرية مع القوات البرية للفيلق الخامس؛ كيف يدير الحصار وينفذ الهجوم على بغداد.

كان مساعدو ماكيرنان أركان حرب من الدرجة الأولى. وقد لعب الجنرال جان كين، نائب رئيس الأركان في الجيش، دوراً حاسماً باختيار أفضل إداريي الجيش ليخدموا كرؤساء منفّذين في الوحدات البرية.

كان حجم قوات التحالف البرية في حرب العراق أقل بكثير من تلك التي كانت في العام ١٩٩١، ولكن تركيبها التنظيمي كان متشابهاً كثيراً. فقد تمّ تقسيم القوات البرية إلى فيالق، وقوات المشاة البحرية إلى فرق تحتوي كلّ منها على ٢٠ ألف رجل وامرأة، والفرقة إلى ألوية يحتوي كلّ واحد على ما يزيد على ٤٠٠٠ عنصر. واللواء إلى كتائب تضمّ كلّ كتيبة حوالي ٨٠٠ رجل، والكتيبة إلى سرايا، عديد الواحدة ٢٠٠ رجل، والسرية تشكّل من فصائل عديد الواحدة منها ٦٠ رجل.

كانت قوات الجيش بأمرة قيادة الفيلق الخامس، وتحت قيادة الجنرال وليم والاس، وكان مؤلّفاً من ثلاث فرق.

إن الفرقة التي شكّلت رأس الحربة في اجتياح العراق كانت فرقة المشاة الآلية الثالثة في الفيلق الخامس. وخلال الأسبوع الأول من القتال، استلم الفيلق الخامس الفرقة المحمولة جواً رقم ١٠١. ولقد اعتمدت الإمكانيات القتالية للفرقة ١٠١ على قدرة تحرّك قوات المشاة لديها والقوة القتالية للمروحيات.

إن الفيلق الخامس الذي تحرّك من الجنوب إلى غرب الفرات، ثمّ تحوّل نحو

الشمال الشرقي لبغداد، تكوّن من فرقتين كاملتين وفرقة ثالثة (ناقص)، وفرقة رابعة جاهزة في مركزها الأساسي في الولايات المتحدة في حال الحاجة إليها.

وكان الفيلق يستعين بحوالي ٢٥٠٠ شاحنة على الطريق السريعة غرب الفرات لتزويد قواته بالوقود والذخيرة والطعام والشراب، أثناء زحفها شمالاً عبر العراق.

من بين الوحدات الزاحفة باتجاه بغداد، تميّزت الكتيبة المدرّعة الثالثة بكثافة النيران المكوّنة من حوالي ٢٧٠ دبابة «ابرامز»، و٢٠٠ عربة «برادلي» مسلّحة بمدافع ٢٥ ملم. كما تميّزت مروحيات أباتشي الصائدة للدبابات، بدقة إصاباتها.

أمّا فرقة المشاة الرابعة فقد كانت جاهزة للتحرّك في حال تمّ الاتفاق مع تركيا لمهاجمة العراق من الشمال.

وتميّزت الفرقة ١٠١ المحمولة جواً بقدراتها القتالية بواسطة مروحيات الأباتشي وصواريخها الموجّهة بالليزر وصواريخ «Hellfire» الموجّهة بالرادار. كما زوّدت الفرقة ١٠١ بطائرات نقل من نوع «بلاك هوك»، مما سمح للجنود بالانتقال مئات الأميال ليضربوا بعمق الأراضي العراقية.

لقد استقدمت أيضاً قوات إضافية محمولة جواً إلى القتال. فقدّمت الفرقة ٨٢ المحمولة جواً دعماً للفرقة ١٠١ بتأمين القواعد وطرق الامداد. وتوزّعت منها كتائب مزوّدة بعربات برادلي كانت مهمتها إشغال وإسكات القوات العراقية في المدن والبلدات الواقعة على طريق بغداد.

أمّا في الشمال، فقد نفّذ لواء من الفرقة ٨٢ المحمول جواً، واللواء ١٧٣ المحمول جواً إنزالاً في شمال العراق، حيث قدّم الدعم للمقاتلين الأكراد وقدّم دعماً مماثلاً للقوات الخاصة التي ساعدت في الاستيلاء على كركوك والموصل.

بالنسبة لوحدات المارينز، فقد قاتلت على مستوى تشكيل فرقة، وتكوّنت فرقة المارينز الأولى من ثلاثة أفواج مشاة وفوج مدفعية (كلّ فوج يوازي حجم لواء)، مدعومة بمروحياتها الخاصة وطائرات الدعم القريب. تكون كلّ فوج من أفواج المشاة من ثلاث كتائب. وكان بأمرة قائد الفرقة، الجنرال

جيمس ماتيس، أيضاً كتيبتان من دبابات ابرامز.

تكوّنت قوة النيران الأساسية لفرقة المارينز من مروحيات هجوم Cobra وطائرات Harrier النفاثة، والمقاتلات التكتيكية F/A-18 Hornet. كما نشرت قوات المارينز أمتراكس amtracks،[١] ومركبات مدرّعة خفيفة مباشرة مع مشاتها.

هناك أمر آخر تجدر الإشارة إليه، وهو ان المارينز يعملون بوحدات صغيرة، ولذلك مالوا لأن ينشروا مركبات مدرّعة على مستوى أقل مما هي عليه الحالة في الوحدات الأخرى. ولهذا حسناته وسيئاته. إن تنظيم المارينز لم يمنح قائد القوات قوّة كبيرة بالحجم الكافي ليشق طريقه إلى العاصمة بغداد. وعلى عكس فرقة المشاة الثالثة التابعة للجيش، فإن قوة المارينز الأخف واجهت احتمالاً أكبر بمحاربة القوات العراقية من قوات الجيش العادية.

تمثّلت المشاركة البريطانية[٢] في قوات التحالف بفرقة كاملة هي الفرقة المدرّعة الأولى. ولحظت خطط الحرب الأولى اشتراك البريطانيين في العمليات الحربية في الشمال. وبعدما اتضح في نهاية كانون أول أنه لن يسمح لهم بالدخول إلى تركيا، انتقلت الفرقة البريطانية خلال عشرة أسابيع إلى جنوب العراق مدعومة بلواء الهجوم الجوي رقم ١٦.

لم تكن الفرقة المدرّعة البريطانية (حوالي ٢٥٠٠٠ رجل) فرقة منتظمة بالمعنى الأميركي. بدلاً من ذلك، فقد جمعت بطريقة غير متقنة من عدد من التشكيلات المختلفة. ولكن بما أن البريطانيين كانوا أثبتوا جدارتهم وكفاءتهم في حربَيّ الفوكلاند والخليج على السواء، فانهم استفادوا من خبرتهم كثيراً في تنفيذ المهام المنوطة بهم.

تكوّنت الفرقة البريطانية من ثلاثة ألوية:

- اللواء المدرّع السابع، الملقّب بجرذان الصحراء.
- اللواء الهجومي الجوي رقم ١٦.
- لواء القوات الخاصة (الكومندو) الثالث.

---

(١) اختصار لـ: amphibious Tractors أي مركبات مدرّعة برمائية.

(٢) Christopher Hitehins, Regime change, London 2003.

تشكّل اللواء المدرّع من دبابات تشالنجر II، المشابهة لابرامز، ولكن مع محرّك ديزل لطول المسافات.

بالنسبة للواء المغاوير الثالث، فقد تكون من وحدة المغاوير الـ ٤٠ والـ ٤٢ من البحرية الملكية، الذين تدرّبوا أساساً لدور برمائي مشابه لدور فيلق المارينز.

هذه الألوية الثلاثة المختلفة في الفرقة البريطانية، ورغم اختلافها، عملت معاً بطريقة مميّزة للسيطرة على جنوب العراق، مما سمح للقوات الأميركية المندفعة باتجاه بغداد من تأمين جناحها الجنوبي وتهاجم مباشرة عبر وسط البلد. وطهر البريطانيون المواقع حول البصرة، مدمّرين قواعد عراقية كبيرة، وفي النهاية حاصروا المدينة واستولوا عليها.

عند بداية الحرب تمّ تعيين مهمات وحدة المارينز الـ ١٥ للبريطانيين للاختراق والاستيلاء على الجسور المؤدية إلى أم قصر. وقد مثّل ذلك تعاوناً دولياً غير مسبوق تحت ظروف قتالية فعلية: وحدة تكتيكية للولايات المتحدة خاضعة لفرقة بريطانية كانت بدورها خاضعة إلى مقر المارينز الأميركي.

خلال الحرب كان التعاون بين البريطانيين والأميركيين نموذجياً، فعالاً، وناجحاً، وكان ذلك عائداً إلى التشابه في العقيدة والتدريب.

قبل ١٩ آذار بكثير، كانت القوات الخاصة الاسترالية والبريطانية والأميركية، تعمل في صحاري العراق الغربية، حيث ألغت تماماً إمكانية إطلاق العراقيين لصواريخ سكود على إسرائيل. كما بدأوا أيضاً بعمليات تدخل ضد خطوط الامداد العراقية إلى سوريا. كانت قيادة القوات العاملة في الصحراء الغربية تعود إلى الفرقة ٢٠ التي تضمّنت القوات الخاصة الأميركية، والوحدة الجوية البريطانية الخاصة والاسترالية. وقد بلغ عدد القوات الخاصة العاملة في الصحراء حوالي ٤٠٠٠ رجل.

لعبت القوات الخاصة في الجنوب دوراً رئيسياً في منع الجنود العراقيين من تدمير حقول نفط بلدهم. تمّ إحراق وإشعال تسعة آبار من أصل ١٠٥٧ بئر نفط في تلك المنطقة. وقد تميّز الاستراليون خاصة في أداء مثل تلك المهمات.

لقد كانت درجة التعاون غير المسبوقة بين القوات الخاصة والقوات التقليدية واحدة من الأهداف الرئيسية للحرب، وسبباً مباشراً في تدمير القوات العراقية في الخطوط الخلفية لتسهيل عمل القوات المهاجمة.

ب - قوات التحالف البحرية والجوية:

بسبب جغرافيا العراق، قد يعتقد المرء ان القوات البحرية قد تكون لعبت دوراً صغيراً نسبياً في الحملة. في الواقع، ساهمت تلك القوات بشكل مهم في إنتصار التحالف.

إن التفوّق الكاسح البحري للأميركيين والبريطانيين سمح لهما بنشر قواتهم بدون أية معوقات على امتداد البحار، وصولاً إلى مسرح الشرق الأوسط.

لقد أمدّت القوات البحرية مسرح العمليات بقوّة نيران كبيرة لدعم الهجوم فتمّ نقل غواصات بريطانية وأميركية على متنها صواريخ كروز توماهوك، وبنهاية الحرب كانت قد أطلقت حوالي ٨٠٠ من صواريخ الكروز الدقيقة على أهداف استراتيجية في كلّ مكان من العراق.

كما أرسلت إلى المنطقة، أربع مجموعات من حاملات الطائرات. يتكوّن التشكيل الجوي لكلّ حاملة بين سبعين وثمانين طائرة، مقسّمة إلى أسراب مقاتلة معظمها من مقاتلات F14، وأسراب قاذفة معظمها F/A-18 e/d. وانضمّ إلى المقاتلات الحربية تشكيل من طائرات التشويش الالكتروني.

اثنان من مجموعة حاملات الطائرات: USS Theodore و USS, Harry S. Truman Roosevelt، انتشرت في البحر الأبيض المتوسّط وضربت أهدافاً في العراق من الغرب. مجموعة أخرى انتشرت في الخليج العربي: USS Abraham Lincoln، وضربت العراق من الجنوب. وقدّمت البحرية قوّة نيران بالصواريخ البالستية.

خلافاً لما حصل في حرب الخليج الأولى عام ١٩٩١، ونظراً لتزامن الهجوم البري مع الحملة الجوية،[1] فإن الحملة الجوية لاقت اهتماماً إعلامياً أقل بكثير من العمليات

(١) في العام ١٩٩١، استمرّت الحملة الجوية ٣٨ يوماً قبل بدء الهجوم البري.

الجويـة عـام ١٩٩١. كـانت هـنـاك أفـلام مدهشة للهجمات الجوية على البنية التحتية لـلـعـراق، ولـكـن لم يـتسـن لـلـمـراسلين والمصـوّريـن في بـغـداد إلاّ تـقـديـم الـقـلـيـل لـلـمشاهدين. رغم ذلك، كان للهجومات الجوية تأثير مدمّر على الإمكانيات القتالية للقوات البرية العراقية، وذلك عبر ضربات على المناطق الخلفية، وفّرت دعماً مباشراً كبيراً لقوات الجيش والمارينز في اندفاعها إلى بغداد.

وكان قائد السلاح الجوي للقوّة الشتركة (IFACC)، الجنرال بـزمـوسـلـي، الأميركي، هو الـذي يتحكّم بالحملة الجوية الشاملة للتحالف. وكان مقرّه الرئيسي في قاعدة الأمير سـلـطـان الجوية في المملكة العربية السعودية. وبينما لم يسمح السعوديون بـاسـتـعـمـال قـواعـدهـم الجـويـة لمهمات طائرات الـتـحـالـف الـقـتـالـيـة، فإنهم قدّموا بـالـفـعـل مسـاهـمـة كـبيرة بـالـسـمـاح بـاسـتـعـمـال مـرافـق الـقـيـادة والـتـحـكّـم والسيطرة.

لقد ساعدت الطائرات المنطلقة من قواعد جوية سعودية على إعادة إمداد أعداد كبيرة من طائرات التحالف المقاتلة في الشمال بالوقود، نهاراً وليلاً.

في بدء التخطيط للحرب ضد العراق، ناقش بعض قادة القوة الجوية مطالبين بشدّة بشنّ حملة جوية مبكرة قبل الحملة البرية. جوبهت هذه المطالب بأفكار مخالفة تقول إن حملة جوية طويلة ستسمح للرئيس صدام حسين بـإشـعـال حـقـول الـنـفـط والـتسبب بكارثة بيئية في الخليج الشمالي، بالاضافة إلى إعطاء الوقت الكافي للعراق باستخدام أسـلـحـة الـدمـار الشـامـل في حال وجدت. هـذان الأمـران رجـحـا كـفّـة بـدء الحـمـلـتين الجوية والبرية في وقت واحد.(١)

وضـع قـائـد الـقـوات الجـويـة عـدداً مـن الأهداف:

- كسر إرادة النظام العراقي عبر الصدمة والرعب.
- تدمير القدرات الاقتصادية والعسكرية.
- إعاقة استخدام سلاح الدمار الشامل.

(١) حرب العراق، وليامسون موراي وروبرت سكايلز، الدار العربية للعلوم، ٢٠٠٥.

-تقديم دعم جوي قريب ومباشر لقوات التحالف البرية في تقدّمها باتجاه بغداد.

ولبلوغ هذه الأهداف، كان على مخططي الحرب الجوية ان ينظّموا آلاف الغارات كلّ يوم وليلة، وانطلق الكثير منها من قواعد خارج مسرح العمليات، بالاضافة إلى ضربات صواريخ الكروز من سفن البحرية.

إن الطائرات الهجومية التي ضمّها قائد العمليات الجوية إلى مخطط حملته الجوية جاءت من عدّة مصادر. إن أكثرها تميزاً كان قاذفة القنابل الشبح B-2. لقد نقلت طائرات B-2، وهي تطير من الولايات المتحدة وجزيرة دييغو جارشا ستة عشر قنبلة (JDAM) زنة ٢٠٠٠ بوند موجهة بواسطة (GPS) (نظام تحديد المواقع).

الطائرة B-1 التي اشتركت أيضاً بالحملة الجوية بإمكانها ان تحمل أربعة وعشرين قنبلة (JDAM) أقل وزناً من الـ B-2. الطائرات B-52 التي لا تهرم أطلقت صواريخ كروز من الجو.

كما اشتركت الطائرات F-15-E (نسور الضربة) وطائرات F-16 وF/A-18C المارينز والهورنت (Hornet) والتورنادو البريطانية والهورنت الاسترالية التي تطير من قواعد برية متفرّقة في الخليج، ونفّذت مهمات جو - بر بدعم الهجومات على البنية التحتية السياسية والعسكرية العراقية.

إن الدعم الجوي الرئيسي لجنود الفيلق الخامس جاء من القوة الجوية A-10 مع بعض المساعدة من وقت لآخر من الهاريير RAF.

ج - القوات العراقية:

يقوم النظام العراقي العسكري على قوتين: الجيش والشرطة. لكن عشية الحرب على العراق، كان الجيش غير منظّم، وتدريبه بأدنى مستوياته، بشكل لا يتكافأ مع خصومه في قوات التحالف.

لقد خسر الجيش العراقي الكثير من قوته خلال الحربين اللتين سبقتا الغزو: الحرب مع إيران، وغزو الكويت وتحريرها.

لقد طالت الحرب العراقية - الإيرانية لأكثر من ثماني سنوات، تخلّلتها معارك استنزاف دموية وتدميرية. لقد فشل الهجوم الجوي المفاجىء العراقي على القواعد الجوية

الإيرانية[1] (محاولة لنسخ الضربة الاسرائيلية على القواعد المصرية عام ١٩٦٧) بشكل كبير، وبقي سلاح الجو الإيراني فعالاً (تمّ تدريب الطيارين على أيدي الأميركيين في السبعينات) مما أجبر العراق على تشتيت طائراته إلى دول عربية مجاورة للحيلولة دون تدميرها.

كما واجهت الهجومات العراقية براً صعوبات جمّة، وجوبهت بسلسلة من الهجمات الإيرانية البشرية المخططة بشكل عشوائي والمنفّذة بشكل فوضوي وغير خاضعة لأية قواعد حربية أو قتالية، مما أجبر العراق على الانسحاب من الأراضي الإيرانية. لقد حشدت إيران جموعاً من المقاتلين الشبان لم يمضِ على تدريبهم سوى أيام، وأرسلتهم إلى الجبهة للانقضاض على القوات العراقية التي عاشت أسوأ كابوس لها في تاريخ الحروب التي خاضتها. ومع نهاية عام ١٩٨٢، دفع هؤلاء المراهقون الإيرانيون، رغم الخسائر الفادحة في صفوفهم، العراقيين خارج كلّ الأراضي التي كانت قد سيطرت عليها.

لقد تحوّلت الحرب الإيرانية - العراقية إلى حمامات دم لمدّة ثلاث سنوات قتالية.

لقد مات من الإيرانيين عشرات الآلاف. ولم يكونوا فقط هدفاً للمدافع والأسلحة المتطورة التي اشتراها العراق من الغرب، بل كانوا أيضاً ضحايا الحرب الكيماوية التي شنّتها القوات العراقية.

مع حلول العام ١٩٨٨، وصلت الحرب إلى نهايتها، عندما استعادت سلسلة من الهجومات العراقية المخططة بعناية والتي قام بها الحرس الجمهوري، الأراضي التي ضاعت خلال السنوات الأربع الماضية. انتهت الحرب بخسائر بشرية كبيرة لدى الطرفين وتشير إحدى الإحصائيات الأكثر تفاؤلاً على ان عدد القتلى من الجانبين فاق ٣٥٠٠٠٠ مقاتل (٣٦٧٠٠٠)، وهناك أكثر من ٧٥٠ ألف جريح.

(١) حرب الخليج، حصاد المواجهة بين التاريخ والمستقبل، مركز الدراسات الاستراتيجية، عبد العليم محمد، بيروت ١٩٩٣.

خرج العراق بنهاية الحرب مستنزفاً، وانخفضت إحتياطاته من العملة الأجنبية، ووصل سعر النفط إلى أدنى مستوياته.

ثمّ جاءت حرب الخليج الثانية على أثر غزو العراق للكويت، وإنتهت بخسائر إضافية لقوة العراق الاقتصادية والعسكرية. إن مقارنة لعدد الدبابات والتجهيزات العسكرية الأخرى قبل وبعد غزو الكويت تبيّن المدى الذي تدهورت إليه القوة العسكرية العراقية. ان دبابات العراق انخفضت من ٥١٠٠ إلى ٢٠٠٠، وناقلات الأفراد المدرّعة من ٦٨٠٠ إلى ١٨٠٠، والمدفعية المسيّرة ذاتياً من ٥٠٠ إلى ١٥٠، والمدفعية المقطورة من ٣٠٠٠ إلى ١٩٠٠. لقد تدهورت القوة الجوية العراقية إلى حالة بائسة بحلول عام ٢٠٠٣ إلى حدّ أنها كانت عاجزة عن القيام بغارة واحدة في الجو ضد الهجوم الجوي الذي بدأ في ١٩ آذار ٢٠٠٣.

بالإضافة لذلك، فإن التجهيزات الأكثر حداثة وتطوّراً التي امتلكها العراق في العام ١٩٩٠، كانت قد أصبحت قديمة بشكل خطير في العام ٢٠٠٣، ولم يستطع الجنود العراقيون البقاء على قيد الحياة في أرض معركة حديثة، بأجهزة قديمة ومتخلفة.

لقد كانت دهشة الأميركيين كبيرة عندما اكتشف قادتها العسكريون أن العراقيين لم يكن عندهم تحضيرات جادة للدفاع عن عاصمتهم بغداد. ولم يسمح النظام العراقي لأي وحدات عسكرية، بما فيها الحرس الجمهوري، بتشكيل طوق دفاعي عن بغداد وضواحيها. لقد اتضح ان الاعتقاد السائد بان معركة بغداد ستكون ستالينغراد القرن الواحد والعشرين كان سراباً.

مهما كانت القوة العسكرية التي احتفظ بها العراق، فقد كانت مركزة على الحرس الجمهوري، وموزّعة على ست فرق يبلغ تعدادها بين ٥٠٠٠٠ و٦٠٠٠٠ جندي. إن ثلاثة من فرق الحرس الجمهوري: فرقة عدنان الآلية، فرقة بغداد للمشاة وفرقة عابد للمشاة كانت متمركزة في الشمال تحت راية الفيلق الأول. أما الفيلق الثاني فتكون من ثلاث فرق في الأجزاء الوسطى والجنوبية من العراق. كانت فرقة المدينة المدرّعة متموضعة قرب بغداد لحماية العاصمة من أية محاولة انقلاب. وأخيراً

تمركزت فرقتان من الحرس الجمهوري في الجنوب: فرقة مشاة نبوخذنصر وفرقة حمورابي الآلية.

إن فرق الحرس الجمهوري، والتي قارنها بعض الخبراء قبل حرب الخليج بقوّة الصاعقة أيام هتلر،[1] كانت مزوّدة بعتاد أكثر حداثة، ورواتب أعلى، وطعام أفضل، مما يرسخ ولاءها للنظام. ولكن خلال التسعينات من القرن الماضي، أخذ عتادهم بالتدهور ببطء بسبب النقص بقطع الغيار.

إن حماية العاصمة بغداد كانت تقع على عاتق الحرس الجمهوري الخاص، وتكوّنت هذه القوة من ثلاثة ألوية تابعة لفرقة المدينة ومهيّئة بشكل جيّد نسبياً، وكانت مهمتها الواضحة الدفاع عن النظام ضد أية محاولة انقلاب. بلغ عديد الفرقة ١٥٠٠٠ رجل تحت قيادة ابن صدام الأصغر قصي.

أما الجيش النظامي فكان أقل تحضيراً بكثير للحرب. لقد كان أفضل عتاده قديماً. وقد تكون نظرياً من سبع عشرة فرقة موزّعة على خمسة فيالق:

- تمركز فيلقان في الشمال ضمّا ست فرق مشاة وفرقتين مؤلّلتين.
- تمركز فيلق واحد وسط العراق وقريباً من الحدود الإيرانية (ثلاثة فرق)
- تمركز فيلقان في الجنوب مؤلّفان من ست فرق: اثنتين مدرّعتين، واحدة مجهّزة بمعدات ميكانيكية وثلاثة مشاة.

بالإضافة لذلك، وصل إلى العراق عدد من المتشددين دينياً وغيرهم من بلدان عربية للمشاركة في الدفاع عن العراق. كان الكثير منهم يسعون للشهادة وقتل الأميركيين. لقد ضمّ ابن صدام الأكبر عدي هذه العناصر المختلفة في منظّمة سمّاها الفدائيين.

في الحقيقة كان العراقيون في وضع يائس قبل ان تطلق الطلقة الأولى. إن القوى العسكرية للولايات المتحدة الأميركية والمملكة المتحدة عملت بشكل احترافي كبير مزودة بأفضل التكنولوجيا الحديثة. ولكن العامل الأساسي في النصر الذي

(١) حرب العراق، تاريخ عسكري وميداني، راجع المرجع سابقاً.

حصـل في ربـيـع ٢٠٠٣ كـان مـركـبـاً مـن التدريب، والتسليح، والتنظيم.

لـقـد ظـهـر مـنـذ بـدء تـنـفـيـذ مـهـامـهـم الـعـسـكـريـة ان جـنـود الـبـحـريـة الأمـيـركـيـين والبـريـطـانـيين (مـاريـنـز) الـذيـن حـاربـوا في العراق تلقّوا نظاماً مكثّفاً وفعالاً من التدريب الـقـاسـي والـعـنـيـف والمميّز بإمـكـانـيـة اتخاذ المبادرة والتصرّف من تلقاء أنفسهم في غياب الأوامـر. إن هـذا الـتـزاوج بين الـتـدريب والمبادرة سـمـح لجنود التـحـالف بـالـقـيـام بـالـعـمـل الـشـرس الـذي تـدفـع لـهـم دولـهـم للقيام به. غير أن العسكرية العراقية، ومهما كـان أفـرادهـا شـجـعـانـاً - وكـثـير مـنـهـم كـانـوا شجعاناً لدرجة هائلة - لم يكن عندهم تلك الصفات.

ثالثاً - التخطيط العسكري لغزو العراق

«المعـركـة عـمـلـيـة معقّدة، والتحضير لها مرهق، لو فعل العدو هذا ستقول لنفسك إن عليّ ان أفعل الشيء نفسه. فلو حدث كذا وكذا فإن هناك خطوات عليّ القيام بها لكي أواجـهـهـا. فأنت تـفـكّـر بـكـلّ تـطـوّر محـتـمـل وتقرّر الطريقة التي ستتعامل بها مع الموقف الناشيء».

فرديناد فوك، نيسان ١٩١٩

في بـانـامـا عـام ١٩٨٩، وضـع ضـبـاط الأركـان بـقـيـادة الجنرال مـاكس ثـرمـونـد، رئيس القيادة الجنوبية وبدعم من الفريق غاري لوك، قائد الفيلق المحمول جواً خطة لمهـاجـمـة سبعة وعشرين هدفاً خطيراً في وقت واحد أو على الأقل بشكل قريب من ذلك، وبـعـد الـتـنـفـيـذ الـنـاجـح لـهـذه الضربات سقط نظام نورييغا بأقل من ٢٤ ساعة.

وبعد عام واحد، واجه الأميركيون تحدياً جـديـداً ومختـلـفـاً جـداً مـع الـغـزو العـراقـي للكويت. إن التصوّر الأول للجنرال نورمان شوارزكوف لحرب الخليج كان وضع فرقة من المشاة البحرية لمنع أية عمليات عسكرية على الحدود الكويتية - السعودية، بينما يقوم الفيلق الثامن عشر المحمول جواً والذي تـتـقـدّمـه كـتـيـبـة المشـاة الـرابـعـة والعشـرون باختراق باتجاه الشمال في ممرّ ضيق لعزل

القوات العراقية ومن ثمّ تدميرها في مسرح العمليات في الكويت.

حتى يومنا هذا لم تعرف العوامل التي استندت عليها تلك الخطة. فأولاً لم يكن لدى التحالف أية فكرة واضحة عن مدى فعالية القوات العراقية أو جهوزيتها. فالصورة التي رسمها المحلّلون الاستراتيجيون أوحت بوجود قوّة عسكرية عراقية كبيرة، كما لم يكن للتحالف قدرات استطلاعية كافية مثلما هي متوفّرة اليوم.

كان كلّ من الجنرال شوارزكوف والجنرال كولن باول الذي كان رئيساً لهيئة الأركان المشتركة قلقين من المخاطر التي تفرضها تلك العملية وكان سبب قلقهما التجارب المروعة التي اختبرتها القوات الأميركية في فيتنام.

في العقد الفاصل ما بين حرب الخليج الثانية والثالثة، تغيّرت كثير من العناصر لتقلّل الحاجة إلى حشود كبيرة لإزاحة الرئيس صدام من السلطة.

فالخطة التي تمّ اعتمادها في العام ٢٠٠٣ انبثقت عن عقول ثلاث شخصيات عسكرية من ألمع العسكريين الأميركيين:[١]

- الجنرال غاري لوك الذي أصبح في العام ١٩٩٤ رئيساً للقيادة المشتركة في كوريا. حاصل على درجة دكتوراه في تحليل النظم من جامعة جورج واشنطن.

- الجنرال انطوني زيني، الذي برز كواحد من ألمع الجنرالات الذين عرفتهم البحرية. وعندما أصبح قائداً للقيادة المركزية في العام ١٩٩٧، اتجه نحو لوك نفسه الذي تقاعد حينها من الجيش. وبحث الرجلان مشكلة كيف يمكن للولايات المتحدة إطاحة الرئيس صدام حسين من السلطة بحملة سريعة وحاسمة.

- الجنرال طومي فرانكس، متعلّم متحمّس، تابع المباحثات مع لوك وبالتالي يمكن القول إن الخطة لإطاحة النظام العراقي مدينة في تكوينها للتفاعل المعقّد بين محترفين عسكريين على أعلى المستويات.

في العام ١٩٩١ كان التركيز في الخطة على القوة الساحقة، حوّلها لوك وفرانكس

---

(١) Evan Wright, The Killer elite, June 2003.

إلى خطة مبنية على القوّة الفائقة والمتنوّعة التـي مـن شـأنـها أن تـجعـل الجيش المقابل يواجه انهياراً شاملاً. وبدلاً من التركيز على الاعداد الهائلة ركّزت الخطة على الأجهزة الحاسمة الالكترونية ونظم الاستعلامات التي أظهرت بدقّة أكبر من ذي قبل ما كان يحدث في ساحة المعركة.

وفي تحضير القيادة المركزية لعمليات محتملة ضد العراق أعد زيني مجموعة من المقرات الموجّهة للخدمات في الشرق الأوسط في قوات المهمات المشتركة.

كان موجّه التخطيط والتجمّع لغزو العراق هو طومي فرانكس الذي يخفي وراء مظهره البارد عقلاً ثاقباً حاداً. وعلى نحو معاكس لشوارزكوف، فإن فرانكس لا يسمح لعواطفه وأفكاره الشخصية بالتأثير على العلاقة بينه وبين القادة الذين يخدمون تحت إمرته.

إن تجربة أفغانستان أقنعت فرانكس بأن وجود قوات العمليات الخاصة سيزيد من فعالية القتال. وعلى العكس من حرب الخليج الثانية، حين رفض شوارزكوف إقحام قوات خاصة في خطة الحملة بشكل عام.

استدعت الخطة ان يبدأ الهجوم البري الرئيسي والهجوم الجوي في وقت واحد. وكما ظهر، فإن الهجوم الجوي الرئيسي على بغداد جاء بعد أن توغّل كلّ من الفيلق الخامس والفرقة البحرية الأولى عميقاً في الأراضي العراقية. وكانت الغاية من الانتشار الأولي للقوات البرية التحكّم بالأرض وليس الاستيلاء عليها.

لقد كانت الأولوية لوضع القوات البرية على مقربة من بغداد قدر الإمكان وتأسيس مواقع الهجوم على بغداد.

أدركت القيادة المركزية ان العنصر الأكثر أهمية من الحملة سيكون خطوط الإمدادات المطلوبة لتأمين اندفاع الجيش ومشاة البحرية. وخلافاً للحرب السابقة فإن دقّة الحسابات اللوجستية مطلوبة بشكل كبير لإبقاء خطوط الامدادات مفتوحة.

الفصل الثامن

الهجوم على العراق

أولاً – سير العمليات الحربية

أ – تمركز القوات قبل بدء الهجوم:

١ – قوات التحالف:

- الفيلق الخامس الأميركي: شمال الكويت ومكوّن من ثلاث فرق.
- فرقة مارينز: شمال الكويت.
- فرقة المدرّعات الأولى البريطانية: شمال الكويت.
- لواء من القوات الخاصة الأميركية: غرب العراق.
- فوج من القوات الخاصة الأميركية: شمال العراق.

٢ – القوات العراقية:

- فرقة من الحرس الجمهوري: في الموصل.
- فرقة من الحرس الجمهوري: تكريت.
- ثلاث فرق من الحرس الجمهوري: حوالي بغداد.
- فيلق جيش نظامي: العمارة، على الحدود الإيرانية.
- فرقة جيش نظامي: الناصرية.
- فرقة مدرّعة: البصرة.
- بالإضافة إلى قوات غير نظامية وغير محدودة العدد.

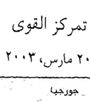
ب – تقدّم الفيلق الخامس:[١]

في ٢٠ آذار ٢٠٠٣، بدأت فرقة المشاة الثالثة من الفيلق الخامس تقدّمها باتجاه الشمال، في المنطقة غرب الفرات

(١) Peter Naas, Good Kolls, New York times magazine, April 2003.

تمركز القوى

٢٠ مارس، ٢٠٠٣

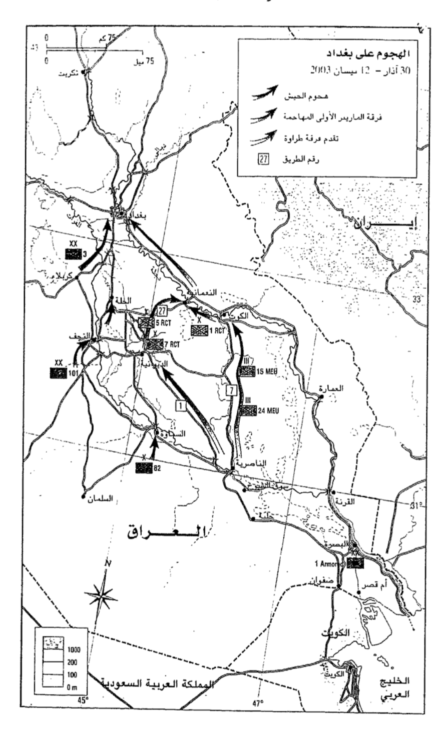


المرجع للخرائط:

حرب العراق، تاريخ عسكري وميداني، وليامسون موراي وروبرت سكايلز، الدار العربية للعلوم ٢٠٠٥.

الهجوم على بغداد

٣٠ آذار - ١٢ نيسان ٢٠٠٣



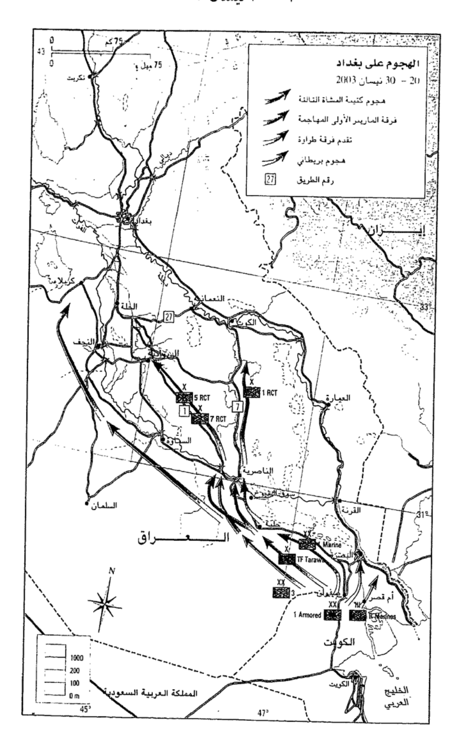
معركة بغداد

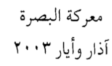
٢ نيسان ٢٠٠٣



الهجوم على بغداد

٢٠ - ٣٠ نيسان ٢٠٠٣





القوات المهاجمة
7000 مشاة
80 دبابة شالنجر
100 مدرعة

المقاقيل
كرمة علي
البصرة
العشار
N
0 2 كم
0 ميل miles

معركة البصرة
آذار وأيار 2003

- اتجاه الهجوم البريطاني
- أماكن المقاومة
- 1 الفيلق الملكي
- 2 فوج المظليين الثالث
- 3 فوج الدبابات الأول
- 4 الحراس الاسكتلنديين
- 5 مغاوير البحر ~ الفيلق الثالث
- الخط الأمامي للقوات الإنكليزية 30 آذار
- 1 مراكز حزب البعث الرئيسية
- 2 محطة القطار
- 3 مراكز الحكومة الرئيسية
- المطار

بهدف الوصول إلى مطار الطليل في ضواحي الناصرية التي هي هدف الفرقة الأول.

تمكّنت مجموعات من القوات الخاصة التي وضعت في المنطقة مباشرة قبل بدء القتال من أن تزوّد مدفعية فرقة المشاة الثالثة بمعلومات عن الأهداف. واستخدمت المدفعيّة الأميركية ذخيرة جديدة ودقيقة (SADRAM) للمرّة الأولى في هذه الحرب.

بعد إكمال مهماتها ضد الدبابات العراقية المتمركزة في الطليل، أطلقت مدفعية الفرقة نيراناً غزيرة على أهداف أعمق لتسهيل عمل طائرات الاباتشي في المنطقة.

مروحيات الاباتشي التابعة للواء الرابع من الفرقة، هي العناصر القتالية الأولى التي وصلت إلى الممر الضيق في الطليل. كانت أهدافها الآتية:

أحد عشر مخفراً أمامياً عراقياً كانت مهمتها إعطاء الانذار المبكر. أبيدت تلك المخافر بوقت قصير.

بعد ساعات قليلة استولت فرقة المشاة الثالثة على رأس جسر في الناصرية. كان أحد الجوانب المقلقة في القتال حول رأس الجسر هو ظهور الفدائيين إلى جانب وحدات الجيش النظامي.

تابعت فرقة المشاة الثالثة تقدّمها شمالاً سالكة طريقين يلتقيان في السمادة (الهدف الثاني للفرقة). شارك في هذا التقدّم الوعر حوالي ٥٠٠٠ مركبة و٢٠٠٠٠ جندي.

بعد ثلاثة أيام من القتال، بدأت الفرقة تقترب من السماوة، وبدأت القوات العراقية تعيق التقدّم بعض الشيء. وتمثّلت المقاومة العراقية بفرق صغيرة غير نظامية مؤلّفة من بعثيين وفدائيين عرب. لقد كانت لدى الأميركيين معلومات عن هؤلاء الفدائيين ولكنهم لم يتوقّعوا أن يخرجوا من المدن بهذه الكثافة لمهاجمة قوافل الأميركيين في الصحراء.

مهما كان تدريب العراقيين سيئاً، فلقد ثبت ان كمائنهم كانت مقلقة لجنود الفرسان المنهكين الذين كانت مهمتهم الاندفاع نحو بغداد بدل التلهّي بقتال جانبي على الطرقات والمسالك. كانت الكمائن قصيرة وقاسية حيث يترجّل بعض الفدائيين لوضع الألغام أو السيارات المفخخة على الطرقات لإعاقة التقدّم وحالما يتوقّف الطابور المدرّع

يطلق العراقي وابلاً من قذائف الـ ار بي جي ونيران الأسلحة الأوتوماتية.

ما ان اقترب الأميركيون من السماوة حتى ازدادت العمليات الفدائية واشتدّت. وفي الطريق إلى الهدف الثاني بدأ العراقيون باستخدام المدفعية والهواوين ضد الجنود المتقدّمين. كانت رادارات الفرقة، المضادة للمدفعية تلتقط قذائف العراقيين حالما تنطلق من مواسيرها. وفي غضون ثوان تكون مواقع الإطلاق قد حدّدت الكترونياً وتعرّضت للقصف من المدفعية الأميركية المرتبطة الكترونياً بالرادار. في تلك الأثناء، تمكّنت الفرقة من دخول السماوة، واستسلم عدد كبير من الجنود العراقيين النظاميين وزودوا الضباط الأميركيين بمعلومات مهمّة عن مواقع المقاومة.

تابعت الفرقة تقدّمها باتجاه النجف لعزلها من الشمال والشرق. في تلك الأثناء، هبّت العاصفة الترابية الحمراء، مما سمح للفدائيين بمهاجمة القوات الأميركية عن قرب.

في صباح الخامس والعشرين من آذار ٢٠٠٣، قامت فرقة المشاة الثالثة بمهاجمة الجسر الرئيسي عبر الفرات لإغلاق الحدود الشرقية للنجف.

في النجف، توقّع قائد الفرقة نشوب معركة مع قوات الحرس الجمهوري التي تدافع عن بغداد اعتباراً من خط النجف، ولم تكن فرقة المدينة (فرقة عراقية) بعيدةً عن تشكيلات الفرقة الأميركية.

كان لا بدّ من اللجوء إلى المروحيات الهجومية أباتشي لقصف فرقة المدينة. وهكذا بدأت ٣٢ طائرة أباتشي مهمتها الصعبة بسبب تمركز عناصر الفرقة في الجوامع والمستشفيات والمباني العامة والخاصة. وقد تعرّضت الطائرات لنيران الأسلحة الخفيفة والـ ار بي جي. وقد تمكّن رجل وحيد يطلق النار من بندقية AK-47، من إصابة إحدى المروحيات بعد ان اشتعل جناحها. بعد هدوء العاصفة الرملية، واعتباراً من ٢٨ آذار، بدأت الفرقة الثالثة تحرّكها باتجاه كربلاء.

ج - تقدّم قوات المارينز:(١)

في ٢٠ آذار، وفي تمام الساعة ٨،٣٠ مساء بحسب التوقيت المحلي، عبر فوج المارينز

---

(١) Peter Naas, même reference.

الخامس الممرات الضيّقة شرقي الفرقة الثالثة.

هذا الفوج التابع لفرقة المارينز الأولى التي يقودها الجنرال جيمس ماتيس، كان مؤلّفاً من:

- ٣ كتائب مشاة.
- كتيبة مدفعية.
- كتيبة استطلاع مدرّعة خفيفة.
- كتيبة مدرّعة مزوّدة بدبابات أبرامز.

أي بما مجموعه حوالي ٧٥٠٠ رجل، وقد دعم بفوج مدفعية، وسرب مقاتل من الطائرات. في نهاية الحرب كان سرب الطائرات الداعمة للمارينز قد طار ٢٥٦٠٠ ساعة وشنّ ٩٨٠٠ غارة، وأسقط ٢٢٠٠ قذيفة ذكيّة و٢٣٠٠ قنبلة، بإجمالي ثلاثة ملايين كيلوغرام من الذخيرة.

١ - مهمّة المارينز:

تلقّى الجنرال ماتيس مهمّته على الشكل التالي:

- إزالة النظام العراقي.
- دعم التحالف البري للقوات المشتركة لهزيمة القوات العراقية بسرعة.
- حماية الجناح الشرقي للجهد الرئيسي للفيلق الخامس طوال فترة العملية.
- عزل بغداد.
- الاستيلاء المبكر على البنية التحتية الأساسية للنفط لمنع إحراقها.

وبالرغم من ان طابع المهمة هو دعم القوات البرية، فقد شكّل تقدّم المارينز الذراع الأخرى من الكماشة التي سوف تطوق وتستولي مع فرقة المشاة الثالثة على العاصمة العراقية.

في نهاية الحرب، قطع المارينز المسافة من الكويت إلى تكريت، في غضون ثلاثة أسابيع وهي تساوي المسافة من سان دييغو إلى سان فرنسيسكو. لقد وصل المارينز إلى أبعد وأعمق من المستوى الذي وصل عنده الفيلق الخامس.

الجنرال ماتيس قائد فرقة المارينز الأولى، قاد وحدتين من المارينز في جنوب أفغانستان ضد الطالبان والقاعدة.

من مركز قيادته، بقي ماتيس قريباً من الأفواج المتورّطة في أعنف المعارك وكان يملك حساً ممتازاً للأحداث في أرض المعركة، وقد اختار عدّة ضباط ليكونوا مع

الأفواج المتورّطة في القتال لإفادته تباعاً عن سير المعارك. اعتباراً من ٢٠ آذار، هاجمت الأفواج الثلاثة لفرقة المارينز الأولى شمالاً في حقول نفط الرميلة. إن حقول النفط في الرميلة تمثّل واحدة من أضخم مستودعات النفط الخام والغاز (حوالي ١٠٠٠ بئر). الحقل الرئيسي يمتد من حدود الكويت إلى مسافة خمسين ميل شمالاً بموازاة الحدود الإيرانية. كانت أول مهمّة للمارينز تأمين حقول النفط بمساعدة القوات الخاصة، ثمّ تسليمها للبريطانيين، ثمّ يتابع رجال المارينز تقدّمهم منحرفين نحو الغرب باتجاه الناصرية. في غضون يومين أنجز المارينز المهمّة الأولى. ثمّ تحوّلت الأفواج الثلاثة إلى الغرب لتصل إلى الناصرية وتخوض مع فرقة المشاة الثالثة معركة الناصرية.

٢ - معركة الناصرية:

قال ضابط من المارينز عند وصوله إلى الناصرية:[1] «فرقة المشاة الثالثة للجيش رمت حجارة في وكر الدبابير وتابعت سيرها تاركة المارينز يتحمّلون النتائج». في الواقع، كان على المارينز ان يستأصلوا الفدائيين من المدينة.

المهمّة الأولى كانت الاستيلاء على الجسور عبر الفرات وقناة صدام في الناصرية مما قاد إلى معركة ضارية استمرّت لأكثر من أسبوع، وهذا ما لم يكن في الحسبان.

ومثلما اعتقد البريطانيون في البصرة، اعتقد المارينز كذلك ان الأغلبية الشيعية في الناصرية سيرحّبون بتحريرهم. فشل المارينز المتقدّمون في فهم الخوف العميق والرعب الحقيقي اللذين يشعر بهما السكان فيما لو امتنعوا عن الدفاع عن مدينتهم بوجه الأميركيين: كانت البلدة ملأى بالفدائيين والمخابرات والجنود النظاميين والمجاهدين (سوريون، فلسطينيون، مصريون وشيشانيون).

كان المدافعون عن الناصرية بأمرة علي حسن المجيد الملقّب بعلي الكيماوي، والمجيد واحد من أقرباء الرئيس صدام وأحد الوزراء القساة القلوب.

تمكّن الجنود المارينز من التوغّل في المدينة (فوج المارينز الثاني) ودخلوا بقتال شرس مع

(١) Colonel Andy Milani, Pitfalls of technology, US army war college, april 2003.

العراقيين. دمّرت تسعة دبابات من نوع T.55.

انقسم الفوج إلى وحدتي قتال: واحدة تقدّمت باتجاه الجسر وأخرى باتجاه القناة. وتعرّضت المجموعتان للكمائن متتالية، مما استدعى تدخّل الطيران الذي قصف خطأ عربة أميركية ودمّرها وقُتل فيها ستة من المارينز.

استمرّ القتال على رأس الجسر طوال الليل. وتطلّب تطهير الناصرية من المجاهدين والمقاتلين قتالاً وعنيفاً. ولم تكن مشاكل القوات قد حلّت بالكامل. كان عليها أن تؤكّد سلامة خطوط الامداد عبر المدينة إلى الطريق السريع رقم ٧، وكان عليها من أجل ذلك، ان تقتل الفدائيين والمجاهدين رغم صعوبة الرؤية الناجمة عن ريح الشمال الترابية والتي منعت القوات داخل المدينة من الاستفادة من الدعم الجوي. واستفاد المارينز من الأسرى العراقيين للحصول على معلومات ساعدت على تطهير المدينة. كما كان لهذه التركيبة الممتازة من الاستخبارات القوية والقوات الخاصة الفضل الكبير في إنقاذ الجندية جسيكا لينج التي كان قد أسرها العراقيون قبل وقت. فقد أخبر موظّف عراقي المارينز أين كان العراقيون يحتفظون بالأسيرة (في مستشفى)، وعاد الموظّف إلى غرفة الجندية لتوفير الأمن حول غرفتها. لقد ساعد حراس عراقيون القوات الخاصة بالدخول إلى المستشفى وإنقاذ الجندية.

في الواقع لم يتم تطهير المدينة بالكامل إلاّ في نهاية آذار، حيث أصبحت المواكب العسكرية تتحرّك دون خوف من الكمائن. عند ذلك بدأت قوات المارينز بالتقدّم شمالاً على الطريقين السريع ٧ و١ وواجهوا سلسلة من الكمائن نصبت بشكل سيء وكأنّ دورها كان للازعاج لا للإعاقة.

إذن في أقل من أسبوع، كان الأميركيون قد أنجزوا تقدّماً مدهشاً في أعماق الأراضي العراقية. كانت وحدات الجيش الرئيسي والمارينز متورّطة في سلسلة من المعارك في الناصرية والسماوة والنجف، وكان الهم الأكبر لقائد الفيلق تأمين الامداد للقوات المتقدّمة استعداداً للهجوم النهائي على العاصمة بغداد.

د - الحرب البريطانية في الجنوب:[1]

في خطابه إلى الفوج الإيرلندي الملكي التابع للكتيبة الأولى، قال المقدّم تيم كولينز: «نحن ذاهبون لكي نحرر لا لنقهر. سوف لن ننشر راياتنا في بلادهم. سندخل لنحرّر الناس، والراية الوحيدة التي سوف ترفرف عالياً هي رايتهم سوف نظهر احتراماً لهم. البعض منا لن يكونوا أحياء عما قريب. أولئك الذين لا يريدون الذهاب سوف لن نرسلهم، أمّا بالنسبة للآخرين، فاني أتوقّع منهم أن يدهشوا العالم. وتذكّروا دائماً ان الشراسة في المعركة لا تعني أن لا تكونوا شهامى عندما تنتصرون».

تمثّلت بريطانيا في حرب الخليج الثالثة بالفرقة المدرّعة الأولى. وقد ضمّت الفرقة حوالي ٢٥٠٠٠ جندي وتكوّنت من ثلاثة ألوية:

- اللواء المدرّع السابع الملقّب بجرذان الصحراء.
- لواء الهجوم الجوي ١٦.
- لواء القوات الخاصة (كومندو) الثالث.

اللواء المدرّع السابع كان مشابهاً في قوّته الضاربة بلواء من فرقة المشاة الثالثة، وضمّ الدبابات من نوع تشالنجر اا، المشابهة لابرامز الأميريكة ولكن مع محرّك ديزل للمسافات الطويلة.

ولقد بدأ البريطانيون منذ العام ٢٠٠٢ بتنفيذ برنامج تعديل يناسب الصحراء على الدبابات.

تكوّن لواء الهجوم الجوي ١٦ من مروحيات وعناصر فوج المظلاّت، أمّا لواء المغاوير الثالث فتألّف من وحدة المغاوير الـ٤٠ والـ٤٢ من البحرية الملكية الذين تدرّبوا أساساً لدور برمائي مشابه لدور فيلق المارينز.

هذه الألوية الثلاثة المختلفة جداً في الفرقة البريطانية عملت معاً بطريقة مميّزة للسيطرة على جنوب العراق لتتمكّن القوات الأميركية المندفعة باتجاه بغداد من تأمين جناحها الجنوبي. وطهر البريطانيون مدينة البصرة، مدمرين قوات عراقية كبيرة.

---

(١) Christopher Hi te hims, Regime change, London 2003.

كانت بريطانيا العظمى هي الحليف الأكثر وفاءً لأميركا خلال القرن العشرين، في السلم كما في الحرب. واستمرّ هذا التقليد المتحالف في عملية احتلال العراق في القرن الواحد والعشرين. وكان بطل هذا الحدث الكبير رئيس الوزراء بلير، الذي خاطر بمنصبه وسمعته لدى مواطنيه للوقوف إلى جانب أميركا. وقد واجه بشجاعة وحكمة المظاهرات الصاخبة التي قامت في لندن في شهر شباط ٢٠٠٣ (أكثر من مليون متظاهر) للاحتجاج على مساندة حكومة بلير للحرب. وربما كان السبب الأساسي لهذا التصرّف من قبل بلير تقارير الاستخبارات التي قدمت إليه بأن الرئيس صدام حسين كان يطوّر أسلحة دمار شامل.

في بداية كانون الثاني ٢٠٠٣ بدأت الحكومة البريطانية ترسل قوات عسكرية كبيرة إلى الخليج العربي. وعشيّة ٢٠ آذار ٢٠٠٣، عبرت الفرقة البريطانية المدرّعة الأولى إلى العراق، مصحوبة بوحدة المارينز الـ١٥ الأميركية.

الهدف المباشر الأول للفرقة كان حقول نفط الرميلة ونهايات خطوط النفط في شبه جزيرة الفاو.

لقد أمّن اللواء المدرّع السابع ولواء الهجوم الجوي ١٦ الدعم والمساندة لفوج المغاوير في الاستيلاء على حقول النفط.

لقد نجحت القوات البريطانية في منع العراقيين من إشعال آبار النفط في حقول الرميلة، كما تمكّنوا منذ البداية باحتلال أم قصر (ميناء) حيث سيلعب دوراً أساسياً في تأمين العون الإنساني إلى العراقيين في الجنوب. ومن ثمّ كان على البريطانيين متابعة التقدّم باتجاه البصرة، ثاني أهم مدن في العراق.

١ - معركة أم قصر:(١)

كانت هناك مفاجأتان تنتظران البريطانيين منذ بداية العمليات العسكرية:

الأولى كانت كم كان العراقيون غير جاهزين للقتال. والثانية كانت عمق سيطرة حزب البعث على السكان، حتى في

(١) Christopher Hitehims: même reference.

الجنوب، حيث توقّع البريطانيون أن يرحّب بهم كمحرّرين.

كانت فرقة المارينز الأولى أمام وإلى يسار البريطانيين. وتمّ نشر الألوية الثلاثة للفرقة البريطانية على الشكل التالي:

- على اليسار البعيد لمسلك تقدّم البريطانيين كان هناك لواء الهجوم الجوي ١٦، يكتسح شمال مدينة أم قصر ويقيم مراكز الرصد والرقابة عبر الطريق السريع الرئيسي من بغداد إلى البصرة.
- في الوسط، سوف يكتسح اللواء المدرّع السابع يمين مدينة أم قصر ليضرب بأسرع ما يمكن في البصرة.
- في الجنوب، يستولي لواء المغاوير الثالث على آبار النفط في الرميلة بمساعدة القوات الخاصة الأميركية.

إن شبه جزيرة الفاو والأقنية ومجاري المياه المحيطة بها، استدعت أكثر من أسبوع لتطهيرها. ولكن الهدف الاستراتيجي والسياسي بالاستيلاء على آبار النفط تحقق فوراً. فبعد أربع ساعات من القصف الشديد بواسطة المدفعية الأميركية والبريطانية المتمركزة على جزيرة بوبيان في الأراضي الكويتية، تمكّن كومندوس البحرية الملكية والقوات الخاصة من احتلال منطقة الآبار. ورغم المفاجأة العراقية بالهجوم، فقد حدثت بعض المعارك التي لم تكن كافية لعرقلة تقدّم القوات البريطانية. ولم يتمكّن العراقيون من إحراق أكثر من ٧ آبار من أصل ألف بئر.

صباح ٢١ آذار، كان المارينز قد استولوا على منطقة ميناء أم قصر وعلى الجسور المحيطة بالمدينة. فتمّ تسليم الأرض فوراً للبريطانيين وتابعوا تقدّمهم باتجاه الشمال. خلال الأربع والعشرين ساعة الأولى من القتال، حققت فرقة المدرّعات البريطانية نجاحاً مهماً وكانت الإصابات قليلة نسبياً، باستثناء تحطّم طائرة CH,46 ومقتل طاقمها المؤلّف من أربعة جنود أميركيين وثمانية بريطانيين.

في ٢١ و٢٢ آذار، بينما كان لواء الكومندوس الثالث يستولي على آبار النفط كان اللواء المدرّع السابع ولواء الهجوم الجوي ١٦ على يساره، يتوجّهان نحو أم قصر عند شط العرب، حيث يلتقي دجلة والفرات. وبعد احتلالها ستتابع القوات تقدّمها باتجاه البصرة لمحاصرتها.

٢ - سقوط البصرة:[1]

لاحظ القادة البريطانيون فوراً أن البعثيين يمسكون بزمام الأمور بشدّة داخل مدينة البصرة. كان لدى البريطانيين شبكة استخبارات تركّزت إبّان حرب الخليج الثانية وبقيت عاملة حتى الحرب الثالثة، وقد قدّمت معلومات قيّمة استفاد منها البريطانيون كثيراً في محاصرة واحتلال المدينة.

كان علي حسن المجيد هو قائد القوى البعثية المختلفة في البصرة. والمجيد كان قد بدأ حياته سائق دراجة نارية، لكنّ ميله للعنف جعله نجماً ساطعاً في ظلّ نظام الرئيس صدام حسين. ومعروف عن المجيد استعماله للغازات السامة في حربه ضد الأكراد في شمال البلاد. وقد رصدت الاستخبارات العربية حديثاً للمجيد جاء فيه: «سأقتلهم جميعاً بالأسلحة الكيماوية، من سيعارض؟ المجتمع الدولي؟ عليهم اللعنة».[1]

تكوّنت القوى الموضوعة بتصرّف المجيد في البصرة للدفاع عنها من:

- مجندين الزاميين من الشيعة غير مدربين وغير محمّسين.
- فدائيي صدام تابعين أصلاً لابنه قصي.
- بعثيين موالين للنظام تدرّبوا بضع ساعات على استعمال السلاح.

كانت فكرة المجيد ترتكز على استدراج القوات البريطانية إلى داخل المدينة لقتالها. غير ان البريطانيين رفضوا الاستدراج إلى القتال داخل البصرة، وأبقوا الحصار مرناً لتمكين الأهالي من الهرب خارج المدينة.

إن خطة الحصار المرنة حول البصرة سمحت للبريطانيين بدفع عملائهم وفرق القناصة ودوريات القوات الخاصة من وإلى المدينة.

بحلول ليل ٢٧ - ٢٨ آذار شعر البريطانيون بإمكانية إرسال المزيد من القناصة إلى البصرة. كان الهدف الأساسي أن تؤخذ المدنية بدون خسائر كبيرة في صفوف القوات البريطانية وكذلك السكان.

في نهاية آذار، بدأ البريطانيون بشنّ هجمات سريعة باتجاه المدينة من نقاط

(١) حرب العراق، وليامسون موراي وروبرت جونيور. الدار العربية للعلوم ٢٠٠٤.

مختلفة على الأطراف. وقام القنّاصون باصطياد الفدائيين في أماكن مختلفة من المدينة.

بالإضافة لذلك، كان ضباط الاستخبارات البريطانيين يرسلون مناشير إلى السكان يقولون فيها: «هذه المرة لن نترككم، ثقوا بنا وكونوا صبورين.[1]

خلال أوائل نيسان تمكّن البريطانيون، بناء لمعلومات استخباراتية، من تدمير مبنى كان يعتقد أن علي الكيماوي يختبئ بداخله. ولفترة من الوقت، اعتقد الناس بأن مجيد قد قتل. ورغم أنه تبيّن بعد ذلك عدم صحّة الخبر، فإن الإشاعة فعلت فعلها في انهيار معنويات البعثيين وارتفاع معنويات السكان.

يوم الأحد ٦ نيسان، شنّ البريطانيون هجوماً على المدينة بواسطة مجموعات قتالية من الفوج المدرّع السابع. وكان المخطط الأولي للهجوم يقوم على الضرب عمقاً نهاراً والانسحاب ليلاً.

بعد نجاح المخطط على مدى ثلاثة أيام، تحرّكت مجموعات قتالية لتدمير آخر معاقل الفدائيين في كلّية الآداب داخل المدينة. وكان المعقل الأخير بيد ٣٠٠ مقاتل من جنسيات عربية وإسلامية مختلفة (تونس، المغرب، الجزائر، سوريا ودول شرق وسطية أخرى).

في الصباح التالي، تحرّك مظلّيو اللواء ١٦ إلى المدينة القديمة للقضاء على آخر المدافعين عنها ومنذ ذلك الوقت أصبحت البصرة بيد البريطانيين.

ربما يكون من الأمور الهامة التي يمكن استنتاجها من وجهة النظر العسكرية أن الاداء البريطاني في حرب العراق أثبت كيف أن الاستخدام الماهر للاستخبارات البشرية، يوفّر الخسائر ويؤمّن النصر ولو بفترة أطول.

لقد سقطت البصرة تحت تأثير عامل الاستخبارات والعمليات الخاصة والغارات على المدينة، وهذا أنموذج بريطاني معروف منذ القدم وأثبت نجاحه على مدى العصور.

---

(١) في إشارة إلى حرب الخليج الأولى حيث حمّس الأميركيون الشيعة على الثورة تمّ تركوا لمصيرهم.

هـ - الحرب الجوية:[1]

في تمام الساعة الواحدة فجراً من تاريخ ٢٠ آذار (بتوقيت الرياض) تلقّى الجنرال مايكل موسلي، مكالمة هاتفية عاجلة من رئيس الأركان المشتركة الجنرال ريتشارد مايرز الذي استفسر من قائد القوات الجوية في القيادة المركزية الأميركية إن كانت طائرات F-17 التابعة له قادرة على مهاجمة هدف منعزل في بغداد قبل بزوغ الفجر. أجاب موسلي بالإيجاب.

لقد كان الهدف الرئيس صدام حسين نفسه، إذ أفادت الاستخبارات الأميركية بأنه وولديه قصي وعدي مجتمعون في تلك الساعة مع عدد من القادة البعثيين.

عند الساعة الخامسة والدقيقة السادسة والثلاثين بتوقيت بغداد، سقطت قنبلتان تزن الواحدة منهما، ٩٠٩ كلغ، من طائرات F-17 وأصابت الهدف بدقّة. غير ان الهدف المقصود لم يكن موجوداً في مخبئه ونجا صدام.

وفي العودة إلى الحملة الجوية، فقد كان من المستحيل في حرب الخليج الثالثة الفصل بين الحملة البرية والحملة الجوية نظراً لتزامنهما عكس ما كانت الحال في الحرب الخليجية الثانية.

إن هجوم الـF-17 المفاجىء على مخبأ الرئيس صدام حسين في الساعات الأولى من ٢٠ آذار، قبل يوم من التاريخ المحدد لبدء الحرب، غيّر بعض الخطط الموضوعة من قبل القادة الجويين. فقد ركّز المجهود الجوي للتحالف خلال ساعات النهار من يوم ٢٠ ويوم ٢١ آذار، على مساعدة القوات البرية التي بدأت تحرّكها في العراق من قواعد تمركزها في صحاري الكويت.

رغم ذلك، شهدت ليلة ٢٠ - ٢١ آذار ضربات موزّعة على أهداف قيادة، وتحكّم، وسيطرة في كلّ مكان من العراق. وأطلقت ٣ سفن حربية أميركية (المدمّرة USS ماكين، وغواصات الهجوم USS كولومبيا) ٣٦ صاروخ كروز توماهوك على العاصمة.

استطاع العراقيون من جهتهم أن يطلقوا ٦ صواريخ بالستية تكتيكية من نوع أبابيل ١٠٠ - على أهداف متنوّعة في الكويت.

---

(١) Colonel Andy Milani: même reference.

اشتركت في الليلة الأولى في شن الحملة الجوية على بغداد طائرات F-17 وB-2 وB-1 وتشكيلة أخرى من الطائرات المقاتلة، بالإضافة إلى صواريخ الكروز.

وإذا تحدّثنا بالأرقام عن قصّة الهجوم الكبير على بغداد ليل ٢٠ - ٢١ آذار فيمكننا إيجاز ذلك كما يلي:

- إطلاق ٦٠٠ صاروخ كروز: ٥٠٠ منها من ثلاثين سفينة أميركية وبريطانية و١٠٠ من قاذفات قنابل تابعة للقوّة الجوية.
- حلّقت في الحملة أكثر من ١٥٠٠ طائرة، منها ٧٠٠ طائرة هجومية أصابت تقريباً ١٠٠٠ هدف (ألف).

وقد انتقلت الطائرات من القواعد التالية:

- قاعدة وايتمن الجوية في ميسوري (B-2 وB-1).
- قاعدة ديجو غارسيا في المحيط الهندي.
- قاعدة هاي فورد العليا في المملكة المتحدة (التورنيدو).
- خمس حاملات طائرات في البحر الأبيض المتوسّط والخليج العربي.
- أكثر من ثلاثين قاعدة توزّعت في الشرق الأوسط من تركيا إلى الخليج.

وقد تبيّن أن الطائرات لم تضرب أياً من الجسور فوق دجلة والفرات كما فعلت في العام ١٩٩١ لأنها ستستخدم في المستقبل القريب من قبل القوات البرية الأميركية والبريطانية.

ماذا كانت ردّة الفعل العراقية على الحملة الجوية؟ الرادارات القليلة التي شغلت تمّ القضاء عليها بسرعة. لم يقم العراقيون بأي غارة. تمّ إطلاق بضعة صواريخ سام دون أن تكون مزوّدة بأي رادار، بالإضافة إلى المضادات الأرضية التي لم تصب أيّاً من طائرات التحالف.

إن عدداً كبيراً من الطائرات المغيرة كانت تبلّغ عن أهدافها وهي في الجوّ. هذه الغارات تحت الطلب كانت لدعم القوات البرية خلال تقدّمها نحو العاصمة بغداد. خلال اليومين التاليين (٢٣ - ٢٤ و٢٤ - ٢٥) آذار شن التحالف بين ١٥٠٠ و٢٠٠٠ غارة.

ليل ٢٧ - ٢٨ آذار إلتقطت حواسيب البحرية حوالي ١٠٠٠ طائرة تحلّق فوق جنوب العراق تدخل أو تخرج في مهمات قتالية. لقد كانت هي المرّة الأولى التي تمكّن فيها التحالف من الزجّ بكامل طائراته في

القتال منذ أن هبّت العاصفة الرملية قبل ثلاث ليالي.

وبعد استيلاء قوات التحالف على قاعدة الطليل الجوية قرب الناصرية في جنوب العراق وإعادة تأهيلها، أصبح ممكناً لطائرات المارينز والقوات الجوية الملكية إيجاد نقطة تسلّح وتزوّد بالقوّة لمسافة ١٠٠ ميل داخل العراق. بحلول الرابع من نيسان فإن ٥٪ من الجهد الجوي للتحالف كان مركّزاً على تدمير القوات البرية العراقية خاصّة فرق الحرس الجمهوري التي كانت تدافع عن كربلاء ومناطق الاقتراب من بغداد.

ومع اقتراب القوات البرية من بغداد فإنّ معارك البر والجو اندمجت معاً في قتال موحّد ومترابط. ومع ذلك، فقد استمرّت الهجومات الجوية في إنزال الضربات القوية على مراكز القيادة والسيطرة في بغداد.

وبالاستيلاء على مطار صدام الدولي من قبل فرقة المشاة الثالثة، أصبح بالإمكان استعمال طائرات الـ C-130 من بغداد، الأمر الذي سمح بإعادة إمداد الجيش بالمواد الأساسية، وأصبح الطريق إلى بغداد سالكاً.

في وقت مبكر من عصر ٧ نيسان، اعترضت الاستخبارات الأميركية إشارة هاتف خليوي تفيد أن صدام وولديه سيلتقون في موقع ما في منطقة المنصور في بغداد. مرّر مركز العمليات الجوية للتحالف الاحداثيات فوراً إلى قاذفات القنابل B-1 التي كانت تحلّق فوق العراق ٢٤ ساعة في اليوم. بعد ذلك بدقائق كانت القاذفات تسقط القنابل المدمّرة من على ارتفاع ٢٠٠٠٠ قدم، أي حوالي ٦٠٠٠ متراً على الهدف. ثمّ ظهر أن صدام لم يكن في الموقع.

في ٨ نيسان سجّلت استخبارات التحالف انه نتيجة الضربات الجوية، لم يبق من أصل ٨٥٠ دبابة تابعة للحرس الجمهوري إلاّ ١٩ دبابة، ومن أصل ٥٥٠ قطعة مدفعية، بقي ٤٠ قطعة فقط.

وفي استعراض سريع لبعض الأرقام عن الحملة الجوية يتبيّن ما يلي:

- في الحرب الخليجية الثانية قام التحالف بحوالي ١٢٦٦٤٥ غارة جوية، في حين نفّذ في الحرب الثالثة ٣٦٢٧٥ غارة، خلال ثلاث وعشرين يوماً.

- من بين ٣٦٢٧٥ غارة، كانت ١٤٠٥٠ غارة قصف.
- أرسلت القوات الجوية الملكية والأميركية طائرات صهريج وقود في ٧٥٢٥ طلعة، أفرغت ٣١٠ مليون باوند (١٤٠ مليون كلغ) من الوقود في الطائرات المقاتلة وقاذفات القنابل.
- فقد التحالف طائرتين فقط، طائرة A-10 فوق بغداد، وطائرة F-15E قرب تكريت. أنقذ طيار الـA-10، وقتل ملاحا الطائرة الأخرى.
- في أفغانستان، ووفقاً لتقديرات حالية، كان يموت مدني واحد لكلّ اثنتي عشرة قذيفة تسقط خلال الحرب الجوية. في حرب العراق، كان يقتل مدني واحد لكلّ خمس وثلاثين قذيفة تسقط؛ مما يعني أن الدقّة في إصابة الأهداف العسكرية في حرب العراق كانت أهم بكثير من حرب أفغانستان.

و - متابعة تقدّم القوات البرية: الفيلق الخامس يكمل اندفاعه شمالاً:[1]

«العربات قوية، الأحصنة سريعة، القوات باسلة، الأسلحة فتاكة، لذلك عندما يسمعون الطبول تقرع للهجوم، يشعر الجنود بالسعادة».

تشانج يو، ١١٠٠م.

بحلول الأيام الأخيرة من آذار ٢٠٠٣، أي بعد عشرة أيام من القتال، وصلت طلائع الفيلق الخامس إلى كربلاء ومشارفها. في ذلك الوقت، كانت قوات المارينز وقوات الفيلق الأخرى تعمل على إسكات جيوب المقاومة العراقية في السماوة والنجف.

في ٣٠ آذار، بدأ الفيلق الخامس مناورة خماسية الأبعاد لتشويش العراقيين حول الاتجاه الأساسي للهجوم الفعلي على بغداد. اقتضت الخطة أن تقوم فرقة المشاة الثالثة بنصف عديدها بالاندفاع إلى ثغرة

(١) حرب العراق، تاريخ عسكري وميداني، المرجع نفسه.

كربلاء، في الوقت ذاته، تنفّذ أربعة هجومات مخادعة باتجاهات مختلفة.

كان الهدف من هذا الهجوم الخماسي الإيحاء للعراقيين بأن القوات الأميركية ستسلك الطريق السريع رقم ٨ في هجومها على بغداد، فيضطر حينها العراقيون لتحريك الحرس الجمهوري باتجاه الجنوب الغربي، مما يسمح لقوات التحالف من تدمير تلك القوات من الجو.

إلى جنوب الفيلق الخامس، عزّز تقدّم المارينز جهود الفيلق في الخداع. واستمرّت فرقة المارينز الأولى بدفع الكتيبتين الخامسة والسابعة عبر الديوانية على الطريق السريع رقم ١، مساهمة بتعزيز الاعتقاد أن الاندفاع إلى بغداد سيأتي من الجنوب. وفي الواقع، سيتحوّل المارينز شرقاً عبر الطريق السريع رقم ٢٧ وسيعبرون دجلة، ويقتربون من بغداد من الجنوب الشرقي.

١ - عبور ثغرة كربلاء والاستيلاء على المطار:

أفادت التقارير المجمعة من أقوال الأسرى والوثائق المضبوطة والمعلومات المستقاة بواسطة طائرات JSTAR وUAV بأن وحدات الحرس الجمهوري المدافعة عن بغداد قد دمّرت في معظمها. وبالتالي استقرّ الرأي باستحالة قيام العراقيين بالدفاع عن العاصمة.

مثّلت كربلاء بالنسبة لقوات التحالف المدخل إلى بغداد. المنطقة حول المدينة كانت عبارة عن مستنقعات وعوائق، ومباشرة إلى شمال كربلاء كان هناك خزان ماء ضخم جداً مجاور لسدّ «الحديثة». وكان الخوف من تفجير السد والخزان مما يغرق المنطقة بفيضانات تجعل التقدّم المدرّع مستحيلاً. من هنا كان لا بدّ من الاستيلاء على سدّ الحديثة، وقد تسبّب ذلك بمعركة طويلة دامت أسبوعين. وكان لا بدّ أيضاً من الاستيلاء على الجسور في كربلاء في مواجهة مقاومة عراقية شرسة من وحدات الحرس الجمهوري. استمرّ القتال للسيطرة على كربلاء وعلى ضفاف النهر طوال اليومين الأولين من نيسان واستهلك فعلياً كلّ قوة نيران الفرقة. اشتدّ القتال شمال كربلاء وكان العبور لنهر الفرات من ضفّته الغربية إلى الضفة الشرقية خطراً جداً. ثمّ تمكّنت

إحدى فصائل الفرقة من تمرير ثلاث دبابات عبر الجسر الذي زرعه الفدائيون العراقيون بالمتفجرات. بعد عبور الدبابات الثلاثة، فجّر الفدائيون الجسر من دون ان ينهار، استطلع المهندسون العسكريون هذا الجسر فقرّروا أنه ما زال يستطيع تحمّل مرور المركبات الثقيلة. فتابعت الدبابات اجتيازها لنهر الفرات وأصبحت الطريق إلى بغداد سالكة وآمنة.

قدّرت الاستخبارات أن الجيش العراقي يملك الآن فقط لواءين من الحرس الجمهوري وحوالي ١٥٠٠٠ مقاوم فدائي، فاتخذ القرار باحتلال مطار صدام الدولي، العقبة الأخيرة قبل الهجوم على بغداد.

صباح ٤ نيسان كانت القوى قد احتلّت قسماً من المدارج ومبنى المطار، ووجدوا أنفسهم ضد مدرّعات الجيش العراقي في ضواحي المطار. وبحلول ٥ نيسان أصبح المطار آمناً بأيدي القوات الأميركية.

٢ - عمليات الرعد:

«عملية الرعد» أطلقت على مجموعة الغارات المدرّعة على بغداد. بدأت المدرّعات بشكل مجموعات صغيرة (من ثلاثة إلى أربعة) بالتقدّم سريعاً عبر وسط بغداد، مارة مروراً سريعاً بالضفة الغربية لدجلة، ثمّ مندفعة عبر منطقة الوزارات، والمنتزهات والقصور، قبل الخروج من المدينة وإعادة الالتحاق بالفرقة عند المطار الذي أعيد تسميته «مطار بغداد الدولي». وكانت هذه المجموعات تتعرّض في طريقها إلى نيران الفدائيين من المباني المجاورة لمحاور التقدّم وتمكّنوا من تدمير بعض الدبابات.

ونظراً لتكاثر أعداد الفدائيين، قدّمت الطائرات A-10 دعماً جوياً قريباً، وقصفت مروحيات Warthogs من على علو منخفض السطوح ومواقع العراقيين.

صباح ٦ نيسان، أرادت النخبة الحاكمة الخروج من بغداد. وكان الطريق السريع رقم ١ هو الطريق الوحيد الباقي للخروج من العاصمة والهروب إلى سوريا.

كانت مجموعة اللواء الثالث القتالية التابعة للفرقة الثالثة الأميركية قد اتخذت التدابير لإقفال هذه الطريق. وكانت النتيجة معركة شرسة استمرّت ١٠ ساعات بين المجموعة الأميركية ووحدة دبابات تابعة للحرس الجمهوري.

والـلافت أنـه بـيـنـمـا كـانت الـدبـابـات الأميركية متمركزة على مسافة غير بعيدة مـن وزارة الاعـلام الـعـراقـي، كـان الـوزير الصحاف ما زال يعلن للصحافة العالمية أن الأميركيين ما زالوا خارج بغداد.

صباح السابع من نيسان كان يوماً سيئاً للأميركيين. تعرّض مركز القيادة المتحرّك لـلـمـجـمـوعـات داخـل بـغـداد لضـربـة مـن صواريخ أرض - أرض دمّرت أكثر من اثنتي عشر دبابة وقتل خمسة جنود وجرح العديد منهم.

على اثر ذلك اتخذ القرار بالدخول إلى وسط بغداد والبقاء فيها. احتاجت القوافل المتقدّمة إلى حوالي ساعة للوصول إلى وسط بـغـداد. ومـنـذ ذلك الـوقت أخـذ الـفـدائـيـون الـعـراقـيـون ومـن جـنـسـيـات عـربـيـة أخرى يتحرّشون بالقوات الأميركية بشجاعة كبيرة وينجحون بتدمير دبابة من هنا وقتل جنود أميركيين من هناك.

حفر أفراد المقاومة سلسلة من الخنادق حـول مـلـتـقـى الـطـرق وهـاجـمـوا الـقـوات الأميركية سيراً على الأقدام أو في سيارات الأجرة التي استولوا عليها.

لـقـد أظـهـر الـفـدائـيـون درجـة عـالـيـة مـن الشجاعة والبراعة التكتيكية باستعمال أل أر بـي جـي، وإطـلاق الـصـواريـخ مـن مـسـافـات بـعـيـدة. لـقـد اسـتـخـدمـوا أيـضـاً المـدفـعـيـة والهاونات ليلاً نهاراً.

كـانـت المقاومـة كـبـيرة الـعـدد وانـتـحـاريـة أحـيـانـاً وتمكّـنـت مـن جـعـل إقـامـة الجـنـود الأميركيين في بغداد غير آمنة.

مساء ٧ -٨ نيسان خفّت حركة المقاومين ولم يبق منها إلاّ بعض الهجمات الانتحارية.

في الأيام القليلة التي تلت سقوط بغداد، استدعي المارينز لمهمة نحو الشمال للقضاء على أي شكل من أشكال المقاومة العراقية في تكريت، مسقط رأس الرئيس العراقي صدام حسين. كانت القوّة مؤلّفة من ثلاث كتائب مدعومة بدبابات أبرامز والقوة الجوية التابعة للمارينز. وقد تحرّكت تلك القوّة إلى تكريت واحتلّتها خلال أسبوع من القتال الشرس.

٣ - المقاومة في بغداد:

وصف أحد ضباط المارينز أعمال المقاومة في بغداد على الشكل التالي:

«كانت كتلك اللعبة، كما تعلم، حيث يخرج المخلوق رأسه من فتحة وتحاول أن تضربه قبل ان يخرج من فتحة ثانية... كان هناك أشخاص يحملون الـ أر بي جي على أكتافهم في كلّ مكان».

تحوّل التقدّم إلى بغداد إلى معركة كبيرة، قرب العزيزية. كانت مقاومة العراقيين للأميركيين مدهشة واستمرّ القتال الضاري هناك عدّة أيام. ما قاتل به العراقيون في المعركة تضمّن دبابات T55 وT62 وعربات آلية ومدافع جوية وهاونات تابعة للحرس الجمهوري. قاتل العراقيون من مواقع دفاعية على طول الطريق السريع ودافعوا عن المدينة.

استمرّ تقدّم القوات الأميركية إلى بغداد رغم المقاومة العنيفة المتمثّلة خاصة بكمائن ضد الآليات وهجمات ضد الأشخاص.

دامت الحملة ثلاثة أسابيع. استطاعت بعدها قوات التحالف من الإجهاز النهائي على نظام الرئيس صدام حسين، الذي وقع لاحقاً في قبضة الحلفاء أسيراً على ان يقدّم إلى المحاكمة لاحقاً.

خسر الرئيس صدام حسين الرهان هذه المرة، خسر نظامه، خسر حزبه، خسر العراق، خسر ابنيه قصي وعدي في عملية عسكرية أدّت إلى مقتلهما معاً.

مصرع إبني الرئيس صدام، عدي وقصي:

أفادت معلومات استخباراتية مساء الاثنين في ٢١ تموز ٢٠٠٣ ان ابني صدام كانا يختبئان في بيت بعيد لأحد أقربائه في الموصل.

حاصرت سرية من الجنود المبنى في الساعة العاشرة صباحاً. ثمّ قام مترجم عراقي يستعمل بوقاً يأمر السكان بالخروج. وبعد عشرة دقائق وبدون أي جواب، اقتحمت فرقة صغيرة من عناصر مكافحة الارهاب التابعة للمارينز، المبنى، ودخلت بحذر. فتّشوا الطابق الأول ووجدوه خالياً. وإذ صعدوا إلى الطابق الثاني، انطلقت رصاصات من بندقية كلاشينكوف وسقط ثلاثة جنود جرحى، استعملت القنابل اليدوية ونيران الرشاشات بشكل عشوائي.

عند الظهر جرت محاولة أخرى للدخول قوبلت بوابل من النيران الغزيرة. كان لدى قائد المجموعة أوامر أن يتمّ إلقاء القبض على

الـرجـلين أحـيـاء إذا أمـكـن؛ لـكـن إطـلاق عشـرة صـواريخ تـاو مضـادة للدبابات على المبـنـى كـانـت كـافـيـة لإسـكـات كـلّ شـيء. وأخرج قصي وعدي ومرافقيهم وابن قصي من المبنى مقتولين.

إلـقـاء الـقـبـض عـلـى الـرئـيـس صـدام حسين:

في ١٣ كانون الأول من العام ٢٠٠٣، تمكّـنت فـرقـة صـغيرة مـن الـقـوات الخاصـة الأميركية من اعتقال الرئيس صدام حسين، في مخبـأ تحت الأرض، لـيس بـعـيـداً عـن مسقط رأسه تكريت.

وقـد كثرت الـروايـات حـول حـقـيـقـة اكـتـشـاف المخبـأ، غير أن الـثـابـت أن أحـد حـرّاسـه الشـخصـيين وشـى بـه لـلـقـوات الأميركيّة مقابل الحصول على الجائزة التي كانت مخصّصة لذلك. كما قيل الكثير عن طريقة توقيفه، سيّما وأنه ظهر أمام وسائل الاعلام مطيعاً، راضخاً، وكأنه مخدّر.

غير أن اعتقال الرئيس حسين، وخلافاً لما كـان مـتـوقّـعـاً، لم يضـع حـداً لـلـحـرب في العراق، على عكس ذلك ازدادت أعمال المقاومة شراسة، مما يؤكّد دخول أكثر من تـنـظيـم إسلامي متطرّف في حلبة الصراع وعلى رأسها الأردني أبو مصعب الزرقاوي.

٤ - المقاومة مستمرّة في العراق:

الحرب على العراق بدأت في ٢٠ آذار ٢٠٠٣، نجحت في احتلال العراق شمالاً، جنوباً، ووسطاً. كما نجحت في أسر الرئيس صـدام حسين ومـعـظـم الـقـادة الـبـعـثـيين، وتـفـكّـك الجيش الـعـراقـي وكـذلك حـزب البعث.

وتمّ انـتـخـاب مجلس لـلـشـعـب ورئـيس جـمـهـورية وحـكـومة جديدة. ولـكن ليس واضحاً كلياً ما إن كان الصراع قد انتهى فعلاً. ان العمليات العسكرية التقليدية توقّفت بعد وقت قصير من دخول الجنود المارينز لبغداد واحتلال مسقط رأس الرئيس صـدام في تـكـريت. لـكـن الـهـجـمات على الجنود والمارينز استمرّت، خاصة في مثلّث العراق السني، أي المنطقة التي كان حزب البعث يستمدّ قوّته منها. هذه الهجمات التي تحوّلت مؤخّراً إلى عمليات فدائية يومية ضد الجنود الأميركيين والبريطانيين والقوى

المسلّحة العراقية التي يحاول الاحتلال تدريبها لتسلّم الأمن، هذه الهجمات ما زالت تتعاظم حتى تاريخ الانتهاء من وضع هذا الكتاب، موقعة الكثير من القتلى العسكريين والمدنيين، والكثير من الدمار والهلع، مما يجعل من المستحيل التنبؤ بمستقبل العراق.

تتشكّل أفواج المقاومة من أعضاء من حزب البعث، والمجاهدين العرب، وإن عدد القتلى الأميركيين من جراء أعمال المقاومة تجاوز بكثير عدد الذين قتلوا في الحرب. الأكيد أن الوضع في العراق خطير ولا يبرز في الأفق أي أمل بالتوصّل إلى سلام وعد به الأميركيون عندما قرروا غزو العراق.

ثانياً – الدروس المستقاة من حرب الخليج الثالثة:(١)

أ - الطبيعة الثابتة للحرب:

يقول منظر الحرب كارل فون كلوفيتز، ان بعض العوامل في سلوك الحرب سوف تبقى ثابتة إلى لأبد، مهما تغيّرت البيئة السياسية وتقدّمت التقنية.

لقد جلبت الولايات المتحدة الأميركية تقنية القرن الواحد والعشرين إلى أرض المعركة في مواجهة قوات مضعضعة وضعيفة تقاتل بأساليب عادية وتقنيات متواضعة. ورغم ذلك بقي الانتصار والحسم بعيدين عن المنال. ولنأخذ مثال على ذلك موضوع المعلومات عن العدو.

لقد استخدمت الولايات المتحدة الأقمار الاصطناعية، وطائرات بدون طيار، وطائرات الاستطلاع والمراقبة الالكترونية والرادارات المختلفة لتكوين فكرة واضحة عن الوضع في العراق. ولكن كلّ ذلك لم يكن كافياً لفهم نوايا «العدو»، ودوافعه للقتال وقوّة إرادته، وهي عوامل مهمّة في القتال. من الجيّد التكلّم عن تدمير القوّة القتالية عند العدو بنسبة ٦٠ إلى ٧٠٪ من أجل انهياره. ولكن أولئك الذين لهم خبرة في حرب فيتنام يعلمون أنه في بعض الحالات، استنزفت القوة الفيتنامية بنسبة ٩٠٪ ولم يمنعها ذلك من متابعة القتال.

(١) Admiral William A. Owens, Lifting the Fog of war, New York 2000.

في حرب العراق، توقّع العديد من القادة ذوي الرتب العالية أن تتسبب الضربات الأولى للهجوم الجوي والبري للتحالف بانهيار نظام الرئيس صدام حسين من الداخل. كذلك كانت المعلومات تقول إن الشعب العراقي سوف يندفع للترحيب بمحرريه. غير ان الواقع على الأرض كان خلاف ذلك.

إن بناء الحرب على المبادىء التكنولوجية من دون المعرفة السياسية والثقافية والإلمام الكافي في اللغة والتاريخ والدين يؤدي حكماً إلى مغالطات وربما إلى كوارث. إذن التقنية مهمّة ولكنها ليست حاسمة في الحرب.

ب - التنسيق بين القوات البرية والبحرية والجوية:

إنّ عدم القدرة على التصرّف بشكل ناجح كقوّة مشتركة في غرانادا أشعلت مجموعة من الإصلاحات الرئيسية في العسكرية الأميركية.

إنّ حرب العراق تؤكّد مدى التقدّم الذي حصل في هذا المجال بالرغم من الوجود المستمر للمنافسة بين القوى المشتركة في القتال: المشاة، المدرّعات، المدفعية، الطيران، القوات الخاصة، القوات الصديقة.

يقول أحد الضباط الأميركيين بأنه في خضم المعركة لم يكن لديه أي فكرة عن مصدر تدمير القوات العراقية التي تقاتل في مواجهته: كان من الممكن أن تكون قوّة جوية، بحرية، أو مارينز، أو مشاة.

غير أن القتال في العراق أثبت أيضاً أن القوات المشتركة تحتاج إلى تنسيق بشكل أفضل بين فروع القتال المختلفة. إن ما تحتاج إليه الولايات المتحدة في المستقبل هو وحدات أصغر، وأرشق، يمكنها من الانتشار بسرعة أكبر وتقاتل باستقلالية.

ج - العمليات الخاصة:

اعتماداً على تجربة أفغانستان، استخدم التحالف قوات عمليات خاصة لفائدتها الكبيرة. وفي المستقبل، كما أظهرت حرب العراق، سوف تلعب قوات العمليات الخاصة دوراً متزايداً في إظهار القوة العسكرية الأميركية. أيضاً فإن الوجه غير

التقليدي لهذه الحرب يلقي الضوء على حقيقة بديهية بأن وحدات المارينز والجيش النظامي وجدوا أنفسهم في قتال مشابه لعمل القوات الخاصة. إن وحدات المشاة لديها الكثير لتتعلّمه من القوات الخاصة في التدريب، والتكتيك وتطوير القيادة.

د - السرعة:

في الحرب، السرعة تحدث تفوّقاً على العدو. في حرب العراق، تحرّكت قوات التحالف البرية بسرعة إلى حدّ أن كلّ قرار مواجهة اتخذته القيادة العراقية جاء متأخّراً وقد تجاوزه الزمن. لقد حال الضغط الممارس من المارينز والجيش النظامي على كلّ الصعد دون تمكّن القوات العراقية من التقاط أنفاسها واستعادة قدراتها. إن الظهور غير المتوقّع لقوات التحالف، وقد تقدّموا أكثر بكثير مما توقّعه العراقيون، شلّ ببساطة قدرة العراقيين على المواجهة.

فطوال سير الحملة، ركّز القادة على الوصول إلى بغداد بأسرع ما يمكن حتى ولو تسبّب ذلك ببعض الاضطرابات في الدعم اللوجستي.

رغم ذلك فإن للسرعة ثمن دفعته قوات التحالف بخسائر أكثر في الأرواح والمعدات.

هـ - أهمية الأسرى في الحرب:

مهما كانت الوسائل التقنية لجمع المعلومات متطوّرة، فإن الصورة الحقيقية لا تكون كافية إلاّ حين يكون هناك عيون بشرية على الهدف. إن إحصاء عدد المركبات من الجو لا يعطي القائد على الأرض معلومات عما ينوي العدو ان يفعله بهذه المركبات. إن الأسرى، كما كان الحال في الحروب القديمة، يبقون المصدر الحقيقي والأكيد لأية معلومات عن العدو وإمكاناته ونياته.

و - التكيف مع المستجدات:

أثبتت حرب الخليج الثالثة الحقيقة البديهية بان القوات المتفوّقة هي تلك القادرة على التكيف بسرعة مع ما هو غير متوقّع. إن القيادات الناجحة هي التي تحارب العدو الحقيقي وليس المخطط. إن سرعة اتخاذ القرار، والقدرة على التحرّك ضمن دائرة قرار العدو، تساعد في النهاية

على تحديد من يربح. لقد نجحت قوات المارينز بتجميع تشكيلات خاصة لتلبية ظروف غير متوقّعة وشكلت وحدات صغيرة تملك القدرة على تنفيذ مهمات دون إذن، وبمبادرة فردية من القائد.

إن جنود المارينز المدرّبين جيّداً والمعتادين على التعامل مع الشك والمجهول هم وحدهم الذين كان يمكن أن يتكيّفوا مع ظروف متغيّرة بشكل جذري وبسرعة وفعالية.

ز - التدريب والقيادة:

إن العناصر البشرية الجيّدة تتحوّل إلى مارينز مميّزين من خلال التدريب القاسي الواقعي. إن الكثير من الاداء الاستثنائي للقوات البرية الأميركية في العراق هو حصيلة ثلاثة عقود من الخبرة في مراكز التدريب في كاليفورنيا، ونيفادا، ولوزيانا، والمانيا.

فالعراقيون مثلاً امتلكوا أسلحة حديثة، إنما لم يعرفوا كيف يستعملونها بفعالية.

الخاتمة

تقع منطقة الشرق الأوسط تحت لعنة ونعمتين سرعان ما تحوّلتا بدورهما إلى لعنتين إضافيتين. اللعنة الأولى إنشاء دولة إسرائيل في قلب المنطقة وما ترك ذلك من تداعيات على الدول المجاورة والقريبة بسبب الأطماع التوسّعية لتلك الدولة وارتباطاتها مع الغرب، بالإضافة إلى النعرات الدينية والمذهبية التي تحاول تأجيجها في بقعة خصبة ومؤاتية.

أما النعمتان اللتان سرعان ما انقلبتا إلى لعنتين فهما: نعمة الجغرافيا ونعمة النفط. فالموقع الاستراتيجي لمنطقة الشرق الأوسط على مثلّث قارات ثلاثة: أوروبا، أفريقيا وآسيا، جعل من تلك المنطقة أهم مركز تجاري وأهم ممر مائي وبرّي بين القارات الثلاثة.

غير أن أهمية الموقع، وعبر العصور القديمة والحديثة، كانت دائماً سبباً لاستقطاب وجذب للدول والامبراطوريات القوية. فلم تخلُ حقبة واحدة من التاريخ إلاّ وكان الوجود الأجنبي السياسي أو العسكري أو الاقتصادي في المنطقة هو السمة البارزة للمناخ العام فيها. وبدل أن تستفيد دول المنطقة من موقعها الجغرافي والتجاري تحوّلت بسبب هذا الوجود الأجنبي إلى دول خاضعة أحياناً ومتناحرة حيناً آخر وفي أحسن الأحوال بين الحالتين.

ومع ظهور آبار النفط في الثلاثينات من القرن الماضي، تحوّلت بعض الدول المحظوظة فجأة إلى الغنى الفاحش مع بقاء الدول الأخرى المجاورة في فقرها المدقع. وباستثناء قلّة من الدول المحظوظة تمكّنت من الاستفادة من تلك النعمة التي

هبطت عليها (الإمارات العربية المتحدة) فإن الدول الأخرى لم تحسن التعامل مع تلك الثروة التي من المتوقّع لها ان تختفي أو تتقلّص في الربع الثاني من القرن الحالي.

وما عجز عنه الموقع الجغرافي في جذب الاهتمام الدولي إلى المنطقة، عوضه النفط الذي شكّل ذريعة للتدخّل العسكري بشكل سافر بحجّة حماية المصالح الحيوية للدول الكبرى في تأمين تدفّق النفط إلى مخزونها بشكل دائم وبسعر ملائم وبكميات تحدّدها من دون استشارة أصحاب الملك والأرض والسيادة.

وهكذا يمكننا تفسير معظم الحملات العسكرية القديمة إلى المنطقة بعامل الموقع، كما يمكننا فهم الحروب الإقليمية والأهلية لدول المنطقة استناداً إلى عاملي النفط واسرائيل. إنها لعنات ثلاثة حوّلت المنطقة إلى جحيم حقيقي، وحالت دون حدّ أدنى من التقارب والتعاون بين الدول العربية.

أمّا اليوم فلم يعد الغرب بحاجة لذريعة للتدخّل في المنطقة، وأكبر دليل على ذلك الغزو الأخير للعراق في العام ٢٠٠٣. يكفي أن تصنّف دولة ما بالدولة المارقة، حتى تستباح حدودها، بحجّة أنها تشكّل خطراً محتملاً على السلم العالمي.

هل دخل العالم فعلاً مرحلة جديدة، في ظلّ الأحادية المطلقة للولايات المتحدة الأميركية؟ وإلى متى تستمر تلك المرحلة؟ أم ما زلنا نعيش نهاية مرحلة، ما زالت مستمرّة، يقاوم أبطالها لتأجيل الاستحقاق الذي لن يكون حكماً في مصلحتهم؟

أسئلة من الصعب التكهّن بأجوبة واقعيّة عليها بانتظار انقشاع الرؤية أكثر على المسرح العالمي.

الملاحق

ملحق
عديد القوات المشتركة والمتحالفة في حرب الخليج الثانية

- وفقاً لوكالة الصحافة الفرنسية .A.F.P فإن القوى المشتركة في التحالف توزّعت وفقاً لما يلي:

الحشد العسكري في منطقة الخليج: ١،٢ مليون جندي من ٢٨ دولة

مع الموعد الذي حدّده مجلس الأمن الدولي في الخامس عشر من كانون الثاني ١٩٩١ لانسحاب العراق من الكويت تواجه نحو ١،٢ مليون جندي، ٥٤٠ ألفاً منهم عراقي على جانب و٦٦٠ ألفاً في القوّة المتعدّدة الجنسيات على الجانب الآخر من الحدود بين السعودية من جهة والعراق والكويت من جهة أخرى.

وتتألّف القوّة المتعدّدة الجنسيات من قوات من ٢٧ دولة موزّعة على ثلاث دول عربية وخمس دول إسلامية وإحدى عشرة دولة غربية ودولتين من الكتلة الشرقية سابقاً «بولندا وتشيكوسلوفاكيا» إضافة إلى دول مجلس التعاون الخليجي الست «السعودية والكويت والبحرين وقطر وعمان والإمارات العربيّة المتحدة».

وفي ما يلي توزيع القوات المتواجدة:

العراق:

يتألّف عديد القوات العراقية على الجبهة من ٥٤٠ ألف جندي حسب وزارة الدفاع الأميركية فيما تؤكّد بغداد أنها

تنشر ٦٠ فرقة أي ما يراوح بين ٦٠٠ ألف و٧٥٠ ألف جندي على الجبهة الجنوبية «جنوب العراق والكويت».

. وهذه القوات العراقية مجهّزة حسب البنتاغون بثلاثة آلاف قطعة مدفعية وأربعة آلاف دبابة و٢٧٠٠ ناقلة جند وعربة مدفع. ويتألّف سلاح الطيران العراقي من ٧٠٠ طائرة مطاردة و٢٥٠ قاذفة.

القوّة المتعدّدة الجنسيات:

١ - «الولايات المتحدة» تتألّف القوّة الأميركية من ٣٧٠ ألف جندي (بينهم ٣٠ ألف جندية) من أسلحة البرّ والجو المتمركزة في الأراضي السعودية ومن عديد خمسين سفينة حربية وست حاملات طائرات. وهذه القوات مجهّزة بألف دبابة وألفي ناقلة جند و١٥٠٠ مروحيّة وأكثر من ١٣٠٠ طائرة.

٢ - «بريطانيا» ٣٥ ألف جندي بريطاني، ٤٤٥ مدرّعة بينها ١٦٣ دبابة ثقيلة و٦٤ مدفعاً من عيار ١٥٥ ملم و١٢ بطارية صواريخ مضادة للطائرات. وتشكّل القوات البحرية البريطانية نحو ٢٠٠ وحدة مجهّزة بنحو ٧٠ مطاردة قاذفة «عدد منها متمركز في البحرين» وبنحو ٤٠ مروحية.

٣ - «فرنسا» ٢٤ ألف جندي فرنسي و٢٤٠٠ منهم على متن ١١ سفينة في الخليج والبحر الأحمر وبحر عمان، ويتمركز أربعة آلاف منهم في جيبوتي على مدخل البحر الأحمر. ٣٤٩ مصفّحة و١٨ مدفعاً من عيار ١٥٥ ملم و١٢٠ مروحيّة قتال و٦٠ مطاردة قاذفة.

كندا:

٤ - «كندا» ١٨٣٠ جندياً مجهّزين بثلاث سفن حربية و٢٤ مطاردة قاذفة متمركزة في قطر.

٥ - «إيطاليا» ٨٥٠ جندياً على متن خمس سفن حربية.

٦ - «إسبانيا» ٥٠٠ جندي على متن فرقاطة ومدمرتين.

٧ - «هولندا» ٤٠٠ جندي على متن فرقاطتين.

٨ - «بلجيكا» ٤٠٠ جندي على متن أربعة سفن.

٩ - «اليونان» ٤٠٠ جندي على متن أربعة سفن.

٥٠ بحار على متن فرقاطة في البحر الأحمر.

١٠ - «اوستراليا» ٦٠٠ بحار على متن ٣ سفن حربية.

١١ - «الأرجنتين» ٣٠٠ جندي على متن سفينتين حربيتين.

١٢ - «تشيكوسلوفاكيا» وحدة عسكرية من ١٧٠ جندياً متخصصين في الحرب الكيميائية.

١٣ «بولندا» سفينتا مستشفى، فريق طبي من ١٣٠ شخصاً في السعودية.

١٤ - «مصر» ٣٥ ألف جندي إضافة إلى كتيبة من ٦٠٠ مظلّي في أبو ظبي مجهزين بدبابات وقطع مدفعية مضادة للطائرات.

١٥ - «سوريا» نحو ٢٠ ألف جندي و٣٠٠ مصفّحة في السعودية و٨٠٠ جندي في الإمارات العربية المتحدة.

١٦ - «المغرب» ١٢٠٠ جندي في السعودية إضافة إلى خمسة آلاف جندي في أبو ظبي بموجب اتفاقات دفاع.

١٧ - «باكستان» ١٠ آلاف جندي.

١٨ - «بنغلادش» ٢٥٠٠ جندي في شمالي السعودية.

١٩ - «السنغال» ٥٠٠ جندي في السعودية.

٢٠ - «النيجر» ٥٠٠ جندي في السعوديّة.

٢١ - «سيراليون» ٢٠٠ جندي في السعوديّة.

٢٢ - «السعودية» تتألّف القوات العاملة تحت العلم السعودي من ٦٧٥٠٠ جندي في الجيش السعودي ونحو أربعة آلاف جندي كويتي تمكّنوا من مغادرة الإمارة بعد الثاني من آب وقوّة من ١٠ آلاف جندي في «درع الصحراء» مؤلّفة من قوات من الدول الست في مجلس التعاون الخليجي (السعودية والكويت وقطر وعمان والبحرين والإمارات العربية المتحدة).

وتضمّ القوات المسلّحة في الدول الأربعة الأخيرة نحو ٦٠ ألف جندي.

٤٢ طائرة مقاتلة (بلجيكية والمانية وإيطالية) في إطار قوّة التدخّل السريع لحلف شمال الأطلسي في قاعدة ارهتش في شرق تركيا على بعد ٤٥٠ كلم من الحدود العراقية. مع بطاريتي مدفعية وصواريخ أرض - جو من طراز (باتريوت) والجنود العاملين على هذه الأسلحة.

(ا.ف.ب)

امّا وفقاً للأمير الفريق خالد بن سلطان قائد القوات المشتركة غير الأمريكية والفرنسية والبريطانية، فإن القوى المشتركة جاءت وفقاً لما يلي، وهي بالتالي أكثر دقّة وصحّة من وكالة الصحافة الفرنسية:

الدول المشاركة في درع الصحراء/ عاصفة الصحراء
(نوعيّة القوات، القيادة، الخسائر)

م	الدولة	قوات جوية	قوات برية	قوات بحرية	قيادة القوات المشتركة	القيادة المركزية الأميركية	قتلى وشهداء	جرحى
١	أفغانستان		*		٣٠٨			
٢	الأرجنتين			*		٤٥٠		
٣	استراليا			*		١٦٢٢		
٤	البحرين	*	*		٢٢٣			٢
٥	بنجلادش		*		٢٢٣١			
٦	بلجيكا			*		٦٠٠		
٧	كندا	*		*		٢٢٧٥		
٨	تشيكوسلوفاكيا		*		١٩٨			
٩	الدنمارك			*		١٠٠		
١٠	جمهورية مصر العربية		*		٣٣٦٧٧		١١	٨٤
١١	فرنسا	*	*	*	١٤٦٠٠		٢	٣٤
١٢	اليونان			*		٢٠٠		
١٣	المجر (طب)		*		٣٨			
١٤	إيطاليا	*		*		١٩٥٠		
١٥	الكويت	*	*		٩٦٤٣		١	٧
١٦	المملكة المغربية		*		١٣٢٧			

تابع الدول المشاركة في درع الصحراء

م	الدولة	قوات جوية	قوات برية	قوات بحرية	قيادة القوات المشتركة	القيادة المركزية الأميركية	قتلى وشهداء	جرحى
١٧	هولندا			❊		١٣٢		
١٨	نيوزيلندا	❊				١٠٦		
١٩	النيجر		❊		٤٨١			١
٢٠	النرويج			❊	٢٢٧			
٢١	عمان	❊	❊		٩٥٧			١
٢٢	باكستان		❊		٦٤٠٦			
٢٣	الفيليبين (طب)		❊		١٥٦			
٢٤	بولندا (طب)		❊	❊	٤٨٨			
٢٥	قطر	❊	❊		١٥٨١			٢
٢٦	رومانيا (طب)		❊		٣٨٤			
٢٧	المملكة العربية السعودية	❊	❊	❊	٩٥٤٠٠		٣٨	١٧٥
٢٨	السنغال		❊		٤٩٦			٨
٢٩	سيراليون		❊		٢٤			
٣٠	سنغافورة (طب)		❊		٣٠			
٣١	كوريا الجنوبية		❊		١٥٤			
٣٢	اسبانيا			❊		١٩٥٦		
٣٣	السويد (طب)		❊		٥٢٥			
٣٤	الجمهورية العربية السورية		❊		١٤٣٠٠		٣	
٣٥	الإمارات العربية المتحدة	❊	❊		١٤٩٧		٥	
٣٦	المملكة المتحدة	❊	❊	❊		٤٥٣٠٠	١٧	٤٥
٣٧	الولايات المتحدة الأميركية	❊	❊	❊		٥٤٠٣٣١	١٤٦	٣٣٨
	المجموع	١٢	٢٦	١٥	١٨٥٣٥١	٥٩٥٠٢٢	٢٢٣	٦٩٧

(طب): وحدات طبية (عسكرية و/أو مدنية).

ملحق

بيانة إحصائية بالعربات المدرّعة والمدفعية والدفاع الجوي والمقاتلات الجوية وطائرات الدعم والاستطلاع والمروحيات والسفن الحربية والذخائر المستخدمة في حرب الخليج الثالثة.

١ - العربات المدرّعة:

الإسم	النوع	مستخدمة من	طرازها الأول	الوزن (بالطن)	التسليح	سعة الجنود	المحرّك بالأحصنة	ملاحظات
MIAI Abrams	Tank	U.S.	1980	93	120mm	-	1500	1-2
Challenger II	Tank	U.K.	1983	68	120mm	-	1200	1
M2/M3 Bradley	APC	U.S.	1981	37	25mm/ATGM	6	600	5
Warrior	APC	U.K.	1986	28,2	30mm	7	550	
LAV-25	APC	U.S.	1985	14,1	25mm	6	275	6
AAV	APC	U.S.	1971	26,4	40mm	25	400	7
M113	APC	U.S.	1960	15,9	12,7mm	11	275	8
FV432	APC	U.K.	1963	16,8	7,62mm	10	240	
T-72	Tank	Iraq	1971	49	125mm	-	840	3
T-62	Tank	Iraq	1962	44	115mm	-	580	
T-55/Type 69	Tank	Iraq	1949	39,6	100mm	-	520	4
BMP-2	APC	Iraq	1982	15,7	30mmATGM	7	300	
BMP-1	APC	Iraq	1967	14,9	73mm/ATGM	8	300	
BTR-60	APC	Iraq	1961	11,3	14,5mm	14	180	6
YW531	APC	Iraq	1969	13,8	12,7mm	13	320	9
BRDM-2	Scout	Iraq	1963	7,7	14,5mm/ATGM	-	140	6

دبابة: Tank   العراق: Iraq   المملكة المتحدة: U.K.   الولايات المتحدة: U.S.

ملم: mm   استكشاف: Scout   ناقلة أفراد مدرّعة: APC   صواريخ موجّهة مضادة للدبابات: ATGM

النوع: APC ناقلة جنود مدرّعة صُمّمت لنقل المشاة ولعبور ساحة المعركة ودعم الجنود بقوّة نارية.

مستخدمة من: الدولة التي استخدمت تلك العربة في هذه الحرب.

الطراز الأول: السنة التي وضع فيها الطراز الأول من هذه العربة في الخدمة. الطراز الذي استخدم فعلياً في هذه الحرب ربما يكون قد حُدّث (حُسّن) بشكل جوهري.

الوزن: وزن العربة المدرّعة.

التسليح: عيار المدفع الرئيسي ATGM: صاروخ موجّه ضد الدبابات. الكثير من العربات تحمل هذه الصواريخ لتتمكّن من التعامل مع الدبابات من مدى بعيد وفعال على مسافة ٣٠٠٠ إلى ٤٠٠٠ متر. للدبابات عادة عدّة رشاشات بالإضافة إلى المدفع الرئيسي.

سعتها من الجنود: حسب الجدول أعلاه.

المحرّك: قوّة المحرّك بالأحصنة.

ملاحظات:

١ - تستخدم درعاً بريطاني التصميم من نوع كوبهام، مزيج سري من الفولاذ وطبقات السيراميك ذات الفعالية العالية ضدّ كلّ من الطلقات التقليدية الخارقة للدرع والقذائف المضادة للدبابات.

٢ - تستخدم محرّك توربين بدلاً من محرّك الديزل المستخدم في معظم المركبات المدرّعة. ولإضافة طابع دولي على MIAI استخدم مدفع ١٢٠ ملم ألماني التصميم.

٣ - طاقمها مؤلّف من ثلاثة رجال لأنها تستبدل الرجل الرابع المعتاد بملقم آلي.

٤ - إن النوع 69 هو نسخة صينية من الـT-55.

٥ - إن مدفع البرادلي الرشاش ٢٥ ملم شديد الفعالية بالمقارنة مع المدافع الرشاشة لناقلات الأشخاص المدرّعة الأخرى ويمتاز بفعاليته لمدى ٢٥٠٠ متر ويطلق ٢٠٠ طلقة في الدقيقة.

٦ - لها عجلات بدلاً من الجنازير. وهذه ميزة لتحركها على الطرق المعبّدة وغير المعبّدة.

٧ - برمائية تماماً. إن الـAAV تطلق من سفن برمائية بحرية بعيدة عن الشاطىء بعدّة أميال، وتطفوا إلى الشاطىء ببطء بسرعة ٨ ميل بالساعة. مدفع الـAAV عيار ٤٠ ملم يطلق قنابل غير سريعة.

٨ - تتواجد بنماذخ عديدة من مركبات القيادة إلى الإسعاف.

٩ - صينية الصنع.

Sources: The information in these tables is adapted from following texts: A. D. Baker III, Combat Fleets of the World 2000 - 2001 (Annapolis, MD: Naval Institute Press, 2000); Tony Cullen and Christopher Foss, eds., Jane's Land-based Air Defense (surrey, U.K.: Jane's Information Group, 1997); Chris Foss, Jane's Modern Tanks (Glasgow, U.K.: Harper Collins: 1995); Mark Lambert, ed., Jane's All the World's Aircraft 1992 - 1993 (Surrey, U.K.: Jane's Information Group, 1992); Rene J. Francillon, The Naval Institute Guide to World Military Aviation 1997 - 1998 (Annapolis, MD: Naval Institute Press, 1997). Information was also taken from the following websites: www.raf.mod.uk, www.fas.org/

٢ - أنظمة المدفعية:

الاسم	النوع	ذاتية الحركة	مستخدمة من	طرازها الأول	قطر الفوهة	المدى	عدد الطلقات	الوزن بالطن	ملاحظات
M270 MLRS	Rocket	Yes	U.S.	1983	227mm	45	12	26,4	9
M109A6 PALAdin	Cannon	Yes	U.S.	1963	155mm	30	4	27,5	1
AS-90	Cannon	Yes	U.K.	1993	155mm	40	6	46,4	3
M198	Cannon	No	U.S.	1982	155mm	30	4	7,9	11
M121	Mortar	Yes	U.S.	1991	120mm	7	16	~16	10
M119	Cannon	No	U.S./U.K.	1975	105mm	19	6	2.3	2
Astros II SS-60	Rocket	Yes	Iraq	1983	300mm	60	4	22,1	8-13
Astros II SS-40	Rocket	Yes	Iraq	1983	180mm	35	16	22,1	8-13
G5	Cannon	No	Iraq	1981	155mm	39	3	15,2	7
Type 66	Cannon	No	Iraq	1955	152mm	24	6	6.3	5-12
2S3	Cannon	Yes	Iraq	1973	152mm	24	4	30.4	5
M-46	Cannon	No	Iraq	1954	130mm	34	10	9.3	5
Astros II SS-30	Rocket	Yes	Iraq	1983	127mm	30	32	22.1	8-13
2S1	Cannon	Yes	Iraq	1974	122mm	22	5	17.3	5
D-30	Cannon	No	Iraq	1963	122mm	22	8	3,5	4
BM-21	Rocket	Yes	Iraq	1963	122mm	33	40	15.1	6-13

صاروخ: Rocket　　مدفع: Cannon　　هاون: Mortar

الولايات المتحدة: U.S.　　المملكة المتحدة: U.K.　　العراق: Iraq

النوع: هو النوع العام لقطعة المدفعية.

ذاتي الحركة: هل هذا النظام مركب على عربته الخاصة؟ تمنح هذه الميزة سرعة الحركة والأمان. ميزة الأنظمة المقطورة هي أنّ وزنها أقل بكثير.

استُخدم من قِبل: الدولة التي استخدمته في هذا النزاع.

الاستخدام الأول: السنة التي وضع فيها النموذج الأول من هذا الجهاز في الخدمة. النموذج الحقيقي الذي استُعمل في هذه المعركة ربما يكون نموذجاً تمّ تحديثه.

القطر: قطر الذخيرة المستخدمة بالمليمتر.

المدى: المسافة التي يمكن أن يصل إليها بالكيلومتر.

عدد الإطلاقات في الدقيقة: معدّل الرمي في الدقيقة الواحدة.

الوزن: الوزن الكلي للسلاح.

ملاحظات:

١ - عدد الإطلاقات يحتسب ضمن ثلاث دقائق فقط. من ثمّ ينخفض إلى إطلاقة واحدة في الدقيقة.

٢ - يمكن إسقاطه من الجو أو نقله بواسطة عدد من مروحيات التحالف. عدد الإطلاقات هذا يحتسب ضمن دقيقتين فقط ومن ثم ينخفض إلى ثلاث طلقات في الدقيقة الواحدة. الـM119 مثال نادر على التصميم الأجنبي والسلاح المستخدم الذي اشتراه جيش الولايات المتحدة.

٣ - عدد الإطلاقات يحتسب ضمن مدّة ثلاث دقائق، ومن ثمّ ينخفض إلى طلقتين في الدقيقة. إن الـAS-90 من المعدات البريطانية الرئيسية التي يمكن أن يقال بشكل واضح أنها متفوّقة على نظيرها الأميركي الـM109A6.

٤ - عدد الطلقات هنا هو معلّل الانفجار فقط للدقائق القليلة الأولى من الإطلاق. العدد هنا يحتسب لأربع طلقات في الدقيقة الواحدة فقط.

٥ - عدد الطلقات هو معدّل الانفجار الأولي. المعدّل الفعلي هو أقل.

٦ - كلّ ٤٠ مقذوفة يمكن أن تطلق في ٢٠ ثانية لكن تلقيم ٤٠ قذيفة أخرى يستغرق ١٠ دقائق.

٧ - ثلاثة إطلاقات في الدقيقة محسوبة لـ١٥ دقيقة، ومن ثمّ ينقص العدد إلى طلقتين في الدقيقة. القطعة المقطورة مصنوعة في جنوب أفريقيا.

٨ - ما أن تطلق كلّ الإطلاقات الصاروخية يحتاج الأمر إلى وقت غير قصير لإعادة التلقيم. صنع البرازيل.

٩ - بينما يطلق الاثني عشر صاروخاً في دقيقة واحدة، فإن إعادة التلقيم تحتاج إلى تسع دقائق. مدى ٤٥ كم يرتبط بـMLRS-ER المحسّن الذي يحمل رؤوساً حجمها أصغر. طلقات الـM26 يصل مداها إلى ٣٠ كم.

١٠ - عدد الطلقات هو للدقيقة الأولى فقط بعد ذلك ينخفض العدد إلى أربع طلقات في الدقيقة، بشكل أساسي فإن M113APC عدل ليحمل هاون ١٢٠ ملم. أيضاً يأتي على شكل هاون مقطور.

١١ - عدد الطلقات هو لمعدّل الانفجار فقط وليس محسوباً لأكثر من دقائق قليلة، يمكن أن يحمل بواسطة مروحيات مثل CH-53 أو CH-47.

١٢ - صناعة صينية.

٣ - أنظمة الدفاع الجوي:

النوع	نوع الموجّه	ذاتي الدفع	مستخدمة من	طرازها الأول	المدى (كلم)	الارتفاع الأقصى (بالأقدام)	ملاحظات
High-altitude SAM	Radar	No	U.S.	1985	160	74,000	5
Man-portable SAM	IR	No	U.K.	1990	7	-	
Man-portable SAM	IR	No	U.S./U.K.	1981	4.8	11,800	2
High-altitude SAM	Radar	No	Iraq.	1967	35	84,000	10
Medium-altitude SAM	Radar/Optical	No	Iraq.	1965	24	43,000	7
Medium-altitude SAM	Radar	Yes	Iraq.	1961	22	37,000	8
Low-altitude SAM	Radar/Optical	Yes	Iraq.	1981	6,3	17,000	9
Low-altitude SAM	Radar	Yes	Iraq.	1973	6,5	15,500	
Low-altitude SAM	IR	Yes	Iraq.	1975	5	10,800	6
Low-altitude SAM	IR	Yes	Iraq.	1968	4,2	10,800	
Man-portable SAM	IR	No	Iraq.	1981	5,2	10,800	
Man-portable SAM	IR	No	Iraq.	1974	4.5	9,300	11
Man-portable SAM	IR	No	Iraq.	1986	4.4	7,100	1,2
Gun	Radar/Optical	Yes	Iraq.	1966	2,5	7,700	3
Gun	Optical	Yes	Iraq.	1957	10	13,000	4
Gun	Radar/Optical	No	Iraq.	1949	21	42,000	4
Gun	Radar/Optical	No	Iraq.	1944	18	31,000	4Gun
Radar/Optical	No	Iraq.	1950	12	18,000		

سام ذو ارتفاع عال: High-altitude SAM
بصري: Optical
سام ذو ارتفاع متوسّط: Medium-altitude SAM
المملكة المتحدة: U.K.
صاروخ سام محمول على الكتف: Man-portable SAM
سام ذو ارتفاع منخفض: Low-altitude SAM

رادار/بصري: Radar/Optical
مدفع: Gun
أشعة دون الحمراء: Infrared
رادار: Radar
العراق: Iraq
الولايات المتحدة: U.S.

النوع: نوع شبكة الدفاع الجوي ومدى الارتفاع العام. SAM (سام): صاروخ أرض - جو. صواريخ سام المحمولة على الكتف هي أسلحة المدى.

النوع الموجه رادار: يستخدم ذبذبات من بث أرضي إلى الصاروخ نفسه لتتبع الهدف. IR: الأشعة دون الحمراء، تقتفي أثر الحرارة المنبعثة من الهدف.

(بصري): مجس بصري على الصاروخ أو على منظار البندقية يتعقّب الهدف.

ذاتي الدفع: هل هو نظام مركب على عربته الخاصة؟ أنظمة يمكنها أن تغير موقعها أسرع من الأنظمة المقطورة وهكذا يكونان أكثر قدرة على البقاء وأكثر تدمير.

استخدم من قبل: الدولة التي استخدمت هذا النظام في هذه الحرب.

الاستخدام الأول: السنة التي وضع فيها هذا النموذج بالخدمة. إن النموذج الحقيقي المنتشر في هذه الحرب قد يكون حُسّن بشكل كبير.

المدى: المسافة الأفقية التي يستطيع هذا النظام أن يصيب الهدف عبرها.

الارتفاع الأقصى: أعلى ارتفاع يمكن أن يصل إليه هذا النضام.

ملاحظات:

١ - نسخة صينية محسنة من الـSA-7.

٢ - محمول على الكتف أو مركّب على المركبات.

٣ - مركبة مجنزرة ضعيفة التدريع تستطيع إطلاق النار وهي متحرّكة. مزوّدة بأربع فوهات مدافع عيار ٢٣ ملم، سريعة الإطلاق. هذا النظام برهن أنه فتاك جداً في حرب أكتوبر عام ١٩٧٣.

٤ - إن معدلات النيران البطيئة و/أو التوجيه الضعيف تجعل هذه الأسلحة على الأرجح غير فعالة في مواجهةمعظم الطائرات.

٥ - مع صاروخ الـ PAC-3 يكون الباتريوت فعالاً في مواجهة الصواريخ البالستية القصيرة المدى.

٦ - مصممة لتخلف الـSA-9.

٧ - أثبتت أنها فعالة جداً في مواجهة الطائرات الإسرائيلية في حرب أكتوبر عام ٧٣. حيث أنها أسقطت ٦٤ طائرة. كذلك أسقطت طائرة F-16 أميركية فوق البوسنة خلال التسعينات.

٨ - في حين أنه نظام قديم على الأغلب كان هذا هوالصاروخ سام الذي أسقط طائرة الـF-117 فوق الصرب عام ١٩٩٨.

٩ - نظام فرنسي متطوّر إلى حد ما.

٤ - المقاتلات الجوية:

الاسم	النوع	مستخدمة من	طرازها الأول	المدى الجوي كلم	الحمولة القصوى بالباوند	السرعة	ملاحظات
F-16	Multi-role fighter	U.S.	1979	1.370	6818	Yes	
F/A-18C/D	Multi-role fighter	U.S./Aus	1980	510	6227	Yes	1
F/A-18E	Multi-role fighter	U.S.	2002	960	8068	Yes	2
F-15C	Air superiority fighter	U.S.	1974	1.770	10727	Yes	
F-15E	Multi-role fighter	U.S.	1988	1.770	11136	Yes	3
F-14	Multi-role fighter	U.S.	1974	1.110	6591	Yes	4
A-10	Close air support	U.S.	1976	900	7273	No	12
F-117	Stealth strike fighter	U.S.	1982	1.440	1818	No	5
AV-8B	Multi-role fighter	U.S.	1971	870	4181	No	6,14
AC-130	Close air support	U.S.	1967	2,400	19364	No	7
B-1	Long-range Bomber	U.S.	1986	8,650	34091	Yes	13
B-2	Stealth Long-range Bomber	U.S.	1992	11.660	22727	No	5
B-52	Long-range Bomber	U.S.	1955	7.720	29545	No	8
Tornado F3	Multi-role fighter	U.K.	1984	1,850	8500	Yes	11
Tornado GR4	Strike fighter	U.K.	1980	1,390	8182	Yes	
Jaguar	Strike fighter	U.K.	1973	1,300	4773	Yes	
Harrier	Multi-role fighter	U.K.	1969	650	3727	No	9,14
Mig-29	Multi-role fighter	Iraq.	1985	1.050	4000	Yes	15
Mig-25	Air superiority fighter	Iraq.	1972	870	2955	Yes	
Mig-23	Multi-role fighter	Iraq.	1970	970	3000	Yes	
Mig-21/F-7	Multi-role fighter	Iraq.	1960	740	2636	Yes	10
Mirage F1	Multi-role fighter	Iraq.	1973	580	6318	Yes	16
Su-25	Close air support	Iraq.	1981	750	4409	No	

مقاتلة متعدّدة الاستعمال: Multi-role fighter الولايات المتحدة: U.S.

المملكة المتحدة: U.K. العراق: Iraq

أوستراليا: Aus مقاتلة جو متفوقة: Air superiority fighter

قاصفة بعيدة المدى: Long-rang bomber قاصفة - شبح للمدى الطويل: Stealth long-range bomber

إسناد جوي قريب: Close air support مقاتلة قاصفة: Strike fighter

النوع: وفقاً لنوع المهمات المسندة إليها.

استخدمت من قبل: الدولة التي استخدمت هذه الطائرة في هذه الحرب.

الاستخدام الأول: السنة التي وضعت فيها النسخة الأولى من هذه الطائرة في الخدمة. النسخة الفعلية التي نشرت في هذه الحرب ربما تكون قد حُدّثت (حُسّنت) بشكل كبير.

المدى الجوي: المسافة التي تستطيع الطائرة أن تصل إليها عادة مع العودة إلى القاعدة. هذا الرقم لا يتضمّن إعادة التزوّد الجوي بالوقود، وهذا ما تفعله عادة معظم طائرات التحالف. هذه الأرقام تقريبيّة تعتمد إلى حدّ كبير على الظروف الجوية، حمولات أسلحة معيّنة، وحمولة الذخائر الداخلية والخارجية.

الحمولة القصوى: الوزن الكلي للأسلحة والمجسّات أو الوقود الخارجي الذي يمكن أن يحمل. إن الحمولة القصوى قد تمنع الطائرة من إتمام المدى المصمّم لها.

ماغ واحد +: هل يمكن لهذه الطائرة أن تخرق جدار الصوت في الطيران؟

ملاحظات:

١ - تستعمل من بحرية الولايات المتحدة، وفيلق المارينز الأميركي والقوّة الجوية الأسترالية وتنطلق من قواعد على حاملات الطائرات أو المطارات.

٢ - معروفة باسم السوبر هورنر. تستعمل من بحرية الولايات المتحدة من حاملات الطائرات.

٣ - تاريخ الاستخدام الأول يعود إلى طائرة F-15E.

٤ - نوعان مختلفان وضعا في الخدمة الـ F-14A والـF-14D. إن موديل الـD يحمل محرّكات وإلكترونيات محدَّثة بشكل كبير. إن طائرات الـF-14 كانت أول مقاتلة جو - جو ولكنها كانت قد حُدِّثت في التسعينات مع إمكانية هجوم أرضي.

٥ - تحمل أسلحتها في حجرة القنابل الداخلية فقط، لتموّه إشارات الرادار المنخفضة.

٦ - تنطلق من السفن والمطارات. تشتق من الهاريير البريطانية.

٧ - تأتي بأنواع عديدة، تحمل خليطاً من مدافع النيران المباشرة (على سبيل المثال

٢٠ ملم، ١٠٥ ملم) التي تطلق من جانب الطائرة إذ تطير جانبياً ببطء.

٨ - يمكنها حمل قنابل غبية، وقنابل موجّهة بالليزر، وقنابل موجّهة بالأقمار الصناعية، وصاروخ الكروز الـCALCM التابع للقوّة الجوية.

٩ - يمكن أن تنطلق من السفن ولكنها لم تستعمل في هذه الحرب.

١٠ - الـF-7 هو نسخة صينية من الميغ ٢١ وقد صُدّرت بشكل واسع إلى قوات جوية في العالم الثالث.

١١ - بالإضافة الحالية في المعدات التي تسمح للـF-3 لتلتقط مواقع رادار العدو وأن تشغل صواريخ إنذار مضادة للإشعاع. حوّلت هذه المقاتلة بشكل تام إلى مقاتلة متعدّدة الأدوار.

١٢ - بالإضافة إلى ذخائر ما تحت الجناح فهي تحمل أيضاً مدفع جاتلنج ٣٠ ملم ذي الفوهات السبع والقوي جداً. إن الـA-10 مدرّعة بشكل جيّد ضد النيران الأرضية.

١٣ - تقع بين الـB-2 والـB-52 لها قدرة على اختراق جدار الصوت التي تفتقر إليها القاذفتين الأوليين.

١٤ - تستطيع أن تقلع وتهبط عمودياً عند الحاجة.

١٥ - أفضل مقاتلة في الترسانة العراقية. في حرب الخليج عام ١٩٩١ فقدت خمس طائرات ميغ ٢٩ في مواجهات مع طائرات F-15C بدون أي خسارة من الولايات المتحدة.

١٦ - فرنسية الصنع.

(١) المصادر: أنظر الجدول رقم ١.

٥ - طائرات الدعم والاستطلاع:

الاسم	النوع	مستخدمة من	طرازها الأول	المدى الجوي (بالكلم)	الحمولة القصوى (بالباوند)	التحمل	ملاحظات
U-2	Reconnaissance	U.S.	1956	4,250	-	12	4
RC-135	Reconnaissance	U.S.	1973	3.300	-	11	
Global Hawk	Reconnaissance UAV	U.S.	2002	5.500w/24hr loiter	-	42	3
Predator	Reconnaissance UAV	U.S.	1996	750w/14hr loiter	91	29	5
Hunter	Reconnaissance UAV	U.S.	1995	125	-	10	
P-3	Reconnaissance	U.S.	1962	4,400	4614	17	
EP-3	Reconnaissance	U.S.	1991	4,400	3182	17	
S-3	Reconnaissance	U.S.	1975	1,750	-	8.5	11
E-2	Reconnaissance/ C3	U.S.	1964	770	-	7	12
E-8 JSTARS	Reconnaissance/ C3	U S.	1991	3,300	-	11	13
E-3 AWACS	Reconnaissance/ C3	U.S.	1977	3,300	-	11	14
EC-130	Reconnaissance jammer/ C3	U.S.	1986	2,590	-	11,5	6
RC-12	Reconnaissance	U.S.	1988	925	1818	4	15
EA-6B	Jammer	U.S.	1971	1,770	5227 of fuel	4,5	7
KC-135	Aerial tanker	U.S.	1957	1,850	90909 of fuel	-	8
KC-10	Aerial tanker	U.S.	1981	3,540	30000 of fuel	-	8
KC-130	Aerial tanker	U.S.	1962	1,850	70000 of fuel	-	8
VC-10	Aerial tanker	U.K.	1964	-	118636	-	2
C-5	Heavy lift transport	U.S.	1970	2,740	78182	-	9
C-17	Heavy lift transport	U.S./U.K.	1993	2,220	16364	-	1
C-130	Medium lift transport	U.S./U.K./Aus.	1959	1,900	-	-	10

نظام الاستطلاع وتحديد الهدف المشترك: JSTARS

أواكس: AWACS

استطلاع: Reconnaissance

مشوش: Jammer

صهريج جوي: Aerial tanker

نقل حمولة ثقيلة: Heavy lift transport

نقل حمولة وسط: Medium lift transport

الولايات المتحدة: U.S.

المملكة المتحدة: U.K.

أستراليا: Aus

طائرات بدون طيار: UAV

النوع: بالنسبة للمهمة المسندة للطائرة.

استخدمت من قِبَل الدولة: الدول التي استخدمت هذه الطائرة في هذه الحرب.

الطراز الأول: السنة التي وضعت فيها النسخة الأولى من هذه الطائرة في الخدمة. إن النموذج الحقيقي والفعلي الذي استخدم في هذه الحرب ربما يكون قد حُدِّث (حُسِّن) بشكل كبير.

المدى الجوي: المسافة التي تستطيع الطائرة عادة أن تصل إليها وتعود ثانية إلى القاعدة نفسها. إن هذا الرقم لا يشمل التزوّد بالوقود في الجو الذي تقوم به بشكل متكرر معظم طائرات التحالف. هذه الأرقام تعتمد إلى حدّ كبير على الظروف الجوية، حمولات أسلحة معيّنة، وحمولتها من الذخائر الداخلية والخارجية.

الحمولة القصوى: الوزن الكلّي للأسلحة أو الوقود الخارجي الذي يمكن حمله. هذا المستوى من حمولات الأسلحة ليس مقياساً إذ إن اعتبارات المدى هي عادة أكثر أهمية لو أن طائرة حملت فعلياً بهذا الحمل الثقيل فسوف يكون المدى أقل إلى حدٍّ كبير.

التحمّل: كم تستطيع هذه الطائرة أن تبقى في الجو مع كمية وقود قصوى.

ملاحظات:

١ - إن رقم المدى الجوي هو لحمولة ١٦٠٠٠٠. هذه الطائرة لديها قدرة مميّزة على الهبوط في المناطق الوعرة.

٢ - إن حمولة الوقود لطائرة VC-10 هو إجمالي أقصى.

٣ - ارتفاع يفوق ٦٠٠٠٠ قدم وهذا خارج نطاق الكثير من أنظمة الدفاع الجوي.

٤ - ارتفاع يفوق ٨٠٠٠٠ قدم وهذا خارج نطاق الكثير من أنظمة الدفاع الجوي.

٥ - على عكس الكثير من الطائرات دون طيار فإن البريداتور يمكن أن تسلّح بصاروخي هلفاير.

٦ - تشوش على اتصالات العدو بالإضافة إلى جمعها وتحليلها وتعمل كمقرّ قيادة جوي. إن اسم الـEC-130 يشير إلى عدّة

طائرات تخصصية مبنية وفقاً لتصميم الـC-130.

٧ - تشوش رادارات العدو ويمكنها مهاجمتها بصواريخ HARMS.

٨ - إن أرقام الحمولة القصوى هي للوقود الذي يمكن أن يستهلك في مسافة المدى النموذجي. هذه الطائرات تستطيع بالتأكيد أن تطير لمدى أبعد لكن ذلك يقلّل كمية الوقود الذي يمكن أن تزوّد به طائرة أخرى.

٩ - إن رقم المدى النموذجي هو لرقم الحمولة القصوى.

١٠ - قادرة على الهبوط في المناطق الوعرة.

١١ - مبنية على حاملة للطائرات التي كانت تركّز على مهمات مضادة للغواصات.

١٢ - طائرة محمولة على حاملة طائرات مقادة بمراوح مع قبّة رادار خارجية كبيرة.

١٣ - مبنية على هيكل بوينغ ٧٠٧. وتحمل رادارًا كبيراً في مقدّمة هيكل الطائرة. تقوم بشكل أولي بمهمات ضرب أهداف برية مكتشفة على مدى بعيد.

١٤ - مبنية على هيكل بوينغ ٧٠٧ وتحمل قبّة رادار خارجية كبيرة موضوعة على ظهر الطائرة. مهمتها الرئيسية اكتشاف طائرات العدو وتنسيق أعمال الطائرات الصديقة.

١٥ - طائرة جناح ثابت نادرة في الجيش.

٦ - المروحيات:

الاسم	النوع	مستخدمة من	طرازها الأول	المدى الجوي (بالكلم)	الحمولة القصوى (بالباوند)	ملاحظات
AH-64 Apache	Attack	U.S.	1986	2002955		1
UH-60 Black Hawk	Medium transport	U.S./Aus.	1979	3003636 or 11 troops		4
AH-1 Cobra	Attack	U.S.	1967	240545		
UH-1 Huey	Light transport	U.S.	1962	1601773 or 10 troops		
1OH-58	Attack/scout	U.S.	1969	230909		
CH-53	Heavy transport	U.S.	1965	50014545 or 55 troops		
CH-46	Medium transport	U.S.	1964	1201818 or 14 troops		5
CH-47	Heavy transport	U.S./U.K./Aus.	1968	2101818 or 14 troops		
AH-6/MH-6	Light Attack transport	U.S.	1966	23011818 or 44 troops		2
Lynx	Attack/transport	U.K.	1977	340545 or 6 troops		
Sea king	Medium transport	U.K.	1977	450818 or 12 troops		
Sea King AEW	Airborne Early Warning	U.K.	1983	4003637 or 19 troops		3
Mi-8	Medium transport	Iraq	1966	2504000 or 24 troops		
Mi-24 Hind	Attack/ transport	Iraq	1973	1602405 or 8 troops		

هجوم: Attack

نقل وسط: Medium transport

نقل خفيف: light transport

استكشاف / هجوم: Attack/ scout

نقل ثقيل: Heavy transport

نقل / هجوم خفيف: Light attack/ transport

تحذير مبكر محمول جواً: Airborne Early Warning

الولايات المتحدة: U.S.

أستراليا: Aus

المملكة المتحدة: U.K.

العراق: Iraq

النوع: يحدّد دور هذه المروحيات والهدف الذي تقرّر القوات الجوية استخدامها فيه.

استخدمت من قِبل: الدولة التي استخدمت هذه المروحيّة في هذه الحرب.

الطراز الأول: السنة التي وضعت فيها النسخة الأولى من هذه المروحية في الخدمة. إن النموذج الفعلي المستخدم في هذه الحرب ربما يكون قد حُدِّث بشكل كبير.

المدى الأقصى: المسافة التي تستطيع المروحية اجتيازها من القاعدة وإليها. إن هذا الرقم لا يشمل التزوّد بالوقود الجوي الذي يمكن أن تقوم به بعض مروحيات التحالف. هذه الأرقام تقريبية، تعتمد إلى حدّ كبير على الظروف الجوية، وحمولات أسلحة معيّنة وعموماً الحمولة المنقولة.

الحمولة القصوى: الوزن الإجمالي للأسلحة أو خزانات الوقود الخارجية أو الأشخاص أو البضاعة التي يمكن أن تحمل. بالنسبة لمروحية محمّلة بحمولتها القصوى، يكون المدى عادة أقصر من ذلك المذكور تحت المدى الأقصى.

ملاحظات:

١ - إن النموذج AH-64D هو تحديث رئيسي للنموذج A. و D. له رادار على شكل فطر كبير موضوع على شفرات المروحة. إن هذه المروحية هي أيضاً محمية من النيران الأرضية أكثر من معظم المروحيات.

٢ - تستعمل من قِبل القوات الخاصة الأميركية.

٣ - لها رادار خارجي كبير ينثني إلى الأسفل عند إقلاع المروحية، لتلتقط أهدافاً جوية على مدى بعيد.

٤ - أشكال متنوّعة لخدمة الجيش والبحرية والقوّة الجوية وحرس السواحل.

٥ - أصبحت قديمة جداً وخطرة للمارينز الذين يستعملونها بحاجة ماسّة إلى الاستبدال.

(١) المصادر: أنظر الجدول رقم ١.

٧ - السفن البحرية:

الفئة	النوع	مستخدمة من	الطراز الأول	الازاحة (بالطن)	الطاقم	مدى الملاحة	تحمل من الطائرات	ملاحظات
Nimitz	Aircraft carrier (nuclear)	U.S.	1975	95,360	6,007		70	
Kitty Hawk	Aircraft carrier	U.S.	1961	81,990	5,627	8,000/20	71	
Ark Royal	Aircraft carrier	U.K.	1980	20,710	1,051	7,000/18	22	1
Wasp	Amphibious assault	U.S.	1989	40,530	1,147	9,500/20	38	4
Tarawa	Amphibious assault	U.S.	1976	39,970	1,067	10,000/20	26	3
Ocean	Helicopter carrier	U.K.	1999	21,580	461	8,000/15	18	2
Ticonderoga	Cruiser	U.S.	1983	9,590	387	6,000/20	2	6,7
Arleigh Burke	Destroyer	U.S.	1991	8,320	398	4,400/20	0	5,67
Spruance	Destroyer	U.S.	1975	9,250	393	6,000/20	2	7
Type 42	Destroyer	U.K.	1978	4.250	253	4,500/18	1	9
Perry	Frigate	U.S.	1979	3,660	214	5,000/18	2	
Type 23	Frigate	U.K.	1990	4,300	181	7800/17	1	8
Type 22	Frigate	U.K.	1988	4,850	232	7,000/18	1	
Anzac	Frigate	Aus.	1996	3,600	163	6,000/18	1	
Darwin	Frigate	Aus.	1980	3,960	187	5,000/18	2	
Boutwell	Coast Guard Cutter	U.S.	1967	3,050	177	9,600/19	1	
Los Angeles	Attack submarine (nuclear)	U.S.	1976	7,100	141	-	-	7
Trafalgar	Attack submarine (nuclear)	U.K.	1983	5,200	130	-	-	7
Swiftsure	Attack submarine (nuclear)	U.K.	1974	4,900	120	-	-	7

نيمتز: Nimitz

كيتي هوك: Kitty Hawk

حاملة طائرات (نووية): Aircraft carrier (nuclear)

حاملة طائرات: Aircraft carrier

انقضاض برمائي: Amphibious assault

حاملة مروحيات: Helicopter carrier

طرادة: Cruiser

مدمرة: Destroyer

فرقاطة: Frigate

زورق حراسة الشاطىء: Coast Guard Cutter

غواصة هجومية (نووية): Attack submarine (nuclear)

الولايات المتحدة: U.S.

المملكة المتحدة: U.K.

أستراليا: Aus

الفئة: تشير إلى نوع من السفن وليس ضرورياً إلى إسم سفينة معينة. على سبيل المثال إن أربع حاملات طائرات من صنف نيميتز انخرطت في حرب العراق، واحدة فقط سمّيت نيميتز.

النوع: نوع السفينة، تلك التي لها أنظمة دفع نووي كما هو مدوّن.

استُخدِمت من قِبَل: الدولة التي استخدمت هذه السفينة في هذه الحرب.

الطراز الأول: السنة التي وُضع فيها هذا النموذج في الخدمة. إن النموذج الحقيقي المنتشر في هذه الحرب قد يكون حُدِّث بشكل كبير.

الإزاحة: وحدة قياس لوزن السفن.

الطاقم: العدد الإجمالي للطاقم.

مدى الملاحة: المسافة التي تستطيع هذه السفينة أن تقطعها دون التزوّد بالوقود بالأميال البحرية لسرعة معطاة بالعقد. بالنسبة للسفن النووية، ليس هناك من مدى مذكور. إن العوامل المحددة هي إرهاق الطاقم ومصادر أخرى. إن السفن العاملة بالطاقة النووية تبدّل وقودها النووي فقط بعد عدّة عقود من الخدمة.

تحمل من الطائرات: العدد الإجمالي للطائرات على المتن، سواء كانت ثابتة الجناح أو مروحيات.

ملاحظات:

١ - يمكنها أن تتسع لـ ٩٦٠ من رجال البحرية الملكية لفترات زمنية قصيرة. يمكن أن تزوّد بطائرات الهاريير البحرية بالرغم من أنها في هذه الحرب لم تزوّد إلاّ بمروحيات فقط.

٢ - يمكنها أن تتسع لـ٥٠٠ رجل من قوات البحرية الملكية و٢٦ طاقم مركب.

٣ - يمكن أن تتسع لـ١٩٠٠ من رجال المارينز والمروحيات والـAV-8B.

٤ - يمكن أن تتسع لـ١٨٩٠ من رجال المارينز والمروحيات والـAV-8B.

٥ - هذه الأرقام تصف Block I وBlock II وليس Block 2A. هناك Block 2A خدمت في هذه الحرب. إنها تختلف أساساً في كونها تمتلك إزاحة ١٠٪ والقدرة على حمل مروحيّتين على متنها.

٦ - مجهّزة بنظام دفاع جوي Aegis الفعّال جداً، والذي صُمّم لمواجهة الهجمات الجوية الكبيرة من كلّ من الطائرات والصواريخ.

٧ - قادرة على إطلاق صواريخ كروز توماهوك.

٨ - فرقاطة حديثة مع دفاعات جوية قصيرة المدى.

٩ - هذه السفن تزوّد البحرية الملكية بقدرات السام الطويلة المدى.

٨ - الذخائر:

الاسم	النوع	مستخدمة من	الطراز الأول	نوع الموجه	المدى (بالكلم)	الوزن الإجمالي (بالباوند)	وزن الرأس الحربي	ملاحظات
Tomahawk	Cruise missile	U.S./U.K.	1985	GPS/radar	2,590	1455	455	9
CALCM	Cruise missile	U.S.	1980	GPS	1,100+	1818	1364	3
Strom Shadow	Cruise missile	U.K.	2003	GPS	250+	1318	455	6
ATACMS	Tactical ballistic missile	U.S.	1990	GPS/Inertial	160+	1677	545	8
AGM-130	Powered glide bomb	U.S.	1994	GPS/command	65+	1318	909	
HARM	Anti-radiation missile	U.S.	1983	Radar homing	50+	364	20	10
JSOW	Unpowered glide bomb	U.S.	1998	GPS	65	682	227	
Maverick	General purpose missile	U.S./U.K.	1983	IR/ optical	25	300	136	
CBU-97 WCMD	Anti-armor glide bomb	U.S.	2002	Internal	19		409	6
JDAM	Unpowered glide bomb	U.S.	1998	GPS	15	455	909	1
LGB	Unpowered glide bomb	U.S./U.K.	1976	Laser	9	909	909	2
GBU-37	Deep penetrator bomb	U.S.	1991	GPS	8+	909	2273	7
MOAB	Unpowered large glide bomb	U.S.	2003	GPS	-	2273	8182	5
BLU-82	Unpowered large bomb	U.S.	1970	Unguided	-	9773	-	
Hellfire	Antitank missile	U.S.	1986	Radar	8	6818	5727	4
TOW	Antitank missile	U.S./U.K.	1970	Optical	3,7	49	~6.8	11
Javelin	Antitank missile	U.S.	1996	IR	2,5	23	3.2	12
Al-Hussein	Tactical ballistic missile	Iraq	1988	Inertial	600	12	~3.6	13
Scud-B	Tactical ballistic missile	Iraq	1962	Inertial	300	7045	318	
Al-Samoud	Tactical ballistic missile	Iraq	1994	Inertial	150	6400	1000	

صاروخ كروز: Cruise missile
صاروخ بالستي تكتيكي: Tactical ballistic missile
قنبلة انشطارية: Powered glide bomb
صاروخ مضاد للإشعاع: Anti-radiation missile
قنبلة غير انشطارية: Unpowered glide bomb
صاروخ متعدّد الأغراض: General purpose missile
قنبلة انشطارية مضادة للدروع: Anti-armor glide bomb
قنبلة اختراق عميق: Deep penetrator bomb
الولايات المتحدة: U.S.
المملكة المتحدة: U.K.
العراق: Iraq
نظام تحديد الهدف الشامل: G.P.S.
توجيه بالرادار: Radar homing.
داخلي: Inertial
غير موجهة: Unguided
بصري: Optical

النوع: نوع الذخيرة.

استخدم من قِبل: الدولة التي استعملت هذه الذخيرة في هذه الحرب.

الطراز الأول: السنة التي وضعت فيها هذه الذخيرة في الخدمة. النموذج الفعلي المنتشر في هذه الحرب ربما يكون قد حُدِّث بشكل أساسي.

نوع الموجه: كيف توجه هذه الذخيرة؟، إذا وجّهت أصلاً باستخدام الأقمار الصناعية. يستخدم نظام التحديد الشامل للأقمار الصناعية ليحدد الموضع الذي يجب أن تتوجّه الذخيرة إليه. توجيه راداري: إنه يقتفي مصدر البث أو الإرسال لرادار مرسل. الليزر: إن المصمم الليزر يوجّه نحو هدف والذخيرة تتعقّب هذا الشعاع إلى الهدف. القيادة: شخص يوجّه الذخيرة. بصري: مجس بصري على الذخيرة يقتفي الهدف. القصور الذاتي: إن نظام التوجيه يقتفي المكان الذي انطلقت منه الذخيرة وإلى حيث يفترض أن تذهب ويتعقّب حركتها بالنسبة إلى الجاذبية والزخم.

المدى: المسافة الإجمالية التي تستطيع هذه الذخيرة أن تجتازها وحدها.

الوزن الكلي: وزن النظام بأكمله.

وزن الرأس الحربي: وزن الجزء الذي ينفجر.

ملاحظات:

١ - تأتي بوزن ١٠٠٠ و٢٠٠٠ باوند، كلاهما بالمدى نفسه. في الحقيقة أنها مجرّد قنابل غبية غير موجّهة وتقليدية مع زعانف ومعدات توجيه بالأقمار الصناعية مربوطة عليها. رخيصة جداً (بمعايير الأسلحة الدقيقة) وغالباً دقيقة مثل القنابل الموجّهة بالليزر.

٢ - تأتي في نماذج من ٥٠٠، و١٠٠٠، و٢٠٠٠ باوند.

٣ - CALCM: صاروخ كروز تقليدي يطلق من الجو. يأتي بنماذج متعدّدة كلّها محولة من صواريخ كروز مطلقة من الجو في الترسانة النووية. إن الـB-52 هي المنصّة الوحيدة التي يمكن أن تطلق CALCM.

٤ - استعملت لأول مرّة في فيتنام: يمكن أن تلقى فقط من C-130.

٥ - بدقّة يمكن أن تلقى من كلا الـB-2 والـC-130.

٦ - تطلق جوياً من طائرة التورنادو البريطانية.

٧ - تحمل فقط على B-2 لتدمير أهدافا مدفونة بعمق مثل مراكز القيادة.

٨ - تطلق من قاذفة M270 MLRS.

٩ - يمكن أن تطلق من غواصات تابعة للولايات المتحدة أو المملكة أو سفن سطحية أميركية (مدمّرات Burke أو Spruance أو Ticonderoga).

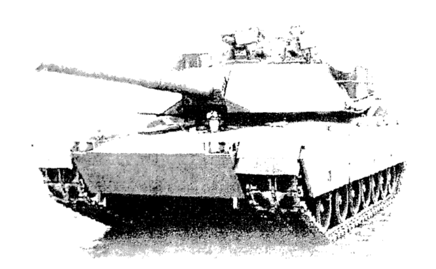
١٠ - توجّه نحو مرسلات رادار العدو.

١١ - يمكن أن تطلق من مختلف المروحيات الهجومية أو البريداتور UAV.

١٢ - يمكن أن تطلق من تشكيلة من منصات أرضية والمروحيات.

١٣ - تطلق من قاذفات محمولة على الكتف. على عكس نظام التاو، فإن الجافلن هو من نوع «اطلق وانس»، الذي يسمح للأفراد الذين يطلقونه بالتحرّك مباشرة بعد ضرب القذيفة.

رقم ١



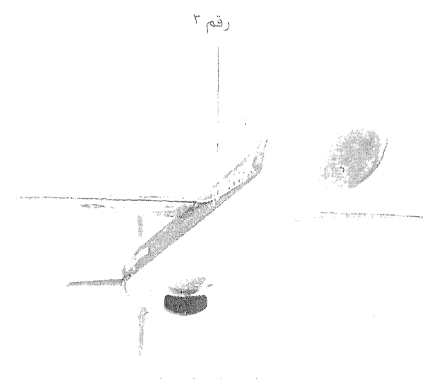
M1A1 Abrams دبابة

رقم ٢



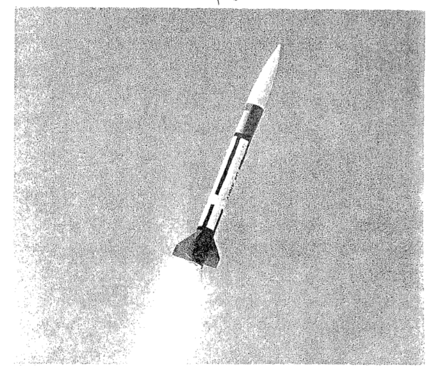
sam 16 صاروخ

رقم ٣



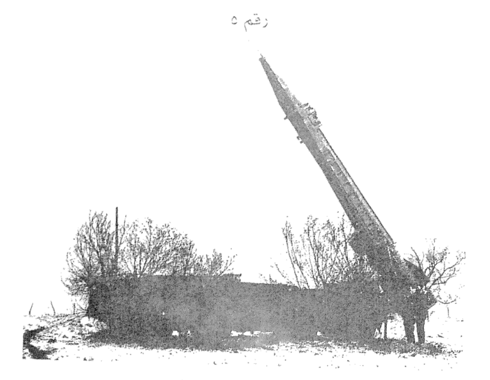
صاروخ tomahawk

رقم ٤



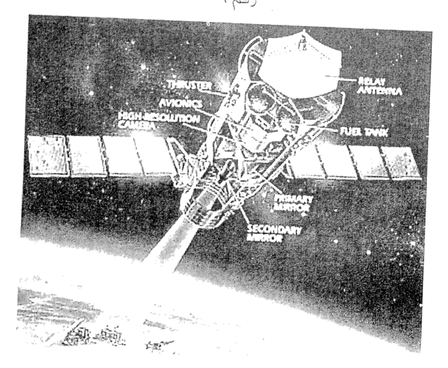
صاروخ patriot

رقم ٥

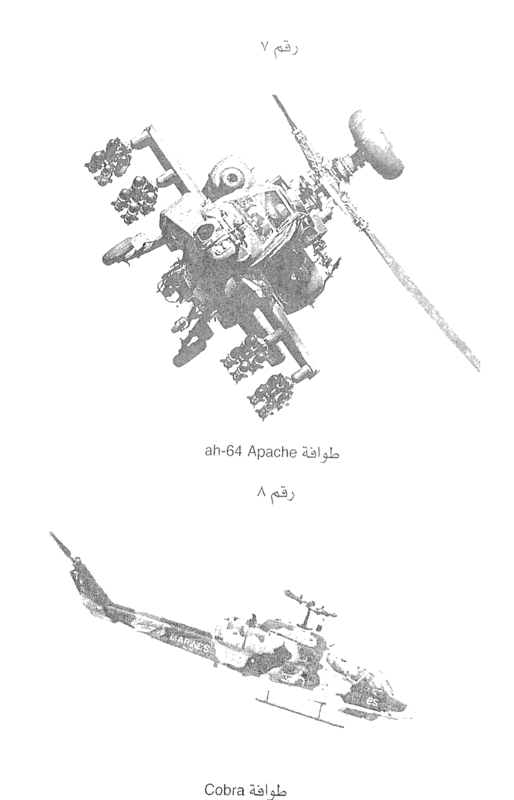


صاروخ Scud (سكود)

رقم ٦



قمر اصطناعي KH-12



رقم ٧

ah-64 Apache طوافة

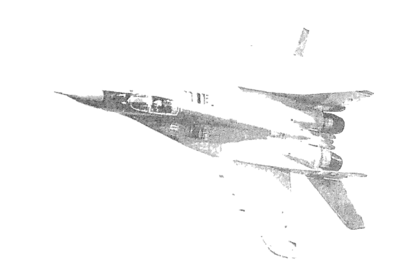
رقم ٨

Cobra طوافة

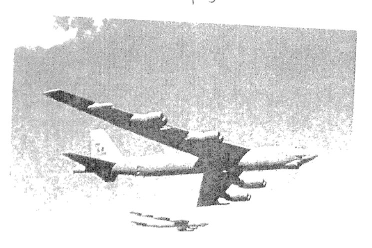


رقم ٩

طائرة mig 29

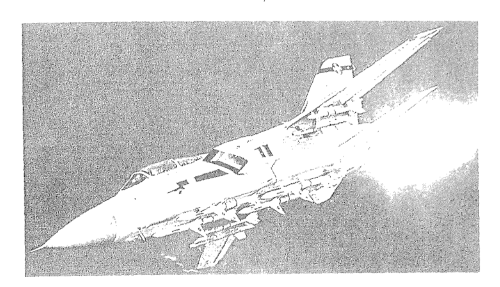


رقم ١٠

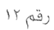


طائرة B 52

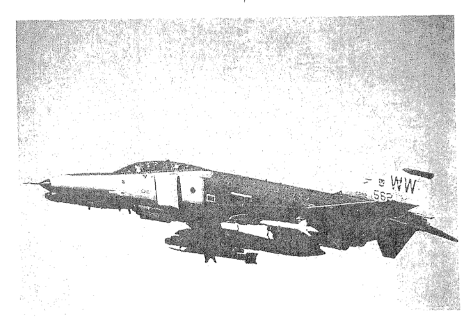
رقم ١١



طائرة tornado

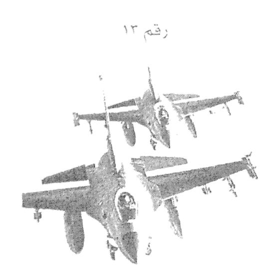


رقم ١٢



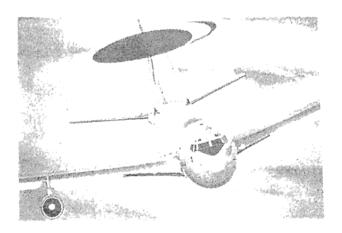
طائرة f4 wild

رقم ١٣



طائرة F 16

رقم ١٤



طائرة f117 Stealth

رقم ١٥



طائرة awacs

المراجع

١ - حرب الخليج - حصاد المواجهة بين التاريخ والمستقبل - مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق - عبد العليم محمد - بيروت - ١٩٩٣.

٢ - العرب ونكبة الكويت، أمين جلال، القاهرة - مكتبة مدبولي - ١٩٩١.

٣ - حرب الخليج، أوهام القوّة والنصر، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٢.

٤ - حرب الخليج - الملف السري - بيار سالنجر وأريك لوران - دار آزال للتوزيع والنشر - بيروت - ١٩٩١.

٥ - الغزو العراقي للكويت - عالم المعرفة - عدد خاص ١٩٥ - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت - ١٩٩٦.

٦ - إيران والعراق خلال خمسة قرون - حسن مجيد الدجيلي - دار الأضواء - بيروت - ١٩٩٩.

٧ - الحدود الدولية ومشكلة الحدود العراقية - الإيرانية - رسالة دكتوراه - القاهرة ١٩٧٠.

٨ - الحياة السياسية للامام الخميني - محمّد حسن رجي - دار الروضة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - ١٩٩٣.

٩ - كارثة الصحراء وصناعة النصر - اللواء الركن عزيز الأحدب - شركة جروس برس - طرابلس لبنان - ١٩٩١.

١٠ - دراسات عالمية - القدرات العسكرية الإيرانية - أنتوني كوردزمان - مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية - العدد ٦ - ٢٠٠٠.

١١ - نزاعات الحدود في الخليج - معضلة السيادة والشرعية - مركز الدراسات الاستراتيجية - سالم مشكور - بيروت - ١٩٩٣.

١٢ - مقاتل من الصحراء - خالد بن سلطان بن عبد العزيز - دار الساقي - بيروت - ١٩٩٥.

١٣ - حرب العراق - تاريخ عسكري ميداني - وليامسون موراي وروبرت جونيور سكايلز - الدار العربية للعلوم - ٢٠٠٥.

١٤ - Evan Wright, The Killer elite, June 2003.

١٥ - IRAK, Histoire d'un disastre, Ignacio Ramonet. Galilée, 2005.

١٦ - الميزان العسكري - المعهد الدولي للدراسات الاستراتجية - ١٩٩٥ - ١٩٩٦، طبعة ١٩٩٧.

١٧ - Admiral William A. owens, Lifting the Fog of war, New York 2000.

١٨ - Colonel Andy Milani, Pifalls of Technology, US. Army war college, April 2003.

١٩ - Christopher Hitehims, Regime change, London 2003.

٢٠ - Williamson Murry, Gulf war Air Power, 2003.

٢١ - Peter Naas, Good Kills, New York times magazine, April 2003.

فهرس الجزء (٢٣)

الخرائط:


Bibliotheca Alexandrina
0587039